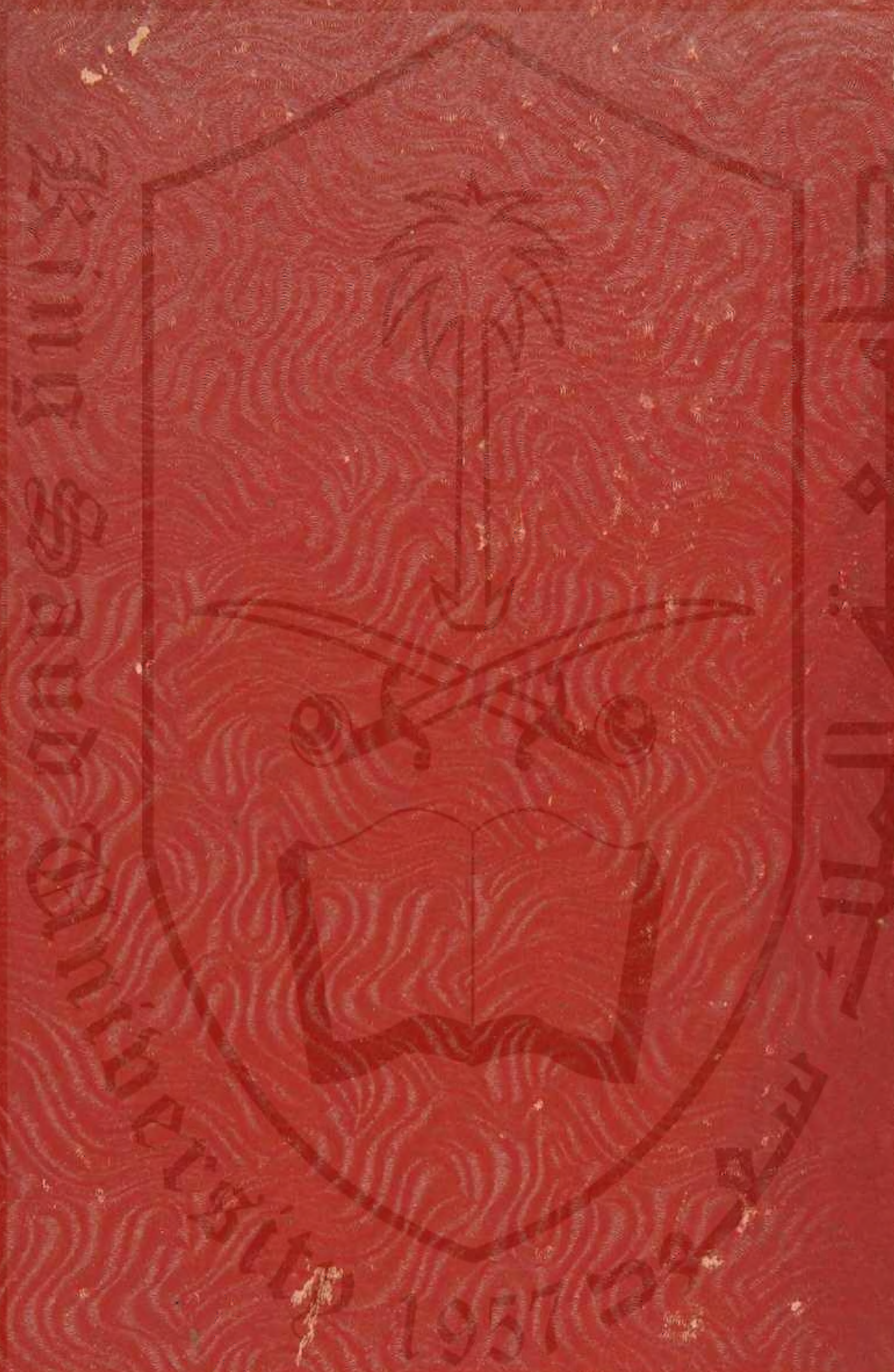


الشفا

القاضي عياض



٢١٩ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تأليف عياض بن
ش.ق موسى - ٥٤٤هـ . كتبه منصور بن محمد بن
بدير الشافعي الأزهري الطنبولي ١١٠٩هـ .
٢٢٨ق ٢٣س ٢٢×١٤,٥سم
نسخة جيدة ، رؤوس الفقر بالحمرة ، خطها نسخ
٩١٠ معتاد ، طبع .
الأعلام ٥ : ٢٨٢ فهرس المخطوطات المصورة
ج ٢/ق ٣ : ١٩٣
١- السيرة النبوية أ- القاضي عياض، عياض بن
موسى - ٥٤٤هـ ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ

كتاب

الشفا بتعريف حقوق المصطفى

صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

تأليف الشيخ الإمام الحافظ المحدث الفقيه
أبو الفضل عياض بن موسى بن
عياض اليحصبي رحمه الله
تعالى ونفعنا به وأعاد
علينا وعلى المسلمين
من بركاته
آمين
آمين



بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن بالكريم وصلى الله على محمد

الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى • الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى • الظاهر لا تخيلا ولا وهما • والباطن تقدسا لا عدما • وسع كل شي رحمة وعلما • واسبغ على اوليايه نعما عما • وبعث فيهم رسولا من انفسهم عربا وعجما • وازكاهم محتدا ومنمى • وارجحهم عقلا وحلما • واوفرهم علما وفهما • واقواهم يقينا وعزما • واشدهم بهم رافة ورحما • زكاه روحا وجسما • وحاشاه عيبا ووصما • واتاه حكمة وحكما • وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما • فامن به وعزره ونصره من جعل الله تعالى له في مغنم السعادة قسما • وكذب به وصدف عن اياته من كتب الله تعالى عليه الشقا حتما • ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى • صلى الله عليه صلاة تنمو وتنمى • وعلى اله وسلم تسليما • اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين • ولطف لي ولك بما لطف به لاوليايه المتقين الذين شرفهم الله بنزل قدسه • واوحشهم من الخليقة بانسه • وخصهم من معرفته ومشاهدة عجايب ملكوته • واثار قدرته بما ملا قلوبهم حبرة • وولّه عقولهم في عظمته حيرة • فجعلوا همهم به واحدا • ولم يروا في الدارين غيره

شاهدا

فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون • وبين اثار قدرته وعجايب عظمته يترددون • وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون • فانك كررت علي السوال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام • وما يجب له من توقير واكرام • وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر • او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر • وان اجمع لك ما لاسلافنا وايمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال • فاعلم اكرمك الله تعالى انك حملتني من ذلك امرا امرا • وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا • ملا قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول • وتحرير فصول • والكشف عن غوامض ودقايق • من علم الحقايق • مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف اليه • او يمتنع او يجوز عليه • ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة • والمحبة والخلة • وخصايص هذه الدرجة العلية • وههنا مهامه فيح تحار فيها القطا • وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام • ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها الاقدام • ان لم تعتمد على توفيق من الله تعالى وتاييد • لكني لما رجوته لي ولك في هذا السوال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم • وخلقه العظيم • وبيان خصايصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق • ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا • ولما اخذ الله تعالى على الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه • ولما اخبرنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله تعالى بقراتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد المومن ثنا ابو بكر محمد بن بكر

سليمان بن الاشعث ثنا موسى بن اسماعيل ثنا حماد انا
علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سيل عن علم فكتمه الجمه الله تعالى بلجام من نار
يوم القيمة فبادرت الى نكت مسفرة عن وجه الغرض موديا
من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده
من شغل البدن والبال بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي
بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم
الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه
كله فيما يحمد غدا او يذم محله فليس ثم سوى نضرة النعيم
او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل
صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله تعالى
صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا
لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى زلفى
ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه
ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله
ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في
اربعة اقسام

القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي
قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب
الباب الاول في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع
الفضايل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا
الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم
قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا
الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من الايات والمعجزات

وشرفه

وشرفه به من الخصايص والكرامات وفيه ثلاثون فصلا
القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة
والسلام ويترتب القول فيه في اربعة ابواب
الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول
الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول
الباب الثالث في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول
الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته
وفيه عشرة فصول
القسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح
من الامور البشرية ان تضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله تعالى هو
سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد
والتمهيدات والدلايل على ما نورده فيه من النكت البينات
وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعده
وعند التقصي لموعده والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو
اللعين ويشرق قلب المومن باليقين وتملا انواره جوانح صدره
ويقدر العاقل بعد تنبهه لما قلناه النبي حق قدره ويتحرر الكلام
فيه في بابين
الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول
في العصمة وفيه ستة عشر فصلا
الباب الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من
الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول
القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه
عليه الصلاة والسلام وينقسم الكلام فيه في بابين
الباب الاول في بيان ما هو في حقه سب او نقص من تعريض او
نص وفيه عشرة فصول

٢ بالصاد المهملة
بالضاد المعجمة صح

الباب الثاني في حكم شانيه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته
وذكر استتابته والصلاة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول
وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة
للبابين الذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله
وملائكته وكتبه وآل النبي وصحبه واختصر الكلام فيه في
خمسة فصول وبتمامها ينجز الكتاب وتتم الأقسام والأبواب
ويلوح في غرة الإيمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة
خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي
صدور قوم مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين
وبالله تعالى لا إله إلا هو الملك الحق أستعين
القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى لقدر المصطفى قولا
وفعلا قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى لا خفاء على من مارس شيئا
من العلم أو خص بأدنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه
الصلاة والسلام وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب
لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنة
والأقلام فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل
نصابه وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه وحض العباد على
التزامه وتقلد إيجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى
ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك وأثنى ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى
فله الفضل بدءا وعودا وله الحمد أولى وأخرى ومنها
ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه
بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل
العديدة وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة
والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره ورآها من أدركه
وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا

وفاضت أنوارها علينا بالتواتر صلى الله عليه وسلم كثيرا
حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الحسين بن محمد الحافظ
رحمه الله تعالى قراءة مني عليه ثنا أبو الحسين المبارك
ابن عبد الجبار وأبو الفضل أحمد بن خيرون قالا ثنا أبو يعلى
البغدادي ثنا أبو علي السنجي ثنا محمد بن أحمد بن محبوب ثنا
أبو عيسى بن سورة الحافظ ثنا إسحق بن منصور ثنا عبد
الرزاق ثنا معمر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم
أتي بالبراق ليلة أسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه
فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا
الباب الأول في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم
قدره لديه اعلم أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة
بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم أمره وتنويه قدره اعتمدنا
منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول
الفصل الأول فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد
المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية قال
السمرقندي وقرأ بعضهم من أنفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور
بالضم قال القاضي الإمام أبو الفضل رحمه الله تعالى أعلم
الله المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف
المفسرين من المواجه بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا من
أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وأمانته
فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وأنه لم
يكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولادة أو قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى إلا المودة في
القربى وكونه من أشرفهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح
وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة وأثنى عليه

أنفسهم

بمحامد كثيرة ومن حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم
وشدة ما يعنتهم ويضرهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه
ورافته ورحمته بمومنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمايه
روف رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله تعالى لقد من الله
على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم وفي الاية الاخرى
قوله هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية وقوله عز وجل
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا
وصهرا وحسبا ليس في ابايي من لدن ادم سفاح كلها نكاح
قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت
فيهن سفاحا ولا شيا مما كان عليه الجاهلية وعن ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى
نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه عن
طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من
خدمته فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه رسولا م
الله من نعته الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا
وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله
وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن
طاهر زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة
فكان كونه رحمة وجميع شمايله وصفاته رحمة على الخلق
فمن اصابه شي من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل
فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله يقول وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه الصلاة
والسلام حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال صلى الله عليه
وسلم اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها

سلفا

سلفا وفرطا وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن
والانس وقيل لجميع الخلق للمومن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق
بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب قال ابن عباس
هو رحمة للمومنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من
الامم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه
الصلاة والسلام هل اصابك من هذه الرحمة شي قال نعم كنت اخشى
العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند
ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن محمد الصادق
في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم
من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى الله نور
السموات والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور
الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله مثل نوره اي نور
محمد صلى الله عليه وسلم وقال سهل بن عبد الله المعنى
الله تعالى هادي اهل السموات والارض ثم قال مثل نور محمد
صلى الله عليه وسلم اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها
كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اي كانه كوكب
دري لما فيه من الايمان والحكمة يوقد من شجرة مباركة اي من نور
ابرهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضيء
اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا
الزيت وقد قيل في هذه الاية غير هذا والله تعالى اعلم
وقد سماه الله تعالى في القران في غير هذا الموضع نورا
وسراجا منيرا فقال الله عز وجل قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك الى اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب

قال ابن عباس شرحه بالاسلام وقال سهل بنور
الرسالة وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل
معناه الم نطهر قلبك حتى لا يوذيك الوسواس و وضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك
يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد
ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي
والسلمي وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب
ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك قال يحيى
ابن ادم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي قول لا اله
الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان قال القاضي ابو
الفضل رحمه الله تعالى هذا تقرير من الله جل اسمه
لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف
منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان
والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع
عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما
كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه
عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل
اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعه
ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله
تعالى ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله وروى ابو سعيد الخدري
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل عليه
الصلاة والسلام فقال ان ربي وربك يقول اتدري
كيف رفعت ذكرك قال الله ورسوله اعلم قال اذا

ذكرت

ذكرت ذكرت معي قال ابن عطا جعلت تمام الايمان
بذكري معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن
ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد
بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك
الى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته
واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول وامنوا بالله
ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع
هذا الكلام في غيره صلى الله عليه الصلاة والسلام حدثنا
الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ بما اجازنيه وقراته
على الثقة عنه ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد المومن
ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود السجزي ثنا ابو
الوليد الطيالسي ثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن
يسار عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يقولن احدكم ما شا الله وشا فلان ولكن ما شا الله
ثم شا فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم
الى الادب في تقديم مشية الله تعالى على مشية من سواه
واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي
للاشتراك ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند
النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد
ومن يعصهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بيس خطيب القوم انت
قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين
بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما
كره له الوقوف على يعصهما وقول ابي سليمان اصح لما روي
في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر
الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب

المعاني في قوله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي
هل يصلون راجعة على الله تعالى وملايكته ام لا فاجازه
بعضهم ومنعه اخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير
بالملايكة وقدر والاية ان الله يصلي وملايكته يصلون
وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك
عند الله تعالى ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله الاية وروي انه لما نزلت هذه
الاية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت
النصاري عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول
الاية فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف
المفسرون في معنى تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن
البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي
وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو الليث
السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله صراط الذين انعمت
عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح
وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم
عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم
في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى الاية
انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد
وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والذي جاء

قوله

بالصدق

بالصدق وصدق به اوليك هم المتقون الايتين اكثر
المفسرين على ان الذي جا بالصدق هو محمد صلى الله عليه
وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ وصدق
بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المومنون وقيل
هو ابو بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد
في قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه

الفصل الثاني في وصفه

تعالى له بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والكرامة
قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا الاية جمع الله تعالى له في هذه الاية ضروبا من رتب
الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته
لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من خصايصه عليه الصلاة
والسلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته
وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى
به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله تعالى
قال ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي
ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف
ثنا البخاري ثنا محمد بن سنان ثنا فليح ثنا هلال
عن عطا بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص
قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اجل والله انه لموصوف في التورية ببعض صفته في القران
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا
للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ
ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة

لاصخب

يعني

وَلكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم
به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا
عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن
عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه
عن ابن اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش
ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق
كريم ثم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى
ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته
والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته
والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد
الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة
واسمي به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به
بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين
قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل
امته خير امة اخرجت للناس وفي حديث اخر
اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في
التورية عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة
او قال طيبة امته الحمادون لله على كل حال وقال تعالى
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية وقد قال تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكر
الله تعالى منته انه جعل رسوله رحيما بالمومنين روفا
لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله
لكن جعله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله
الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال

ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله
عليه وسلم في هذه الاية وفي قوله في الاية الاخرى وفي
هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء
على الناس وكذلك قوله عز وجل فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد الاية وقوله وسطا اي عدولا خيارا ومعنى
هذه الاية كما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم
بان جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبيا على
اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل ان الله
جل جلاله اذا سال الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم
فتقول اممهم ما جانا من بشير ولا نذير فتشهد امة
محمد صلى الله عليه وسلم للانبياء صلى الله عليهم وسلم ويزكيهم
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة
على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي
وقال تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق
عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم
قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم
وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم محمد صلى الله عليه
وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد
الله التستري هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله
عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين
والصديقين الشفيع المطاع والسايل المجاب محمد صلى
الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث فيما

ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة فمن ذلك

وفضل امته

وسطا

فضيلتهم

وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد

صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم الاية قال ابو محمد
مكي قيل هو افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله
وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب
حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم
القلب لم اذنت لهم وقال ولو بدا النبي صلى الله عليه
وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة
هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن
قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق في
عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله تعالى ما لا يخفى
على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة
غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي
صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان
مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله تعالى انه لو لم ياذن لهم لقعدوا
لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال القاضي ابو
الفضل رضي الله عنه يجب على المسلم المجاهد نفسه بزمام الشريعة الرايض
خلقه ان يتادب باداب القران في قوله وفعله ومعاطاته
ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الاداب
الدينية والدنيوية وليتامل هذه الملاطفة العجيبة
في السوال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع
ويستثير ما فيها من الفوايد وكيف ابتدا بالاكرام قبل العتب
وانس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال
تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا
قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الانبيا صلى الله عليهم
وسلم بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم قبل
وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرايط المحبة

وهذه

وهذه غاية العناية ثم انظر كيف ابتدا بثباته وسلامته
قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثنا عتبه
براءته وفي طي تخويفه تامينه وكرامته ومثله قوله
قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الاية
قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جيت به فانزل الله تعالى فانهم
لا يكذبونك الاية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام
فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك
صادق فانزل الله تعالى الاية ففي هذه الاية منزع لطيف
الماخذ من تسليته تعالى له عليه الصلاة والسلام والطافه
في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير
مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد
كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير
ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم
جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بايات الله يجحدون
فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب
الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشي ثم
انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما
وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكره عمن قبله ووعده
النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الاية فمن قرا يكذبونك
بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفرا والكسائي
لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه
ومن قرا بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل
لا يعتقدون كذبك ومن خصايصه ومن ذلك برالله تعالى به

ان الله تعالى خاطب جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام
باسمايهم فقال يا ادم يا نوح يا ابرهيم يا داود يا عيسى
يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها الرسول يا ايها
النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر

الفصل الرابع

في قسمه تعالى بعظيم قدره قال الله تعالى
لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا
انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه
وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال
ومعناه وبقايك يا محمد وقيل وعيشك يا محمد وقيل وحياتك
يا محمد وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال
ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله تعالى وما ذرا
وما برا نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت
الله تعالى اقسم بحياة احد غيره قال ابو الجوزا ما اقسم الله
تعالى بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البرية
عنده وقال تعالى يس والقران الحكيم الايات اختلف
المفسرون في يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسما
ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي
عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله
عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما يس يا انسان اراد
محمدا وقال هو قسم وهو من اسما الله تعالى وقال الزجاج
قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية
يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السموات

والارض

والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقران
الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه من اسمايه صلى الله عليه وسلم
وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويوكد فيه
القسم عطف القسم الاخر عليه وان كان بمعنى الندا فقد جا قسم
اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم الله تعالى
باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط
مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق
قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيايه بالرسالة
في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه يا
سيد ما فيه وقد قال عليه الصلاة والسلام انا سيد
ولد ادم ولا فخر وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت
حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك
منه حكاه مكي وقيل لا زايدة اي اقسم به وانت به يا
محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد
بالبلد عند هولاء مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا
البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا
يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه
قوله وانت حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطا في تفسير قوله تعالى
وهذا البلد الامين قال امنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان
كونه امان حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من قال اراد ادم
فهو عام ومن قال هو ابراهيم وما ولد فهي ان شا الله اشارة
الى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في موضعين
وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف
اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال
سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله واللام جبريل والميم

محمد صلى الله عليه وسلم وحكى هذا القول السمرقندي ولم
ينسبه الى سهل وجعل معناه اقسم الله تعالى بقوة قلب محمد
صلى الله عليه وسلم بهذا القران لا ريب فيه وعلى الوجه
الاول يحتمل المفسر ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه لما فيه
من فضيلة قران اسمه كنحو ما تقدم وقال ابن عطاء في
قوله تعالى ق والقران المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى
الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه
لعلو حاله وقيل هو اسم للقران وقيل هو اسم الله تعالى وقيل اسم
جبل محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد
في تفسير قوله تعالى والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه
وسلم وهوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله
تعالى وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر
محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان

الفصل الخامس في قسمه

تعالى جده له ليحقق مكانته عنده قال الله تعالى والضحى والليل
اذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل
كان النبي صلى الله عليه وسلم ترك قيام الليل لعذر نزل به
فتكلمت امراة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون
عند فترة الوحي فنزلت السورة قال القاضي الامام
ابو الفضل رضي الله عنه تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى
له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم
له عما اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اي
ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة للنبي صلى الله عليه
وسلم الثاني بيانه مكانته عنده وحظوته لديه بقوله

تعالى ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل
ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث قوله وللاخرة خير
لك من الاولى قال ابن اسحاق اي ما لك في مرجعك عند الله
اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اي ما ذخرت
لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا
الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه اية جامعة
لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام في الدارين
والزيادة قال ابن اسحاق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب
في الاخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي عن بعض
ال النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس اية في القران ارجى منها
ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من
امته النار الخامس ما عده تعالى عليه من نعمه وقرره
من الائه قبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له
او هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه
بما اتاه او بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما
حدب عليه عمه واواه اليه وقيل اواه الله وقيل يتيما
لا مثال لك فاواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى
بك ضالا واغنى بك عائلا واوى بك يتيما ذكره بهذه
المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره
وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه
فكيف بعد اختصاصه واصطفائه السادس امره
باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة
ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة الحديث
بها وهذا خاص له عام لامته وقال تعالى والنجم
اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى اختلف

المقسم في قوله والنجم باقاويل معروفة منها النجم على
ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد انه محمد صلى الله عليه وسلم
وقال هو قلب محمد وقيل في قوله تعالى والسماء
والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم
هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه
الآيات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد واقسم
جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه
فيما تلا وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله تعالى جبريل
وهو شديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسرا وانتهايه
الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما راى وانه راى من ايات
ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا تعالى في اول سورة الاسرا
ولما كان ما كاشفه عليه الصلاة والسلام من ذلك الجبروت
وشاهده من عجايب الملكوت لا تحيط بها العبارات ولا تستقل
بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايما والكناية الدالة
على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من
الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة
وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال تعالى لقد راى من
ايات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت
الاحلام في تعيين تلك الايات الكبرى قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه واشتملت هذه الايات على اعلام الله
تعالى بتزكية جملته عليه الصلاة والسلام وعصمتها من الافات
في هذا المسرى فزكى فواده ولسانه وجوارحه فقلبه
بقوله ما كذب الفواد ما راى ولسانه بقوله وما ينطق
عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى ثم قال تعالى
فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان

رجيم

رجيم لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم عند
مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين اي متمكن
المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم امين اي في السما
امين على الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم
هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد على هذا له
وقال غيره هو جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد راه
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه وقيل راى جبريل في
صورته وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم ومن قراه بالضاد
فمعناه ما هو ببخيل بالدعا به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه
لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى ن
والقلم الايات اقسم تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه
على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وانسه
وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك
بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات
الاداب في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دايم
وثواب غير منقطع لا ياخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وان
لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه
اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التاكيد فقال وانك
لعلى خلق عظيم قيل القران وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم
وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطي اثنى عليه بحسن
قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه
جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد
الحميد الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه
عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن
قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم

بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الآيات ثم عطف
بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه
متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة
خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين إلى
قوله أساطير الأولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق
بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم
فكانت نصرة الله له أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على
عدوه أبلغ من رده وأثبت في ديوانه مجلس

الفصل السادس

فيما ورد في قوله تعالى في جهته عليه الصلاة والسلام
مورد الشفقة والإكرام قال الله تعالى طه ما أنزلنا
عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من أسمائه عليه الصلاة
والسلام وقيل هو اسم الله وقيل معناه يا رجل وقيل يا إنسان
وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي أراد يا
طاهر يا هادي وقيل هو أمر من الوطء والهاء كناية عن الأرض
أي اعتمد على الأرض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد
على قدم واحدة وهو قوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى
نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر
والتعب وقيام الليل أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد
ابن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد الباجي
إجازة ومن أصله نقلت ثنا أبو ذر الحافظ ثنا أبو محمد
الحموي ثنا إبراهيم بن خزيم الشاشي ثنا عبد بن حميد
ثنا هاشم بن القاسم عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى

فأنزل

فأنزل الله تعالى طه يعني طإ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك
القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الإكرام وحسن
المعاملة وإن جعلنا طه من أسمائه عليه الصلاة والسلام
كما قيل أو جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط
الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك
على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا أي قاتل نفسك
أي قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا ومثله
قوله تعالى لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ثم قال إن
نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين
ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن
المشركين إلى قوله ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون
إلى آخر السورة وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قال
مكي سلاه تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين
وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل
هذه التسلية قوله تعالى وإن يكذبوك فقد كذبت رسل
من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما أتى الذين من
قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون عزاه الله تعالى بما
أخبر به عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله ومحنتهم
بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وأنه ليس
أول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وأبان عذره بقوله
تعالى فتول عنهم أي أعرض عنهم فما أنت بملوم أي في
أداء ما بلغت وإبلاغ ما حملت ومثله قوله
تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا أي اصبر
على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله سبحانه
وتعالى بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى

الفصل السابع

فيما اخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف
منزلته على الانبيا وحظوة رتبته قوله تعالى واذ اخذ
الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله
من الشاهدين قال ابو الحسن القابسي استخص الله
تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يوته غيره ابانه
به وهو ما ذكره به في هذه الاية قال المفسرون اخذ الله
الميثاق بالوحي فلم يبعث الله تعالى نبيا الا ذكر له محمدا صلى
الله عليه وسلم ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليومنن به
وقيل ان يبينه لقومه وياخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم
وقوله ثم جاكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى
الله عليه وسلم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا
من ادم فمن بعده الا اخذ الله عليه العهد في محمد صلى الله عليه
وسلم لئن بعث وهو حي ليومنن به ولينصرنه وياخذ العهد
بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة في اي تضمنت
فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح الى قوله وكيلا روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه
قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بابي انت
وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك اخر
الانبيا وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من
فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك
وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا

الرسول

الرسول قال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت
اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما
هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل
نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم
المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر وقال
تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال اهل
التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه
وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت
على يديه المعجزات وليس احد من الانبيا اعطي فضيلة او كرامة
الا وقد اعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم
ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبيا باسمايهم وخاطبه بالنبوة
والرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي يا ايها الرسول وحكى السمرقندي
عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته لابرهيم اي على دينه
ومنهاجه واجازه الفرا وحكاه عنه مكي ان الها عايدة على محمد
صلى الله عليه وسلم اي من شيعة محمد لابرهيم اي على دينه ومنهاجه
واجازه الفرا وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح عليه الصلاة والسلام

الفصل الثامن

في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه
العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة
وبقي فيها من بقي من المومنين نزل وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الاية وقوله ولولا رجال
مومنون الاية فلما هاجر المومنون نزلت وما لهم الا يعذبهم
الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرايه

العذاب عن اهل مكة بسبب كونه فيهم ثم كون اصحابه بعده بين
اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم
اياهم وحكّم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم
وفي الاية ايضا تاويل اخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه
الله تعالى بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين
الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى بن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا
محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا سفيان بن وكيع
ثنا ابن نمير عن اسمعيل بن ابرهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن
ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انزل الله تعالى علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت
تركت فيكم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين قال صلى الله عليه وسلم انا امان لاصحابي
قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول
صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت
سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء والفتن
وقال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين
امنوا الاية ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم
بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وامر عباده بالصلاة
والتسليم عليه وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلما
تاول قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في
الصلاة على هذا اي في صلاة الله علي وملائكته وامره الامة
بذلك الى يوم القيامة والصلاة من الملائكة ومنا له دعا
ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله
عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة وسنذكر

حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص
ان الكاف من كاف اي كفاية الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام
قال اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له قال ويهديك
صراطا مستقيما والياء تاييده قال وايدك بنصره والعين
عصمته قال والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال
ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال تعالى وان تظاهرا
عليه فان الله هو مولاه الاية مولاه اي وليه وصالح المؤمنين قيل
الانبيا وقيل الملائكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل علي وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته

قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق
ايديهم تضمنت هذه الايات من فضله والثنا عليه وكريم منزلته
عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتها اليه
فابتدا جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضا البين بظهوره
وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير
مواخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما
لم يقع اي انك مغفور لك وقال مكي جعل الله المنة سببا
للمغفرة وكل منهما من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا
بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك
وقيل بفتح مكة والطايف وقيل يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك
ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له
وفتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته
الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز
ومنته على امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم
وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم

وهلاك عدوه في الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته
وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية
نعدد محاسنه وخصايصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغه
الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب
وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات
ليومن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه اي
تجلوه وقيل تنصروه وقيل تبالغون في تعظيمه وتوقروه اي
تعظموه وقرا بعضهم يعززوه بزايين من العز والاكثر والاظهر
ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع
الى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه
وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام
الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة
وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام الولاية فالمغفرة
تبرئة من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية
وهي الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته
عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرايع غيره
وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر
وما طغى وبعثه الى الاحمر والاسود واحل له ولامته الغنايم
وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد ادم وقرن ذكره بذكره
ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون الله
ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل
قوة الله تعالى وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه
استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم
شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم

تقتلوهم

تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان
كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان القاتل
والرامي بالحقيقة هو الله تعالى وهو خالق فعله ورميه وقدرته
عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية
حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملا عينيه وكذلك قتل الملايكة
لهم حقيقة وقيل في هذه الاية الاخرى انها على المجاز العربي
ومقابلة اللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ
رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع
اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامي
بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر

فيما اظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته
عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل
من ذلك ما نصه تعالى في قصة الاسرا في سورة سبحان والنجم
وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته
ما شاهد من العجايب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى
والله يعصمك من الناس وقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا
الاية وقوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به
عنه في هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم
نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم
وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الايات ونزول
السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسب ما ذكره اهل الحديث
والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى
انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانيك هو الابتر اعلمه
بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل

الشفاعة وقيل الآيات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة
ثم اجاب عنه عدوه ورد عليه قوله تعالى ان شانيك هو
الابتر اي عدوك ومبغضك الابتر الحقير الذليل او المفرد
الوحيد او الذي لا خير فيه وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني
والقران العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال والقران العظيم ام
القران وقيل السبع المثاني ام القران والقران العظيم سايره وقيل
السبع المثاني ما في القران من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل
واعداد نعم واتيناك نبا القران العظيم وقيل سميت ام القران
مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله تعالى استثناها لمحمد صلى الله
عليه وسلم وذخرها له دون ساير الانبيا وسمى القران مثاني لان
القصص ثنيت فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات
الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة
وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر الاية وقال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وقال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا وقال تعالى اني رسول الله اليكم جميعا الاية قال
القاضي رحمه الله فهذه من خصايصه صلى الله عليه وسلم وقال تعالى
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم
بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال
عليه الصلاة والسلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل
التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو
ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى
من اتباع راي النفس وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة
كالامهات وحرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن
له ازواج في الاخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرا به الان

لمخالفته

لمخالفته المصحف وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية
قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سلف له في الازل واشار
الواسطي الى انها اشارة الى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى
صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبيا والمرسلين

الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضايل

الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم
الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال الجلال والكمال
في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة
الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله تعالى زلفى
ثم هي على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج
ويتداخل فاما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا
اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة
عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضايه
واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق
به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذايه ونومه وملبسه
ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الاخيرة
بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك
طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة واما
المكتسبة الاخروية فساير الاخلاق العلية والاداب الشرعية
من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والعفة
والتواضع والعفو والجود والشجاعة والحيا والمروة والصمت
والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها
وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في
الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها

ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه
ان شا الله وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله
والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضايل باتفاق اصحاب العقول
السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها

فصل قال القاضي رحمه الله تعالى

اذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد
منا يشرف بواحدة منها او اثنتين ان اتفقت له في كل عصر اما من
نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة حتى يعظم
قدره وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب
اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم
قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر
عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال
من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفا
والاسرا والروية والقرب والدنو والوحي والشفاعة
والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود
والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلاة
بالانبيا والشهادة بين الانبيا والامم وسيادة ولد ادم
ولوا الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي
العرش والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة
للعالمين واعطا الرضا والسول والكوثر وسماع القول
واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر وشرح الصدر
ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة
والتاييد بالملايكة وايتا الكتاب والحكمة والسبع
المثاني والقران العظيم وتزكية الامة والدعا الى الله تعالى
وصلاة الله والملايكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع

الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم
الجمادات والعجم واحيا الموتى واسماع الصم ونبع الما من بين اصابعه
وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان
والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح
الحصا وابرا الالام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتفل
ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد
له في الدار الاخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب
السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار
دون ادانيها الوهم

فصل ان قلت اكرمك
الله تعالى لا خفا على القطع بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس
قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في
تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها من
اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا **فاعلم** نور الله قلبي
وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت
الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته
صلى الله عليه وسلم حايزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون
خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع
واما الصورة وجمالها وتناسب اعضايه في حسنها
فقد جات الاثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث
من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة والبرا بن عازب وعايشة
ام المومنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد
وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعدا بن خالد
وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضي الله عنهم من انه صلى
الله عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج
ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملا صدره

سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام
عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين
سايل الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس
بالطويل البائن ولا القصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه
احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر
اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام
اذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه احسن الناس عنقا ليس
بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البرا ما رايت
من ذي لمة في حلة حمرا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ابو هريرة ما رايت شيا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلالا في الجدر وقال جابر
ابن سمرة وقال له رجل كان وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل السيف قال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت
ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه
واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلالا وجهه
تلالؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في آخر
وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول
ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والاحاديث
في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد
اختصرنا في وصفه نكت ما جا فيها وجملة مما فيه الكفاية
في القصد الى المطلوب ان شا الله تعالى وقد ختمنا هذه الفصول
بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك ان شا الله تعالى

فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه
ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله
تعالى في ذلك بخصايص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة

الشرع

الشرع وخصال الفطرة العشر وقال صلى الله عليه وسلم بني الدين
على النظافة حدثنا سفيان بن العاصي وغير واحد قالوا
ثنا احمد بن عمر ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا
ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن
انس رضي الله عنه انه قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيا
اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى
الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا
كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب او لم يمسها
يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي
فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه
وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه (على نطع)
فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في
طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه
الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه
احد الا عرف انه سلكه من طيبه وروى المزني عن
جابر اردفني النبي صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم النبوة بفمي
فكان ينم علي مسكا وذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت رائحته
بلا طيب صلى الله عليه وسلم وقد حكى بعض المعتنين باخباره
وشمايله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت
الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة
طيبة صلى الله عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي
في هذا خبرا عن عايشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى
الله عليه وسلم انك تاتي الخلا فلا نرى شيا من الاذى فقال
يا عايشة او ما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبيا
فلا يرى منه شي وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال

قوم من اهل العلم بطهارة هذين الحدثين منه صلى الله عليه
وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي وقد حكى القولين عن العلما
في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية
وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية
وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شي يكره ولا غير
طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى
الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيا فقلت
طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها
قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه
وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد
ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن
تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته
فقال له عليه الصلاة والسلام ويل لك من الناس وويل
لهم منك ولم ينكر عليه وقد روي نحو من هذا عنه في امراة
شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يامر
واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث
هذه المراة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري
اخراجه في الصحيح واسم هذه المراة بركة واختلف في نسبها
وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت
وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت
سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم
يجد فيه شيا فسال بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة
فشربته وانا لا اعلم وروى حديثها ابن جريج وغيره
وكان صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة وعن
عايشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال العلما ان بركة الحبشية شربت بوله صلى الله عليه وسلم وان ابا طيبة شرب دم النبي صلى الله عليه وسلم وهذه دلالة على طهارة ما خرج عنه صلى الله عليه وسلم ومثله في ذلك سائر الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

هذه المراة هي بركة الحبشية وجدته في الافادة

قط

قط وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله
غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له
غطيط فقام فصلى ولم يتوضى قال عكرمة لانه كان صلى الله عليه
وسلم محفوظا فصل واما وفور عقله وذكاؤه وقوة حواسه
وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمايله فلا مرية انه
كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم
وسياسته العامة والخاصة مع عجيب شمايله وبديع سيره
فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا
ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله
وثقوب فهمه لبديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقريره لتحققه وقد قال
وهب بن منبه قرات في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي
النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا وفي رواية اخرى
فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى
انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل
من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين وفي الموطا عنه عليه الصلاة والسلام اني لاراكم
من وراء ظهري ونحوه عن انس في الصحيحين وعن عايشة مثله قالت
زيادة زاده الله تعالى اياها في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر من
ورايي كما انظر من بين يدي وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين
يدي وحكى بقي بن مخلد عن عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم
يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رويته صلى الله

عليه وسلم الملايكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه
وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنا مسجده وقد حكي
عنه انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين
وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر
تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبيا وخصالهم كما اخبرنا
ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه ثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني
حدثتنا ام القسم بنت ابي بكر عن ابيها ثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد
الحسني ثنا محمد بن محمد بن سعيد ثنا محمد بن احمد بن سليمان ثنا محمد بن محمد
بن مرزوق ثنا همام ثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان
يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلما مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد
على هذا ان يختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسرا والحظوة
بما راى من ايات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة
اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية
وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مشيته كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير
مكترث وفي صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى
مشى تقلعا كانما ينحط من صبب فصل واما فصاحة اللسان
وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل
والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع
ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع
الكلم وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب فكان يخاطب كل امة منها

مع سلاسة

بلسانها

بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير
من اصحابه يسلونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من
تامل حديثه وسيره علم ذلك وليس كلامه مع قريش والانصار واهل
الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن
بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووايل بن حجر الكندي وغيرهم
من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها
ووهاطها وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها لنا من
دفيهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب
والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري وعليهم فيها
الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومذقها
وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من
اقام الصلاة كان مسلما ومن اتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان
لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا
تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة وكتب لهم
في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو
الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا
الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفا بالعهد والذمة ومن ابى
فعليه الربوة ومن كتابه لوايل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع
المشابيب وفيه وفي التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا
الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنا مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه
عاما ومن زنا مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة
في فرائض الله وكل مسكر حرام ووايل بن حجر يترفل على الاقيال اين هذا من
كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم

ومخضها صح

ولا ضنوكا
رآعاما ومن زنامم

على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين
للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في حديث
عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطيه واليد السفلى هي
المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله
في حديث العامري حين ساله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد
وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف
الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها
ما لا يوازي فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله صلى الله عليه وسلم
المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من
سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب
ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما
هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم
ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم
واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجلسا
يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون
وقوله ولعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو
الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال
واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله
اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس
بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك
هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم
القيمة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسالك رحمة تهدي بها قلبي

ويجمع

ويجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غايبي وترفع بها شاهدي
وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل
سوء اللهم اني اسالك الفوز في القضا ونزل الشهداء وعيش السعداء و
النصر على الاعدا الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته
وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك
مرقبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت
من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها
كقوله صلى الله عليه وسلم حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ
المومن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها ما يدرك
الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في اداني حكمها وقد قال له
اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل
القران بلساني لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش
ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة
البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى
التاييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت
ام معبد في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان
منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه
وسلم **فصل واما شرف نسبه** وكرم بلده ومنشئه فمما لا
يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفاء منه فانه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبة بني هاشم سلالة قريش واشرف وصميمها
العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة واكرم بلاد الله
على الله وعلى عباده • قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه
الله • القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف • ابو ذر عبد بن احمد •

ابو محمد السرخسي وابو اسحاق وابو الهيثم قالوا اه محمد بن يوسف
محمد بن اسماعيل اه قتيبة بن سعيد اه يعقوب بن عبد الرحمن
عن عمرو وعن سعيد المقبري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت
من القرن الذي كنت منه وعن العباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير
قرنهم ثم تخير القبايل فجعلني من خير قبيله ثم تخير البيوت فجعلني
من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم
اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني
كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني
هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر
رواه الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه و
اختار منهم بني ادم ثم اختار من بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختار
العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم فاختارني
من بني هاشم فلم ازل خيارا من خيار الى من احب العرب فبحبي
احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس ان
قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق ادم بالفي عام يسبح
ذلك النور وتسبح الملايكة بتسبيحه فلما خلق الله ادم القى ذلك
النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله
الى الارض في صلب ادم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب
ابراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة
حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة

هذا

هذا الخبر شعر العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور
فصل واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة
ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب
تختلف الاحوال فيه فاما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى
كل حال عادة وشريعة كالغذا والنوم ولم تزل العرب والحكما تتمادح
بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص
والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة جالب
لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلا الدماغ وقلته دليل
على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفا
الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف
وعدم الذكا والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر
في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على ما يعلم
ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة
والحكما السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث واثار
من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا او
اقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ
من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي
امر به وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالاخر ه ابو علي الصدفي
الحافظ بقراتي عليه ابو الفضل الاصفهاني ابو نعيم الحافظ
سليمان ابن احمد بكر بن سهل عبد الله بن صالح حدثني معاوية
بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب
ابن ادم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث

لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب قال
سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف
لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا وقد روي عنه صلى
الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي
كثرة الايدي وعن عايشة رضي الله عنها لم يمتلي جوف النبي صلى
الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا
يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا
يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل
سبب سواله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد
بيان سنته اذ راهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستاثرون عليه
به فصدق عليهم وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة
ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة و
خرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون
لا يصلح العلم لمن ياكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله
عليه وسلم اما انا فلا آكل متكيا والاتكا هو التمكن للاكل والتقعد
في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها
الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر
منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز
مقعيا ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد
وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك
نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة
ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على
جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنا لهدو

القلب

وتنعس كثيرا

القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى
الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام
النائم على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره
الاستغراق **فصل والضرب الثاني** ما يتفق التمدح بكثرته
والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا
وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته
عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة
ماثورة وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما افضل هذه الامة
اكثرها نسا مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه الصلاة
والسلام تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم ونهى عن التبتل مع ما فيه من
قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما الصلاة والسلام
بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج
حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حببن
الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد
الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك
عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد
ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضايل
وهذا يحيى بن زكريا صلى الله عليه وسلم وعليهما قد اثنى الله عليه
انه كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز عما يعده فضيلة وهذا
عيسى عليه السلام تبتل من النسا ولو كان كما قررته نكح فاعلم ان
ثنا الله على يحيى عليه السلام بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه
كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلما
وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبيا وانما معناه انه معصوم

تناسلوا

يوم القيامة

من الذنوب اي لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه
من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا
ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة
ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى صلى الله وسلم عليه او بكفاية من الله
تعالى كيحيى صلى الله وسلم عليه فضيلة زايدة لكونها شاغلة في كثير
من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها
وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة
نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه
بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن
وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان
كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من دنياكم فدل على ان
حبه لما ذكر من النسا والطيب اللذين من امور دنيا غيره واستعماله
لذلك ليس لدنياه بل لاخرته للفوايد التي ذكرناها في التزويج وللقا
الملايكة في الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك
اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته
وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت ملكوت مولاه
ومناجاته وكذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت
قرة عيني في الصلاة فقد ساوى يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام
في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم
ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد
الحراير ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان
يدور على نسايه في الساعة من الليل والنهار وهن احدي عشرة قال
انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا خرجه النسائي وروي

نحوه

نحوه عن ابي رافع من طاووس اعطي عليه الصلاة والسلام قوة
اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته
طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل
واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اطيب واطهر وقد قال سليمان
عليه الصلاة والسلام لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين
وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمان ما مائة رجل وكانت
له ثلاث مائة امراة وثلاث مائة سرية وحكى القاضي وغيره
سبع مائة امراة وثلاث مائة سرية وقد كان لداود عليه السلام
على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امراة وتمت بزوج
اوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا
اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس عنه عليه الصلاة
والسلام فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة
الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلا عادة
وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال الله تعالى في صفة عيسى
عليه الصلاة والسلام وجيها في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة
فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدحه
من مدحه وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض وكان صلى الله
عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل
النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويوذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا
امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سياتي بعضها
وقد كان يبهت ويفرق لرويته من لم يره كما روي عن قيلة انها لما
رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث

ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال هون عليك
فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته
بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفا والكرامة في الدنيا فامر هو
مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم وعلى معنى هذا الفصل
نظمنا هذا القسم باسره **فصل** واما الضرب الثالث فهو ما
تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله
كثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله
به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه
فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات
من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثنا
الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيله في صاحبه عند اهل الدنيا
واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الله الخير وقصد بذلك
الله والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه
ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كا
لعدم وكان منقصه في صاحبه ولم ينقذه على جدد السلامة
بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذاله فاذا التمدح بالمال
وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل بها الى غيره
وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه
وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد
من العقلا بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ هو بيده
من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال
له فكانه ليس في يده منه شي والمنفق ملي غني بتحصيله فوايد المال
وان لم يبق في يده من المال شي فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم

وخلقه

وخلقه في المال تجده قد اوتي خزاين الارض ومفاتيح البلاد واحلت
له الغنايم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم
بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانا ذلك من الشام
والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى
للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر بشي
منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى
به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه
دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت
منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام فقسمها
وقال الان استرحت ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله
واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه
وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة و
الكسا الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج
المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهات في الملابس والتزين
بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النسا والمحمود
منها نقا الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط
لمروة جنسه مما لا يودي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع
ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة
الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل
وتكثير الاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبي اليه بما
فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حايز لفضيلة المالية ومالك
للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زايدا عليها في الفخر ومعرق في
المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها



فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والاداب
الشريفة التي اتفق جميع العقلا على تفضيل صاحبها وتعظيم
المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على
جميعها وامر بها ووعد السعادة الدايمة للمتخلق بها ووصف
بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماه بحسن الخلق وهو
الاعتدال في قوي النفس واوصافها والتوسط فيها دون
الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه
وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله عليه
بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عايشة رضي الله عنها
كان خلقه القران يرضا برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه
الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال انس كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها
في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا
بجود الاهي وخصوصية ربانية وهكذا لساير الانبيا صلى الله عليه
وسلم عليهم ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك
كما عرف من حال موسى عليه وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم صلاة
وسلامه عليهم بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم
والحكمة في الفطرة قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي
يحيى عليه السلام العلم بكتاب الله في حال صباه وقال معمر كان ابن
سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب قال ما للعب خلقت
وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى عليهما السلام
وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه

وهو

وهو في بطن امه وكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني
يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لامه
عند ولادتها اياه بقوله الا تحزني على من قرا من تحتها وعلى قول
من قال ان المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني
عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال ففهمناها سليمان
وكلا اتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب
في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه
وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك
قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون
في قوله ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا
قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابدا خلقه
وقال بعضهم لما ولد ابراهيم بعث الله اليه ملكا يامره
عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل
افعل فذلك رشده وقيل ان القا ابراهيم عليه السلام في النار ومحنته
كانت وهو ابن ستة عشر سنة وان ابتلا اسحاق بالذبح وهو
ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكواكب والقمر والشمس
كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحي الى يوسف وهو صبي
عندما هم اخوته بالقائه في الجب بقوله تعالى واوحينا اليه
لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير ذلك من اخبارهم وقد حكى
اهل السير ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى
السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشات بغضت الي
الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله

الامرين فعصمهم الله منهما ثم لم تزل تتكامل لهم الامور صلى الله
وسلم عليهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف
في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفا الله تعالى لهم
بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة
ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما
وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون
جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية
من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن
السمت او الشهامة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد
بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة
يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين
يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف
السلف فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري
عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد
وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال وهو والصواب
ما اصلناه وقد روى عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل
الخلال يطبع عليها المومن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في حديثه والجراة والجبن غرايز يضعها الله حيث
يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة الشريفة كثيرة
ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه
وسلم بها ان شا الله تعالى فصل اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها
ونقطة دايرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة
ويتفرع عن هذا ثقوب الراي وجودة الفطنة والاصابة وصدق

الظن

27

الظن والمعرفة والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة
وحسن السياسة والتدبير واقتنا الفضايل وتجنب الرذايل
وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم
الغاية التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع
منه متحقق عند من تتبع مجاري احواله واطراد سيره وطالع
جوامع كلامه وحسن شمايله وبدايع سيره وحكم حديثه
وعلمه بما في التورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكما وسير
الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الايام وتقرير
الشرايع وتاصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلم
التي اتخذ اهلها كلامه عليه الصلاة والسلام فيها قدوة و
اشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرايض والنسب
وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته انشا الله تعالى دون تعليم
ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم
بل نبي امي لم يعرف بشي من ذلك حتى شرح الله صدره وابان
امره وعلمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة
بالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص
واحاد القضايا اذ مجموعها ما لا ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ
جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم
الى ساير ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان
وعجايب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم
تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير
فضله عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي
اليه فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع

المقدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم
حالة توقير وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس
النفس عند الالام والموذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة
واما العفو فهو ترك المواخذة وهذا كله مما ادب الله به
نبيه صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه خذ العفو وامر بالعرف
الاية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه
الاية سال جبريل عن تاويلها فقال له حتى اسال العالم ثم ذهب
فاتاه فقال يا محمد ان الله تبارك وتعالى يامرك ان تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك وقال له اصبر على ما
اصابك الاية وقال تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل
وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الاية وقال ولمن صبر وغفر ان
ذلك لمن عزم الامور ولا خفا بما يوثر من حلمه واحتماله صلى الله
عليه وسلم وان كل حليم قد عرفت منه زلة واحفظت عنه هفوة
وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى
اسراف الجاهل الا حلما ٭ ثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره
قال الواحد ثنا محمد بن عتاب قالوا ثنا ٭ ثنا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره
ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب
عن عروة عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس
منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة
الله فينتقم لله بها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج
وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم
فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم

لا يعلمون

لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي
انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على
الارض الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطي
ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا
فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الا
حسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم
يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا ثم اشفق
عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر او اهد ثم اظهر
سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال
فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها
وجه الله لم يزد في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذ
كرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت
ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث
بن الحرث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة
وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا وهو قائم والسيف مصلتا في يده فقال من يمنعك مني
فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم
وقال من يمنعك مني قال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجا الى
قومه فقال جيتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو
عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح
من الرواية وانه لم يواخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي
اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يواخذ

عبدالله ابن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم
في جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان
محمدا يقتل اصحابه وعن انس كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه
برد غليظ الحاشية فجذه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى
اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري
هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال
ابيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا
عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال
لانك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم
ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الاخر تمر قالت عايشة رضي
الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط
ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده شيا قط الا ان
يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امراة وجي اليه برجل
فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن
تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاء زيد بن سعنة
قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ
بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره
عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر
تامرني بحسن القضا وتامره بحسن التقاضي ثم قال له لقد بقي
من اجله ثلث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا
لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك لانه كان يقول ما بقي من
علامات النبوة شي الا وقد عرفتها في محمد الا اثنتين لم اخبرهما

يسبق

29

يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فا
خبرته بهذا فوجدته كما وصف والحديث من حلمه عليه الصلاة
والسلام فصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ياتي عليه
وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ
متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاسات قريش واذى
الجاهلية ومصابرته الشدايد الصعبة معهم الى ان اظفره
الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال شافتهم
وابادة خضرايهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني
فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي
يوسف لا تثريب عليكم الاية اذهبوا فانتم الطلقا وقال انس
هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم الاية وقال لابي سفيان
وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه
ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفيان
الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي يا رسول
الله ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم

فصل

واما الجود والكرم والسخاء والسماحة ومعانيها متقاربة وقد
فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم والسخاء والسماحة ومعناها
متقاربة وقد فرق بعضهم بعضا بفروق فجعلوا الكرم الانفاق
بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو
ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب

نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه ثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي رحمه الله ثنا القاضي ابو الوليد الباجي ثنا ابو ذر الهروي ثنا ابو الهيثم هو الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحاق البلخي قالوا ثنا ابو عبد الله الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال لا وعن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما يكون في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت خصاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة الاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت له على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فساله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف البشر

في وجهه

٣

في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفرا اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثا فاعطاني ملء كفيه حليا وذهبا قال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير وعن ابي هريرة اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصف قضاء ونصف نائل **فصل** واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون الخوف فكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه صلى الله عليه وسلم ثنا القاضي ابو علي الجياني فيما كتب الي ثنا القاضي سراج ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا ابو زيد الفقيه ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا ابن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن ابي اسحاق سمع البراء وساله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء وابو سفيان اخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما رئي يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين

فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وانا
اخذ بلجامها اكفها ارادة الا تسرع وابو سفيان اخذ بركابه ثم
نادى بالمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن
عمر ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي البأس
ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله
عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رايتني يوم
بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو
وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب
منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس كان النبي
صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس
ولقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فتلقاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرا
الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا
وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة
الا كان اول من يضرب ولما راه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين
محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدي
يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فلما راه يوم احد شد
ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث
بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير

اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة
تدادا منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى
قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك فقال لو كان ما بي بجميع
الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني
فمات بسرف في قفولهم الى مكة **فصل** واما الحيا والاغضا فالحيا
رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون
تركه خيرا من فعله والاغضا التغافل عما يكره الانسان بطبيعته وكان
النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حيا واكثرهم عن العورات
اغضا قال الله سبحانه ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم
الاية وثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي عليه قال ابو القاسم
حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد
بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبدان ثنا عبد الله ثنا شعبة عن
قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس حيا من العذراء في خدرها وكان اذا
كره شيا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة
رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حيا وكرم نفس وعن عايشة
رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه
لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون
كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى انس انه دخل عليه رجل به اثر
صفرة فلم يقل له شيا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له
يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عايشة في الصحيح لم يكن النبي صلى الله
عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من

رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص وروي عنه صلى الله
عليه وسلم انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان
يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عايشة ما رايت فرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم قط **فصل** واما حسن عشرته وادبه
وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت
به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه الصلاة
والسلام كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم
عريكة واكرمهم عشرة نا ابو داود نا هشام ابو مروان ومحمد بن
المثنى قالا نا ابو الوليد مسلم نا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير
يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن قيس بن سعد
قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في اخرها فلما اراد
الانصراف قرب له سعد حمارا وطا عليه بقطيفة فركب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية
اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها فابيت فقال لي
اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يولفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس
ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه
يتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان
احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو
المنصرف عنه ومن ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول
قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في

سوا

سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق
لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب
ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يوئس منه وقال الله تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من
حولك وقال ادفع بالتي هي احسن الاية وكان يجيب من دعاه و
يقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافي عليها قال انس خدمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال
لشي صنعته لم صنعته ولا لشي تركته لم تركته وعن عايشة
رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك
وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
منذ اسلمت ولا راني الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم
ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر
والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر
المعتذر قال انس ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فينحي راسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه وما اخذ احد
بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخذ ولم يُرَ مقدما ركبتيه بين يدي
جليس له وكان صلى الله عليه وسلم يبدا من لقيه بالسلام ويبدا
اصحابه بالمصافحة لم يُرَ قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق
بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويوثره بالوسادة
التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم
باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز
فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتها او قيام ويروى انه كان لا يجلس

ورسول الله صلى الله عليه وسلم

اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وساله عن حاجته
فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا
مالم ينزل عليه قران او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحارث
ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
انس كان خدم المدينة ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى
الغداة بانيتهم فيها الماء فما يوتى بانية الا غمس يده فيها وربما
كان ذلك في الغداة البارده يريدون به البركة **فصل**
واما الشفقة والرافة والرحمة لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين روف رحيم وقال وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال بعضهم من فضله عليه الصلاة
والسلام ان الله تعالى اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمومنين
روف رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك ثنا الفقيه ابو محمد
عبد الله بن محمد الخشني بقراتي عليه ثنا امام الحرمين ابو علي الطبري
ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابراهيم بن سفيان
ثنا مسلم بن الحجاج ثنا ابو الطاهر ثنا ابن وهب ثنا يونس عن
ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا
قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة
من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب ثنا سعيد بن المسيب ان
صفوان قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي
فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروي ان اعرابيا جاءه يطلب
منه شيا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب
المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله
وارسل اليه وزاده شيا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله

اهل

اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت
وفي نفس اصحابي من ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت
بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان
الغد او العشي جاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا
الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله
من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل
له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم
صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها
بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت
وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل
ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيا فاني احب ان اخرج اليكم
وانا سليم الصدر ومن شفقته على امته عليه الصلاة والسلام
تخفيفه عنهم وتسهيله عليهم وكراهته اشيا مخافة ان تفرض عليهم
كقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع
كل وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة
لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان
يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا
ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة
وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه صلى
الله عليه وسلم اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له ان الله قد سمع
قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم
فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم

الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من
اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيا وروى ابن المنكدر ان
جبريل عليه الصلاة والسلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله امر
السماء والارض والجبال ان تطيعك فقال اوخر عن امتي لعل الله
ان يتوب عليهم قالت عايشة رضي الله عنها ما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة
السامة علينا وعن عايشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا
وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليك بالرفق **فصل** واما خلقه صلى الله عليه وسلم
في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم **فحدثنا** القاضي ابو
عامر محمد بن اسماعيل بقراءتي عليه قال ثنا ابو بكر محمد بن محمد ثنا
ابو اسحاق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو
داود ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان ثنا ابراهيم بن طهمان عن
بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي
الحمساء بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت
له بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث
فجيت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا هاهنا
منذ ثلاث انتظرك وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي
بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة
انها كانت تحب خديجة وعن عايشة قالت ما غرت على امراة ما
غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة
فيهديها الى خلايلها واستاذنت عليه اختها فارتاح لها ودخلت
اليها

عليه

عليه امراة فهش لها واحسن السوال عنها فلما خرجت قال انها
كانت تاتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه
بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو
افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان ال بني فلان ليسوا لي باوليا
غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى صلى الله عليه وسلم بامامة
ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه واذا سجد وضعها واذا قام
حملها وعن ابي قتادة وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله
عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا
لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم ولما جي اليه باخته
من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداه
وقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت
الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت النبي
صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت منه
فبسط لها رداه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي
ارضعته وعن عمرو بن السايب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه
فقعد عليه ثم اقبلت امه من الرضاعة فوضع لها شق ثوبه من
الجانب الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان يبعث الى ثويبة
مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سال من بقي من قرابتها
فقيل لا احد وفي حديث خديجة رضي الله عنها انها قالت له صلى الله
عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق **فصل**

واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته
فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون
نبيا ملكا او يكون نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له
اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك
سيد ولد ادم يوم القيمة واول من تنشق الارض عنه واول
شافع نا الفقيه ابو الوليد بن العواد بقراتي عليه في منزله
بقرطبة سنة سبع وخمس مائة قال نا ابو علي الحافظ نا ابو
عمر نا ابن عبد المومن نا ابن داسة نا ابو داود نا ابو بكر
بن ابي شيبة نا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن
ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال
خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكيا على عصى فقمنا
له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال
انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب
الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقرا ويجيب
دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به
المجلس جلس وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما اطرت النصارى
ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس ان امراة
كان في عقلها شي جاته فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام
فلان في اي سكك المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال
فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها
وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة
العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف
قال وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج

صلى الله

صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم
فقال اللهم اجعله حجا مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت
عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة
ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على راحلته راسه حتى كاد يمس
قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله
لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبيا ولا تخيروني
على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث
يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية
ذاك ابراهيم وسياتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان
شا الله تعالى وعن عايشة والحسن وابي سعيد وغيرهم
في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان صلى الله عليه وسلم في
بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه و
يخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف
ناضحه وياكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق
وعن انس ان كانت الامة من اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شات حتى يقضي حاجتها ودخل
عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني لست
بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة دخلت
السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان
زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الرجل الى يد النبي صلى الله عليه وسلم
يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك
انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب
الشي احق بشيه ان يحمله فصل واما عدله صلى الله عليه

وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم
آمن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدق الناس لهجة
منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته
الامين قال ابن اسحاق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق
الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله
عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع
الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك
قبل نبوته فقالوا هذا محمد الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم
كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام
وقال صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض
ابو علي الصدفي الحافظ بقراتي عليه نا ابو الفضل بن خيرون نا
ابو يعلي بن زوج الحرة نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا
المروزي نا ابو عيسى الحافظ نا ابو كريب نا معاوية بن هشام
عن سفيان عن ابي اسحاق عن ناجية بن كعب عن علي عليه السلام
ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما
جيت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية وروي غيره لا
نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل
يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا
فتخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا الصادق
وما كذب قط وسال هرقل عنه ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه
بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحرث لقريش قد كان
محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة
حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله

ماهو

ماهو بساحر وفي الحديث عنه ما مست يده يد امراة قط لا يملك
رقها وفي حديث علي رضي الله عنه في وصفه عليه الصلاة والسلام
اصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل
خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عايشة ما خير رسول الله صلى الله
عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان
ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح
يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم
الشمس للحوايج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ولكن نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم جزا نهاره ثلاثة اجزا جزا لله وجزا لاهله وجزا
لنفسه ثم جزا جزاه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة
على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من
ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد ولا يصدق
احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه عنه صلى
الله عليه وسلم ما هممت بشي مما كان اهل الجاهلية يعملون به
غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد منه ذلك ثم ما هممت بسو
حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي
غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى
جيت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس
بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس
فرجعت ولم اقض شيا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسو

فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته

وحسن هديه محمد دنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت
بكتابه قال دنا ابو العباس الدلائي اه ابو ذر الهروي اه ابو عبد الله
الوراق دنا اللولوي دنا ابو داود دنا عبد الرحمن بن سلام دنا حجاج
بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهب
سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس
في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك
كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة انه
تربع وربما جلس القرفصا وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا
يتكلم في غير حاجة يعرض عن من تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه
فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا
له واقتدا به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الا
صوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم
الطير وفي صفته يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب
وفي الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته انه غير
غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود ان
احسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله كان
في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هالة
كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عايشة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه
وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرايحة الحسنة ويستعملها كثيرا
ويحض عليها ويقول حبب الي من دنياكم النسا والطيب وجعلت
قرة عيني في الصلاة ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في

الطعام

الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقا البراجم
والرواجب واستعمال خصال الفطرة **فصل** واما زهده
صلى الله عليه وسلم في الدنيا فقد تقدم من الاخبار في اثناء هذه
السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد
سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها الى ان توفي صلى الله
عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو
ويقول اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا دنا سفيان بن العاصي والحسين
بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا دنا احمد بن عمر دنا
ابو العباس الرازي قال دنا ابو احمد الجلودي دنا ابن سفيان دنا ابو
الحسين بن الحجاج دنا ابو بكر بن ابي شيبة دنا ابو معاوية عن الاعمش
عن ابراهيم عن الاسود عن عايشة قالت ما شبع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية
اخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لاعطاه الله تعالى
ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع ال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من خبز بر حتى لقي الله وقالت عايشة ما ترك رسول الله صلى
الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن
الحرث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت عايشة
ولقد مات وما في بيتي شيء ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رق لي
وقال لي اني عرض علي ان يجعل لي بطحا مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما
واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما
اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وفي حديث اخر ان جبريل عليه
السلام نزل عليه فقال له ان الله يقريك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل
لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال

يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا
لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عا
يشة رضي الله عنها قالت ان كنا ال محمد لنمكث شهرا ما نستوقد
نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن
عايشة وابي امامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا
لا يجدون عشاء وعن انس قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا
قط وعن عايشة رضي الله عنها وعن عايشة انما كان فراشه الذي
ينام عليه ادما حشوه ليفا وعن حفصة كان فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه
له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتموا لي الليلة فذكرنا ذلك له
فقال ردوه بحاله فان وطاته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام
احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يوثر في جنبيه وعن عايشة
قالت لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوا
الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جايعا
يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شا سال ربه
جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي رحمة له
مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك
الفدا لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عايشة ما لي وللدنيا اخواني
من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم
فقدموا على ربهم فاكرم ماابهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت

في معيشتي

في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شي هو احب الي من اللحوق
باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد ذلك الا شهرا حتى توفي صلى الله
عليه وسلم **فصل** واما خوفه من ربه وطاعته له وشدة عبادته
فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما **ثنا**ه ابو محمد بن عتاب قراءة مني
عليه قال ثنا ابو القسم الطرابلسي ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد
المروزي ثنا ابو عبد الله الفربري **ثنا محمد** بن اسماعيل ثنا يحيى بن
بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان
ابا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي
رفعه الى ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت
السماء وحق لها ان تيط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع
جبهته ساجد لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون
الى الله لوددت اني شجرة تعضد روي هذا الكلام وددت اني شجرة
تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي
حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة
وقالت عايشة كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم
يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر
حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس وقال كنت
لا تشا ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نايما الا رايته نايما
وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك

ثم توضى ثم قام يصلي فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة فلا يمر
باية رحمة الا وقف وسال ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ
ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت
والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرا ال عمران ثم سورة سورة يفعل
مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس
بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرا البقرة وال عمران
والنسا والمايدة وعن عايشة قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم باية من القران ليلة وعن عبد الله بن الشخير
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه
ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة كان صلى الله عليه
وسلم متواصل الاحزان دايم الفكرة ليست له راحة وقال
عليه الصلاة والسلام اني لاستغفر الله في اليوم مائة
مرة ويروى سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة
راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق
مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم
سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والفقر
والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة
حسبي والحيا خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث
اخر وثمرة فوادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي
الى ربي فصل اعلم وفقنا الله واياك ان صفات
جميع الانبياء والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق
وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع

المحاسن

٣٩

المحاسن هي هذه الصفة لانها من صفات الكمال والكمال والجمال والتمام
البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم وسلامه اذ رتبتهم
اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم
على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال
ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال عليه الصلاة والسلام
ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال اخر
الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم عليه السلام
طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة رايت موسى
فاذا هو رجل ضرب رجل اقنى كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى
فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس
وفي حديث اخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابراهيم به
وقال في حديث اخر في صفة موسى كاحسن ما انت راء من
ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث
الله تعالى من بعد لوط نبيا الا في ذروة من قومه ويروى ثروة
اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني
من حديث قتادة عن انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه
حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي
حديث هرقل وسالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك
الرسل تبعث في انساب قومها وقال الله تعالى في ايوب انا وجدناه
صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة
الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين
وقال ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران الايتين وقال
في نوح انه كان عبدا شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح

ايا الصالحين وقال اني عبد الله اتاني الكتاب الى مادمت حيا
وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى الايه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم موسى كان رجلا حييا ستيرا لا
مايرى من جسده شي استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب
لي ربي حكما الاية وقال في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين
وقال ان خير من استاجرت القوي الامين وقال فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا
الى قوله فبهداهم اقتده ووصفهم باوصاف جمة من الصلاح و
الهدى والاجتبا والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم
وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين وقال
ستجدني ان شا الله من الصابرين وقال في اسماعيل انه كان صادق الوعد
الايتين وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمان نعم العبد انه اواب
وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار
الى الاخيار وفي داود انه اواب وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل
الخطاب وقال عن يوسف اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم
وفي موسى ستجدني ان شا الله صابرا وقال عن شعيب ستجدني ان شا
الله من الصالحين وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد
الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله وقال تعالى ولوطا
اتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية قال سفيان
هو الحزن الدايم في اي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم
الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله عليه الصلاة
والسلام انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب
بن اسحاق بن ابراهيم بن ابن نبي ابن نبي ابن نبي وفي حديث انس وكذلك

الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان كان مع
ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان
يطعم الناس لذايذ الاطعمة وياكل خبز الشعير واوحي اليه يا
راس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو
على الريح في جنوده فيامر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي
وقيل ليوسف مالك تجوع وانت على خزاين الارض قال اخاف ان اشبع
فانسى الجايع وروى ابو هريرة عنه عليه الصلاة والسلام خفف على داود
القران فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج ولا ياكل
الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر
في السرد وكان سال ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله
وقال عليه الصلاة والسلام احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب
الصيام الى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر وياكل
خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم يرضاحكا بعد
الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السما حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته
كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في
خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثنا عنه
فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه الصلاة والسلام لو اتخذت حمارا
قال انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر وياكل
الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه
ان يقال له يا مسكين وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام لما ورد
ماء مدين كانت ترى خضرة البقل من بطنه من الهزال وقال عليه
الصلاة والسلام لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل

وكان ذلك احب اليهم من العطا اليكم وقال عيسى عليه الصلاة و
السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان
اعود لساني المنطق بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب
وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدموع مجرا في خده وكان
ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب
ان موسى كان يستظل بعريش وياكل في نقرة من حجر ويكرع فيها
اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه
واخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق
وحسن الصور والشمايل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت
الى ما تجده في كتب بعض جهلة المورخين او المفسرين مما يخالف
هذا **فصل** قد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة و
الفضايل المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له صلى
الله عليه وسلم وجلبنا من الاثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال
هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الادلا
وبحر علم خصايصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما
اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل
وغيض من فيض ورايناان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن
عن ابن ابي هالة لجمعه من شمايله واوصافه كثيرا وادماجه جملة
كافية من سيره وفضايله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله
ثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراتي عليه
سنة ثمان وخمسماية قال ثنا الامام ابو القسم عبد الله بن طاهر التميمي
قراة عليه قلت اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن
الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن

المهدي

المهدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا ثنا
ابو القسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال ثنا ابو سعيد
الهيثم بن كليب الشاشي ثنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة
الحافظ قال ثنا سفيان بن وكيع ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي
املا من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد ابن ابي هالة زوج
خديجة ام المومنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة
عن الحسن بن علي بن ابي طالب رحمه الله قال سالت خالي هند بن
ابي هالة قال القاضي ابو علي رحمه الله وقرات على الشيخ ابي طاهر
احمد بن الحسن بن احمد بن خذاداد الكرجي الباقلاني قال واجاز لنا
الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا اخبرنا ابو علي
الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران
الفارسي قرات عليه فاقر به قال ثنا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن
الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن ابي طالب المعروف
بابن اخي طاهر العلوي قال ثنا اسماعيل محمد بن اسحاق بن جعفر بن
محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن
محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن
ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ بهذا
السند سالت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيا اتعلق به قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلالا وجهه تلالا القمر ليلة
البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل
الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنه
اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير

قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه
من لم يتامله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب
مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفا
الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر
بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة
والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين ما سوى ذلك اشعر
الذراعين والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة
شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف سبط العصب خمصان
الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا
ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط
من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض
اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدا
من لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة
ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه
ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس
بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيا لم يكن يذم
ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض الحق بشيء حتى ينتصر
له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها واذا
تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى
واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر
عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته
عن هذا فوجدته قد سبقني اليه فسال اباه عن مدخل رسول الله ﷺ
ومخرجه

ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيا قال الحسين سالت
ابي عليه السلام عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
كان دخوله لنفسه ماذونا له في ذلك فكان اذا اوى الى منزله
جزا دخوله ثلاثة اجزا جزا لله تعالى وجزا لاهله وجزا
لنفسه ثم جزا جزاوه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة
بالخاصة ولا يدخر عنهم شيا فكان من سيرته في جزء الامة
ايثار اهل الفضل باذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين منهم
ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل
بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من مسالته عنهم واخبارهم
الذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وابلغوني
حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا
حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر
عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفيان بن
وكيع يدخلون روادا ولا يفترقون الا عن ذواق ويخرجون
ادلة يعني فقها قلت اخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع
فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما
يعنيهم ويولفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم
ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره
وخلقه ويتفقد اصحابه ويسال الناس عما في الناس ويحسن الحسن
ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف
لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق
ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده
اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة

فسالته عن مجلسه عما كان يصنع فيه صلى الله عليه وسلم فقال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر
ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس
حيث ينتهي به المجلس ويامر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه
حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من ساله حاجة لم يرده
الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار
لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى
وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سوا مجلسه مجلس حلم وحيا
وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى
فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون بالتقوى متوا
ضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويرفدون ذا الحاجة
ويرحمون الغريب فسالته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه
فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دايم البشر سهل الخلق لين
الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا
مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من
ثلاث الرياء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث
كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما
يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير واذا
سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا
له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب
مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا
رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثنا الا من مكافي

ولا

ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتها او قيام
هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان
سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر — العلم صح
والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين
الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم
في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر اربع اخذه
بالحسن ليقتدي به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الراي بما اصلح
امته والقيام لهم بما جمع لهم من امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف
بحمد الله وعونه فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله
قوله المشذب اي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث
الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كانه مشط فتكسر
قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الراس اراد ان انفرقت
من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصة وازهر
اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وهذا
كما قال في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق
هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون ومثله في الحديث الاخر
ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر
الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل
قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في
حديث ام معبد وصفته بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة
وفي الحديث الاخر اشكل صفة العين واشهل العين وهو الذي في بياضها
حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل
رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق ما بين

والسرة

الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة
بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله
في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمترهل اللحم
والمكلثم القصير الذقن وسوا البطن والصدر اي مستويهما ومشيح
الصدر ان صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد معاني
اشاح اي كانه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن
فيه وبه يتضح قوله قبل سوا البطن والصدر اي ليس بمتقاعس
الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم
بمعنى عريض كما وقع في الرواية الاخرى وحكاه بن دريد والكراديس
رؤوس العظام وهو مثل قوله في الحديث الاخر جليل المشاش والكتد
والمشاش رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين
والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسايل الاطراف
اي طويل الاصابع وذكر بن الانباري انه روي سايل الاطراف او
قال سابن بالنون قال وهما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان
صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة
الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة
اي واسعها وقيل كني به عن سعة العطا والجود خمصان الاخمصين
اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من
القدم ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء
وفي حديث ابي هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطي بقدمه وطي
بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين
وبه قالوا سمي المسيح ابن مريم عليهما السلام اي لم يكن له اخمص
وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين

والتقلع

والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده
والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه
كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية
المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة
كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختتمه با
شداقه اي بسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم
واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك
بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة
اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في
جزء اخر للعامة ويدخلون روادا اي محتاجين اليه وطالبين
لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه
ويشبه ان يكون على ظاهره اي في الغالب والاكثر والعتاد العدة
والشي الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن
اي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا
مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما
يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اي لا يذكرون بسوء
ولا تنثى فلتاته اي لا يتحدث بها اي لم يكن فيه فلتة وان كانت
من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله
ولا يقبل الثنا الا من مكافي قيل مقتصد في ثنايه ومدحه وقيل
الا من مكافي على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم ويستقدم
يستخفه وفي حديث اخر في وصفه منهوس العقب اي قليل لحمها
واهدب الاشفار اي طويل شعرها

الباب الثالث فيما
ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظم قدره عند

ربه ومنزلته وملخصه به في الدارين من كرامته صلى
الله عليه وسلم لاخلاف انه اكرم البشر وسيد البشر وسيد
ولد ادم وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم
زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا
منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني
عشر فصلا **الفصل الاول** فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه
والاصطفا ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد ادم وما
خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب اخبرنا
الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال ثنا ابو
الحسين المرغاني حدثتنا ام القسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن
ابيها ثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى هو ابن اسماعيل عن يحيى الحماني
ثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين
فجعلني من خيرهم قسما فلذلك قوله اصحاب اليمين فانا من اصحاب
اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني
في خيرها ثلثا وذلك قوله اصحاب الميمنة واصحاب المشامة
والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير السا
بقين ثم جعل الاثلاث قبايل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك
قوله وجعلناكم شعوبا وقبايل فانا اتقى ولد ادم واكرمهم
على الله ولا فخر ثم جعل القبايل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا
فذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية
وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله متى
وجبت لك النبوة قال وادم بين الروح والجسد وعن واثلة

بن

بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى
من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى
من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم ومن حديث انس انا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر
وفي حديث ابن عباس انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن
عايشة عنه عليه الصلاة والسلام اتاني جبريل فقال قلبت
مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني
اب افضل من بني هاشم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتي بالبراق ليلة اسري به مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال
له جبريل بمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض
عرقا وعن ابن عباس عنه عليه الصلاة والسلام لما خلق الله ادم
اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة
وقذف بي في النار في صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة
الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح
قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فيه
من قبلها طبت في الظلال وفي ٭ مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ٭ انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ٭ الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم ٭ اذا مضى عالم بدا طبق
وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو
هريرة وجابر بن عبد الله قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم
يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم



ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي
رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض
علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر
والاسود قيل الاسود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من
السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود
الجن وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة نصرت بالرعب واوتيت جوامع
الكلم وبينا انا نايم اذ جي بمفاتيح خزاين الارض فوضعت في يدي وفي
رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر انه قال عليه الصلاة
والسلام اني فرط لكم وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي
الآن واني قد اعطيت مفاتيح خزاين الارض واني والله ما اخاف
عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تتنافسوا فيها وعن
عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي
لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار
وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت بين يدي الساعة ومن رواية
ابن وهب انه عليه الصلاة والسلام قال قال الله تعالى سل يا محمد
فقلت ما اسل يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت
نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى
يا محمد ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع
اسمي ينادي به في جوف السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك
وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت تمشي في الناس مغفورا
لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها
وخبات لك شفاعتك ولم اخبها لنبي غيرك وفي حديث اخر
رواه حذيفة بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي

سبعون

سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني
الا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى
بين يدي شهرا وطيب لي ولامتي المغانم واحل لنا كثيرا مما شدد
على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة عنه
عليه الصلاة والسلام ما من نبي من الانبيا الا وقد اعطي من الايات
ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي
فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين
بقا معجزته ما بقيت الدنيا وساير معجزات الانبيا ذهبت للحين ولم
يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القران يقف عليها قرن بعد قرن عيانا
لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطناه
القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا اخر باب المعجزات وعن علي رضي
الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته واعطي نبيكم صلى الله
عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار
وعلي وابناه وحمزة وجعفر وابو ذر والمقداد وسلمان وحذيفة
وبلال رضي الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة
الفيل وسلط عليها رسوله والمومنين وانها لا تحل لاحد بعدي وانما
احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان ادم
منجدل في طينته وعدة ابي ابراهيم وبشارة عيسى ابن مريم وعن
ابن عباس قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى
الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان الله قال
لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال لمحمد انا فتحنا
لك فتحا مبينا قالوا فما فضله على الانبيا قال ان الله قال وما ارسلناك

من رسول الا بلسان قومه الايه وقال الله وما ارسلناك الا كافة
للناس وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روي
نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة
ابي ابراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى
ورات امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضا له قصور بصرى
من ارض الشام واسترضعته في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ
لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث
اخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوة ثلجا فاخذاني فشقا
بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا
منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سودا فطرحاها ثم غسلا
قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه وقال في حديث اخر ثم تناول
احدهما شيا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي
فامتلا ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الاخر يده على مفرق صدري
فالتام وفي رواية ان جبريل قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان
تبصران واذنان سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة
من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بماية من امته فوزنني بهم
فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني فوزنتهم فقال دعه
عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال في الحديث الاخر ثم ضموني
الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم
ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية
هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك وملايكته
قال في حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر
معاينة

معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان
ادم عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر خطيئتي
ويروى تقبل توبتي فقال له من اين تعرف محمدا فقال رايت في كل موضع
من الجنة مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي
ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له
هذا عند قايله تاويل قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب
عليه وفي الرواية الاخرى فقال ادم لما خلقتني رفعت راسي الى
عرشك فاذا مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس
احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه
وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال
وكان ادم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر وروي عن سريج بن يونس
انه قال ان لله ملايكة سياحين عبادتها كل دار فيها احمد او محمد
اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي الحمرا
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السما اذا على العرش
مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس
في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا
لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن
يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد
عبدي ورسولي وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله
الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة
مكتوب لا اله الا انا محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري انه
شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب
لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند

وردا احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروي
عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم
من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه الصلاة والسلام
وروي بن القسم في سماعه وابن وهب في جامعهما عن مالك رحمه الله
سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا
ورزق جيرانهم وعنه عليه الصلاة والسلام ما ضر احدكم ان يكون
في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود ان الله نظر
الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد عليه الصلاة والسلام فا
صطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان
تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل
الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا
الحديث **فصل** في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسرا من المناجات
والروية وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما
راى من ايات ربه الكبرى ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام
قصة الاسرا وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه
الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الاية وقال والنجم
اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين
في صحة الاسرا به عليه الصلاة والسلام اذ هو نص القران وجاءت
بتفصيله وشرح عجايبه وخواص نبينا صلى الله عليه وسلم فيه احاديث
كثيرة منتشرة راينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب
ذكرها ثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بكر بسماعي عليهما وقالا

ابو عبد الله

ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا ثنا ابو العباس العذري
ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج
حدثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن انس بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض
طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال
فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء
ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء
من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج
بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم صلى الله عليه
وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح
جبريل فقيل من انت فقال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى ابن مريم
ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما وسلم فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج
بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف
صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا
لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فذكر مثله فاذا انا بادريس صلى
الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه
مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهرون
عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة
فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى
السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم صلى الله عليه وسلم
مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو كل يوم يدخله سبعون الف

الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى السدرة المنتهى فاذا ورقها
كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله
ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها
من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة
في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك فقلت
خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك
لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت
الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى
موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع
الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين يدي ربي تبارك
وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات
كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة
فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة
فلم يعملها لم تكتب عليه شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال
فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك
فسله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت
الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رضي الله عنه جود ثابت
رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شاء فلم يات احد عنه باصوب
من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من
رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجي الملك له وشق بطنه
وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال
شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسرا
ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت

قبل

قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية
حماد بن سلمة ايضا مجي جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب
مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة
من حديث الاسرا كما رواه الناس فجود في القصتين في ان الاسرا
الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كانت قصة واحدة وانه
وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من هناك فازال كل اشكال اوهمه
غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل
ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب
ممتلي حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقها ثم اخذ بيدي فعرج
بنا الى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن
مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتاخير وزيادة ونقص وخلاف
في ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود
وقد وقعت في حديث الاسرا زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في
غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي
الصالح والاخ الصالح الا ادم وابراهيم فقالا والابن الصالح وفيه
من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف
الاقلام وعن انس ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها
الوان لا ادري ما هي قال ثم دخلت الجنة وفي حديث مالك بن
صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك
قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل
من امتي وفي حديث ابي هريرة وقد رايتني في جماعة من

الانبياء فحانت الصلاة فامهتم فقال قايل يا محمد هذا مالك
خازن النار فسلم عليه فالتفت فبداني بالسلام وفي حديث ابي
هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة
فصلى مع الملايكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا
معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل
اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم
الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد
منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي
صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال
كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين
وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي القرآن فيه تبيانا لكل شيء
وجعل امتي خير امة وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم
الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري
ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم
بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء
الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود وانتهى بي الى
سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من
الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض
منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي
رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه سدرة
المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على سبيلك وهي
السدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء
غيراسن

غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما
قال وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملايكة قال فهو
قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال الله تبارك وتعالى له سل
فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى
تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له
الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين
والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت موسى التوراة
وعيسى الانجيل وجعلته يبري الاكمه والابرص واعذته وامه
من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى
قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلتك
للناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الاخرون وجعلت
امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك
اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم
اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي
لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى
قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات
الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا
من امته المقحمات وقال ما كذب الفواد ما راى الاية راى جبريل
في صورته له ستماية جناح وفي حديث شريك انه راى موسى
في السابعة قال بتفضيل كلام الله تعالى قال ثم علا به فوق ذلك
بما لا يعلمه الا الله تعالى فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد
روي عن انس رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا
ببيت المقدس وعن انس رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه الصلاة

في سبعين

خليلا

والسلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطاير فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى فنمت حتى سدت الخافقين ولو شيت لمسست السما وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل كانه حلس لاطي فعرفت فضل علمه بالله تعالى ففتح لي باب السما ورايت النور الاعظم واذا دوني الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم اوحى الله الي ما شا ان يوحي الي **وذكر** البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فام اهل السما فيهم ادم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض **قال القاضي رحمه الله تعالى** ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب وهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصايرهم وادراكاتهم بما شا وكيف شا ومتى شا كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم

يومئذ لمحجوبون **فقوله** في هذا الحديث الحجاب واذا خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراه من ملايكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجايب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي خرج من وراه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل على ان هذا الحجاب لم يختص بالذات **ويدل** عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملايكة وعندها يجدون امر الله تعالى لا يجاوزها علمهم **واما قوله** الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن او امرا ما من عظيم اياته او مبادي حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى واسئل القرية التي كنا فيها اي اهلها **وقوله** فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال تعالى ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رويته فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى راه والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل ثم اختلف السلف

والعلما هل كان اسرا بروحه او جسده على ثلاث مقالات **فذهبت** طايفة الى انه اسرا بالروح وانه رويا منام مع اتفاقهم ان رويا الانبيا حق ووحي والى هذا ذهب معاويه **وحكي** عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحاق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرويا التي اريناك وما حكوا عن عايشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقوله** بينا انا نايم وقول انس رضي الله تعالى عنه وهو نايم في المسجد

الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت وانا بالمسجد
الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسرا بالجسد
وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي
حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة
وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق
ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عايشة وهو قول الطبري
وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين
من الفقها والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت
طايفة كان الاسرا بالجسد يقظة من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى والى السماء بالروح واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد
الاقصى غاية الاسرا الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة
والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة
له بالاسرا اليه قال هولاء ولو كان الاسراء بجسده الى زايد
على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت
هذه الفرقتان هل صلى صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس ام لا ففي
حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة
ابن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال
القاضي رضي الله تعالى عنه والحق من هذا والصحيح ان شاء
الله تعالى انه اسرا بالجسد والروح في القصة كلها وعليه
تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر
والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة وليس في الاسرا بجسده
وحال يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل
بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما

لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه ولا ارتد
به ضعفا من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم
يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته
الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبيا ببيت المقدس في رواية
انس او في السما على ما روى غيره وذكر مجي جبريل له بالبراق وخبر
المعراج واستفتاح السما فيقال ومن معك فيقول محمد ولقايه الانبيا
فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه في فرض الصلاة ومراجعته
مع موسى صلى الله عليهما وسلم في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ
يعني جبريل عليه الصلاة والسلام بيدي فعرج بي الى السما الى قوله ثم
عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة
المنتهى وانه دخل الجنة وراى فيها ما ذكره قال ابن عباس رضي الله
عنهما هي رويا عين راها النبي صلى الله عليه وسلم لا رويا منام وعن
الحسن فيه بينا انا جالس في الحجر جاني جبريل فهمزني بعقبه فقمت
فجلست فلم ار شيا فعدت لمضجعي فذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة
فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق
وعن ام هاني ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي
تلك الليلة صلى العشا الاخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هاني لقد
صليت معكم العشا الاخرة كما رايت بهذا الوادي ثم جيت بيت المقدس
فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون وهذا بين في انه
بجسمه وعن ابي بكر رضي الله تعالى عنه من رواية شداد بن اوس عنه
انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله البارحة
في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل صلى الله عليه وسلم حمله الى المسجد
الاقصى وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا

بعضدي

بلك قايم معه اية ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير
مستحيلة وعن ابي ذر رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم فرج
سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فشرح صدري ثم
غسله بماء زمزم الى اخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس رضي الله تعالى
عنه اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم لقد رايتني في الحجر وقريش تسالني عن
مسراي فسالتني عن اشيا لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه
الله تعالى لي حتى انظر اليه ونحوه عن جابر رضي الله تعالى عنه وقد
روي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في حديث الاسرا عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن جانبها

فصل في ابطال حجج من قال انها

نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة
للناس فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي اسرى يرده لانه
لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين
واسرا بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد
يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة
على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية فذهب بعضهم الى انها
نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل
غير هذا واما قولهم انه قد سماها في الحديث مناما وقوله
في حديث اخر بين النايم واليقظان وقوله ايضا وهو نايم وقوله ثم
استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان
وهو نايم او اول حمله والاسرا به وهو نايم وليس في الحديث انه كان نايما
في القضية كلها الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام
فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت واستيقظ من نوم اخر بعد وصوله بيته
ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه وقد يكون قوله

استيقظت

استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت
السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملا الاعلى وما راى من
ايات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام
ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى
لفظه ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبيا حق تنام اعينهم
ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال
تغمض عينيه لئلا يشغله شي من المحسوسات عن الله عز وجل ولا يصح
ان يكون هذا في وقت صلاته بالانبيا ولعله كانت له في هذه الاسراات
ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا عن هيئة النايم من الاضطجاع
ويقويه قوله تعالى في رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نايم وربما
قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا انا نايم في الحطيم وربما قال في
الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النايم واليقظان فيكون
سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النايم غالبا وذهب
بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب
الواقعة في هذا الحديث انما هي من رواية شريك عن انس فهي منكرة من
روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه
الصلاة والسلام قبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسرا
باجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس
مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه
من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب
مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث
واما قول عايشة رضي الله تعالى عنها ما فقدت جسده فعايشة
لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينيذ زوجه ولا في سن من يضبط
ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسرا متى كان فان الاسرا
كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام

ونصف وكانت عائشة في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسرا
لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك
تطول وليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عائشة دل انها حدثت
بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه
مما وقع نصا في حديث ام هانئ وغيره **وايضا** فليس حديث
عائشة بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هاني
وما ذكرت فيه خديجة رضي الله تعالى عنها **وايضا** فقد روي
في حديث عائشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم
الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده
لانكارها ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما
لم تنكره **فان قيل** فقد قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى فقد
جعل ما راه اي لم يوهم للقلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة
عين وحس **قلنا** يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد
اضاف الامر للبصر وقد قال اهل التفسير في قوله تعالى ما كذب
الفؤاد ما راى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها
وقيل ما انكر قلبه ما راته عينه صلى الله عليه وسلم

فصل واما رؤيته صلى الله

عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف السلف فيها فانكرته عائشة رضي الله
تعالى عنها **حدثنا** ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ
بقراتي عليه قال **حدثني** ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا
ثنا القاضي يونس بن مغيث **ثنا** ابو الفضل الصقلي **ثنا** ثابت
بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا **ثنا** عبد الله بن علي **ثنا** يحيى
ابن ادم **ثنا** وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعائشة
رضي الله تعالى عنها يا ام المؤمنين هل راى محمد ربه فقالت لقد
قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك

ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار الاية وذكر
الحديث وقالت جماعة بقول عائشة رضي الله عنها وهو المشهور
عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنهما انه انما
راى جبريل عليه الصلاة والسلام واختلف عنه وقال بانكار هذا
وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقها والمتكلمين **وعن**
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه راه بعينه **وروى** عطا عنه انه راه
بقلبه **وعن** ابي العالية عنه انه راه بفؤاده مرتين **وذكر**
ابن اسحاق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس رضي الله عنهم يساله هل راى محمد
ربه فقال نعم والاشهر عنه انه راى ربه بعينه روي ذلك من طرق عنه
وقال ان الله تعالى اختص موسى صلى الله عليه وسلم بالكلام
وابرهيم عليه الصلاة والسلام بالخلة ومحمدا صلى الله عليه
وسلم بالرؤية **وحجته** قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى
افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى **قال الماوردي**
قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليهما
وسلم فراه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين **وحكى ابو الفتح** الرازي
وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب **وروى** عبد الله بن الحرث
قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول
ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد راى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته
الجبال وقال ان الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى صلى
الله عليهما وسلم فكلمه موسى وراه محمد بقلبه **وروى** شريك عن
ابي ذر رضي الله تعالى عنهما في تفسير الاية قال راى النبي صلى الله
عليه وسلم ربه **وحكى السمرقندي** عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رايت ربك قال رايته بفؤادي
ولم اره بعيني **وروى** مالك بن يخامر عن معاذ رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد

فيم يختصم الملأ الأعلى الحديث وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان
يحلف بالله لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه وحكاه ابن عمر الطلمنكي عن عكرمة
وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة رضي الله عنه هل رأى
محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقال نعم وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل
رضي الله عنهما أنه قال أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه حتى
انقطع نفسه يعني نفس أحمد وقال أبو عمر قال أحمد بن حنبل رآه
بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالأبصار وقال
سعيد بن جبير رضي الله عنه لا أقول رآه ولا لم يره وقد اختلف
في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي
عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى
جبريل وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال رآه وعن
ابن عطا في قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية
وشرح صدر موسى للكلام وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري
وجماعة من أصحابه أنه رأى الله تعالى ببصره وعيني رأسه وقال
كل آية أوتيها نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد أوتي مثلها
نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف
بعض شايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل قاطع ولكنه جائز أن يكون
قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه والحق الذي لا امتراء
فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها
والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى صلى الله عليه وسلم
لها ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه
بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته
من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله فقال له الله تعالى لن تراني
أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو أقوى من بنيته

ع وبعيني بصره

ع ورآه مرة صح

موسى وأثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا
بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها
ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة
لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الأبصار لاختلاف
التأويلات في الآية وإذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة
وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية
وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار
وقيل لا تدركه الأبصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس رضي الله
عنهما وقد قيل لا تدركه الأبصار وإنما يدركه المبصرون وكل
هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك
لا حجة لهم بقوله لن تراني الآية وقوله تبت إليك لما قدمناه
ولأنها ليست على العموم ولأن من قال معناها لن تراني في الدنيا
إنما هو تأويل وأيضا فليس فيه نص الامتناع وإنما جاءت في حق
موسى عليه الصلاة والسلام وحيث تطرق التأويلات وتتسلط
الاحتمالات فليس للقطع إليه سبيل وقوله تبت إليك أي من سؤالي
ما لم تقدره لي وقد قال أبو بكر الهذلي في قوله تعالى
لن تراني أي ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلي في الدنيا وأنه من نظر
إلي مات وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه
أن رؤية الله تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب أهل الدنيا
وقواهم وكونها متغيرة عرضا للآفات والفناء فلم يكن لهم قوة
على الرؤية فإذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا
قوى ثابتة باقية وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم قووا بها
على الرؤية وقد رأيت نحو هذا لمالك بن أنس رحمه الله تعالى قال
لم ير في الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني فإذا كان في الآخرة
ورزقوا أبصارا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح

وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا
قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية
لم يمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما
الصلاة والسلام ونفوذ ادراكهما بقوة الهية منحاها لادراك
ما ادركاه ورؤية ما رأياه وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثنا
اجوبته عن الايتين ما معناه ان موسى عليه الصلاة والسلام
رأى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل رأى ربه فصار دكا بادراك
خلقه الله له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل
فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل
جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه
على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى
ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا يدل على
ان موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه رآه وبرؤية
الجبل له استدل من قال برؤية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
له اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الايات
نص في المنع واما وجوبه لنبينا صلى الله عليه
وسلم والقول بانه رآه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص
اذ المعول فيه على ايتي النجم والتنازع فيهما ماثور
والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى
الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده
لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه
ومثله حديث ابي ذر في تفسير الاية وحديث معاذ محتمل للتاويل
وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابي ذر الاخر مختلف
محتمل مشكل فروي نور انى اراه وحكى بعض شيوخنا
انه روي نوراني اراه وفي حديثه الاخر سالته فقال رأيت نورا وليس

يمكن

يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح
رأيت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما رأى نورا منعه وحجبه
عن رؤية الله والى هذا يرجع قوله نور انى اراه اي كيف اراه
مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث الاخر حجابه
النور وفي الحديث الاخر لم اره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا
ثم دنا فتدلى والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر في
القلب وكيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين في الباب
اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده
والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

فصل واما ما ورد في

هذه القصة من مناجاته لله سبحانه وتعالى وكلامه معه بقوله
فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين
على ان الموحي الله تعالى الى جبريل وجبريل الى محمد عليهما الصلاة
والسلام الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال
اوحى اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب
بعض المتكلمين ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه في الاسرا
وحكي عن الاشعري رضي الله تعالى عنه وحكوه عن ابن
مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهم وانكره اخرون وذكر
النقاش عن ابن عباس في قصة الاسرا عنه عليه الصلاة
والسلام في قوله دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت
الاصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك
يا محمد ادن ادن وفي حديث انس في الاسرا نحو منه واحتجوا
في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فقالوا

هي ثلاثة اقسام من ورا حجاب كتكليم موسى وبارسال الملايكة كحال جميع الانبيا واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيًا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي في حديث الاسرا ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله تعالى من الاية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من ورا الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في ساير كلمات الاذان مثل ذلك ويجي الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول فصل من الباب بعده وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من انبيايه جايز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام كاين حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السما السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شا بما شا وجعل بعضهم فوق بعض درجات

العزيز

فصل واما ما ورد

في حديث الاسرا فظاهر الاية من الدنو والقرب من قوله تعالى دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد صلى الله عليه وسلم وجبريل صلى الله عليه وسلم او مختص باحدهما من الاخر او من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو محمد صلى الله

عليه

عليه وسلم دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرب دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شا ان يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي وعن انس رضي الله تعالى عنه في الصحيح عرج بجبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شا واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسرا وعن محمد بن كعب هو محمد صلى الله عليه وسلم دنا من ربه فكان قاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل رضي الله تعالى عنه اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى سما الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنى بنفسه من الحق تدلى صلى الله عليه وسلم بعدا يعني عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله

ادناه ربه حتى كان منه كقاب قوسين

قاب قوسين او ادنى ثم رجع الضمير عايدا الى الله لا الى جبريل على
هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة
والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة
الرغبة وقضا المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة
من الله له ويتاول فيه ما يتاول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت
منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول
واتيان بالاحسان وتعجيل المامول

فصل في ذكر تفضيله في القيامة

بخصوص الكرامة صلى الله عليه وسلم حدثنا القاضي
ابو علي ثنا ابو الفضل وابو الحسين قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا
ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسين بن يزيد الكوفي ثنا
عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس عن انس رضي
الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول
الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم
اذا ايسوا لوا الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر
وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا
الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قايدهم اذا وفدوا
وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم
اذا ابلسوا لوا الكرم بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر
ويطوف علي الف خادم كانهم لولو مكنون وعن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش
ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد
رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم
يوم القيمة وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما نبي يومئذ ادم فمن سواه الا

تحت

تحت لوايي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم
القيمة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انا حامل لوا الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا
اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح
لي فيدخلنيها ومعي فقرا المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والاخرين ولا فخر وعن انس رضي الله تعالى عنه انا اول
الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس رضي الله عنه
قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم
ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة
وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اطمع ان اكون
اعظم الانبيا اجرا يوم القيمة وفي حديث اما ترضون ان
يكون ابراهيم وعيسى صلى الله عليهما وسلم فيكم يوم القيمة ثم قال انهما
في امتي يوم القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني من
امتك واما عيسى فالانبيا اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي
ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به وقوله انا سيد الناس
يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار عليه الصلاة
والسلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجا
الناس اليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجا الناس
اليه في حوايجهم فكان حينيذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد
في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
والملك له تعالى في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين
لذلك في الدنيا وكذلك لجا الى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في
الشفاعة فكان سيدهم في الاخرى دون دعوى وعن انس رضي الله
تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح

حا
العلات اخوة للاب
دون الام والاعيان
الاخوة للاب والام

فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك
وعن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة
شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك
كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظما ابدا وعن ابي ذر نحوه وقال
طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان
مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب
كما بين المدينة وصنعا وقال انس ايلة وصنعا وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر
الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر وسمرة وابن عمر
وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي
وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد
الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو سعيد الخدري
وعبد الله الصنابحي وابو هريرة والبرا وجندب وعايشة
واسما ابنتا ابي بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم رضي الله تعالى عنهم اجمعين

فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم

الله عليه وسلم بالمحبة والخلة جات بذلك الاثار الصحيحة واختص
صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا ابو القاسم
ابن ابرهيم الخطيب وغيره واحد عن كريمة بنت احمد انا ابو الهيثم انا
حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه انا القاضي ابو الوليد انا عبد
الله بن احمد انا ابو الهيثم انا ابو عبد الله محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل
انا عبد الله بن محمد انا ابو عامر انا فليح انا ابو النضر عن بسر بن سعيد
عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير
ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث اخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون
فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابرهيم من خلقه خليلا
وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة
الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد
سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي
الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو
كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لوا الحمد يوم القيمة ولا فخر
وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة
فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقرا المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والاخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة من قول الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة انت حبيب
الرحمن قال القاضي ابو الفضل رضي الله تعالى عنه اختلف
في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله تعالى
الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل
المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفا
وسمي ابراهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله تعالى
له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير
المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابراهيم
لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل
غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى به في النار فقال الك
حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفا
المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل
الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع
وقد بين ذلك في كتابه بقوله تبارك وتعالى وقالت اليهود والنصارى
نحن ابنا الله واحباوه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يواخذ

بذلي به قال هذا والخلة هنا اقوى من النبوة لان النبوة قد تكون
فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يمنع
ان تكون عداوة مع الخلة فاذا انتسبة ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة
والسلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله تعالى ووقف حوايجهما
عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسايط والاسباب او لزيادة
الاختصاص منه تعالى بهما وخفي الطافه عندهما وما خالل بواطنهما
من اسرار الهيته ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفايه لهما
واستصفا قلوبهما عمن سواه حتى لم يخاللهما حب لغيره ولهذا قال
بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله صلى
الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام
واختلف العلما ارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة
فجعلهما بعضهم سوا فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه
خص ابراهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليهما وسلم بالمحبة وقال بعضهم
درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا
غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم
واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا صلى الله عليه
وسلم ارفع من درجة الخليل ابرهيم صلى الله عليه وسلم واصل المحبة الميل
الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق
وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض فمحبته
لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب
وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه
وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم
من هذا سوى التجرد لله تعالى والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفا
القلب لله واخلاص الحركات لله تعالى كما قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه

القرآن

القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم
عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني • وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي • واذا ما سكت كنت الغليلا

فاذن مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه
وسلم بما دلت عليه الاثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من
الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية حكى اهل التفسير
ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد صلى الله عليه
وسلم ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى
غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله والرسول
فزاده شرفا بامره بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على
التولي عنه بقوله فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام (فان تولوا)
ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة
يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر طرفا (قسم)
يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله
وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين
والحبيب يصل لحبيبه من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل
الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله تعالى والذي اطمع ان يغفر
لي خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر والخليل قال
ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدي بالبشارة
قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له
حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل له
ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سوال والخليل قال واجنبني وبني
ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس

اهل البيت ويطهركم تطهيرا وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد
اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على
شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا والله تعالى الموفق للصواب والمستعان

فصل في تفضيله بالشفاعة

والمقام المحمود صلى الله عليه وسلم تسليما قال الله تعالى عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني
فيما كتب به الي بخطه نا سراج بن عبد الله القاضي نا ابو محمد الاصيلي
انا ابو زيد وابو احمد قالا نا محمد بن يوسف قال نا محمد بن اسمعيل
قال نا اسمعيل بن ابان نا ابو الاحوص عن ادم بن علي قال
سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل امة
تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا
يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي محمد صلى الله
عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا وعن ابي هريرة
سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب
ابن مالك عنه صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا
وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما
شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر رضي الله عنهما
وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى ياخذ بحلقة الجنة
فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود
رضي الله عنه عليه الصلاة والسلام انه قيامه عن يمين العرش
مقاما محمودا لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون
ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام المحمود الذي اشفع
لامتي فيه وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم
ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه الحديث وعن ابي موسى
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه خيرت بين ان يدخل نصف امتي
الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها
للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي
لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن
ام حبيبة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض
وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يوليني شفاعة
يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس في
صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا
سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادي محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك
وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت
وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك
تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك هو المقام المحمود
الذي ذكره الله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا دخل
اهل النار النار واهل الجنة الجنة فتبقى اخر زمرة من الجنة
واخر زمرة من النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم
ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسالون
ادم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا
صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه
عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين رضي الله تعالى
عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد
الفقير سمعت بمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني يبعثه

الله فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من
يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين
وعن انس رضي الله تعالى عنه نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي
وعده وعن سلمان المقام المحمود هو الشفاعة لامته يوم القيمة
ومثله عن ابي هريرة وقال قتادة كان اهل العلم يرون ان المقام
المحمود هو شفاعته يوم القيمة وعن علي ان المقام المحمود هو مقا[م]
عليه الصلاة والسلام للشفاعة هذا مذهب السلف من
الصحابة والتابعين وعامة ائمة المسلمين بذلك جاءت متواترة
في صحيح الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم وجاءت مقالة في تفسيرها
شاذة عن بعض السلف يجب ان لا تثبت اذ لم يعضدها صحيح
اثر ولا سند يد نظر ولو صحت لكان لها تاويل غير مستنكر
ولكن ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح الاثار يرده
فلا ان يلتفت اليه مع انه لم يات في كتاب ولا سنة ولا اتفق
على المقال به امة وفي اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعة
وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم
في حديث بعض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجمع الله تعالى الاولين والاخرين يوم القيمة فيهتمون او قال
يلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا وفي طريق عنه
ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة وتدنو الشمس فيبلغ
الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون
من يشفع لكم فياتون ادم فيقولون زاد بعضهم فيقولون انت
ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته
واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى
يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني

عن

عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح
فياتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك
الله عبدا شكورا الا ترى الى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع
لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله
قبله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية انس ويذكر
خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا
الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فياتون ابراهيم
فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك
الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر
مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي فيقول لست لها ولكن
عليكم بموسى فانه كليم الله وفي رواية اخرى فانه عبد اتاه الله تعالى
التورية وكلمه وقربه نجيا قال فياتون موسى فيقول لست
لها ويذكر خطيئته التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم
بعيسى فانه روح الله وكلمته فياتون عيسى فيقول لست
لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم عبد غفر له ما تقدم من
ذنبه وما تاخر فياتوني فاقول انا لها فانطلق فاستاذن
على ربي فيؤذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا وفي رواية
فاتي تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه
فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الان الا ان يلهمنيها الله وفي
رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا
لم يفتحه على احد قبلي قال وفي رواية ابي هريرة فيقال لي يا محمد ارفع
راسك وسل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب
امتي يا رب امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن م
من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر

في رواية انس هذا الفصل وفي رواية وقال المكاند ثم اخر
ساجداً فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك وسل
تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق
فمن كان في قلبه مثقال حبة من بُرة او شعيرة من ايمان
فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك
المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل فافعل
ثم ارجع الى ربي وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في
قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر
في المرة الرابعة فيقال لي ارفع راسك وقل تسمع واشفع
تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ايذن لي فيمن قال لا اله الا الله
قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي
لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة
عنه قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما
بقي في النار الا من حبسه القران اي من وجب عليه الخلود وعن
ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة مثله قال
فياتون محمدا فيوذن له وتاتي الامانة والرحم فيقومان على
جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فياتون
محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق
ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط
يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم جوازا الحديث
وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه فاكون اول من يجوز
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم يوضع للانبيا
منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قايما
بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد
ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون

فمنهم

فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال
اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار
يقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق
زياد النميري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا
اول من تنفلق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة
ولا فخر ومعي لوا الحمد يوم القيمة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر
فاتي فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي
فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن
رواية انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر

فقد اجتمع من اختلاف الفاظ

هذه الاثار ان شفاعته عليه الصلاة والسلام ومقامه
المحمود من اول الشفاعات الى اخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق
بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك
قبل الحساب فيشفع حينيذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع
الصراط ويحاسب الناس كما جا في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة
وهذا الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته
الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب
ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال
لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث
المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبات دعوتي لهم
شفاعة لامتي يوم القيمة وقال اهل العلم معناه دعوة اعلم
انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم من دعوة
مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند
الدعا بها بين الرجا والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاوه يدعون

بها على يقين من الاجابة **وقد قال** محمد بن زياد وابو صالح عن
ابي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له
واني اريد ان اختبئ دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة **وفي رواية**
ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية
ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة **فتكون**
هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد
اخبر صلى الله عليه وسلم انه سال لامته اشيا من امور الدين والدنيا
اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة
المحن وعظيم السوال والرغبة جزاه الله تعالى احسن ما جزى نبيا
عن امته وصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين ولنذكر
الان تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة

فصل في تفضيله في الجنة

بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة **حدثنا**
القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام
ابن احمد بقراتي عليهما قالا **ثنا** ابو علي الغساني **ثنا** النمري **ثنا** ابن
عبد المومن **ثنا** ابو بكر التمار **ثنا** ابو داود **ثنا** محمد بن سلمة **ثنا** ابن وهب
عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد
الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاصي انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من
صلى علي مرة واحدة صلى الله تعالى عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي
الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو
ان اكون انا هو فمن سال الله تعالى لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وفي حديث اخر عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه الوسيلة اعلى
درجة في الجنة وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا

اسير

٦٤

اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللولو قلت لجبريل ما هذا
قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله تعالى قال ثم ضرب بيده الى طينته فاستخرج
مسكا **وعن عايشة** وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه
على الدر والياقوت وماوه احلى من العسل وابيض من الثلج **وفي رواية**
عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتي وذكر حديث
الحوض ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما **وعن ابن عباس** ايضا قال الكوثر
الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير
الذي اعطاه الله **وعن حذيفة** فيما ذكر صلى الله عليه وسلم عن ربه واعطاني
الكوثر نهر من الجنة يسيل في حوضي **وعن ابن عباس** رضي الله تعالى عنهما في
قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لولو ترابهن
المسك وفيه ما يصلحهن **وفي رواية** اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج
والخدم صلى الله تعالى عليه وسلم **فصل**
فان قلت اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاخبار واجماع الامة
كونه اكرم البشر وافضل الانبيا **فما معنى** الاحاديث الواردة بنهيه
عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الاسدي **قال ثنا** السمرقندي **ثنا**
الفارسي **ثنا** الجلودي **ثنا** ابن سفيان **ثنا** مسلم **ثنا** ابن المثنى **ثنا** محمد بن
جعفر **ثنا** شعبة عن قتادة قال سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم
نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى **وفي غير هذا**
الطريق عن ابي هريرة قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد
الحديث وفي حديث ابي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على
البشر فلطمه رجل من الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى
الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا
بين الانبيا **وفي رواية** لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا
اقول ان احدا افضل من يونس بن متى **وعن ابي هريرة** ومن قال انا خير من

فقد كذب وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه الآخر

يونس بن متى وفي حديثه الآخر فجاءه صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا خير
البرية فقال ذاك ابرهيم فاعلم ان للعلماء في هذه الاحاديث
تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد
ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد
كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله هو
وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا
علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي
تفضيله هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني انه قاله
صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من
من الاعتراض الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى
تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه الصلاة والسلام
اذ اخبر الله عنه ما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة
وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون
اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده
بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان
الانبياء فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا يتفاضل وانما التفاضل
في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما
النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها
ولذلك منهم رسل ومنهم اولوا عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا
ومنهم من اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبور وبعضهم البينات
ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض الاية وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض الاية قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا
وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون
امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع

الى ما خصه الله تعالى من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية
او ما شاء الله من الطافه وتحف ولاياته واختصاصه وقد
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ
منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام
من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه وحط من رتبته
ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته وقد
يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا
الى القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة
كالعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى الله عنه
فان درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة
خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله
تعالى فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض
وبالله سبحانه وتعالى التوفيق وهو المستعان لا اله الا هو

فصل في اسمائه صلى الله عليه وسلم

وما تضمنته من فضيلته صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو عمران موسى
ابن ابي تليد الفقيه ثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم
ابن اصبغ ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد
ابن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة
اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر
الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه
الله تعالى في كتابه محمدا واحمد فمن خصائصه
تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه وطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما
اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة
من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد

وافضل من حمد واكثر الناس حمدًا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين
ومعه لوا الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات
بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقامًا محمودًا كما وعده يحمده فيه
الاولون والاخرون بشفاعته لهم صلى الله عليه وسلم ويفتح عليه فيه
من المحامد كما قال صلى الله عليه وسلم ما لم يعط غيره وسمى امته في كتب
انبيايه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدًا واحمد **ثم في هذين الاسمين**
من عجايب خصايصه وبدايع اياته فن اخر هو ان الله جل اسمه حمى ان
يسمى بهما احد قبل زمانه **اما احمد** الذي اتى في الكتاب وبشرت به
الانبيا فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو
قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا لم يسم
به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه الصلاة
والسلام وميلاده ان نبيًا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب
ابناهم بذلك رجا ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته
وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي ومحمد بن سلمة الانصاري
ومحمد بن برا البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد
بن خزاعي السلمي لا سابع لهم **ويقال** اول من تسمى محمد محمد بن سفيان
اليمن يقولون بل محمد بن اليحمد من الازد ومحمد بن سوادة **ثم حمى الله تعالى**
كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب
يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم
ولم ينازع فيهما **واما قوله** صلى الله عليه وسلم وانا
الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو
الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد انه
يبلغه ملك امته او يكون المحو عامًا بمعنى الظهور والغلبة كما قال
تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث انه الذي محيت
به السيات من اتبعه **واما قوله** وانا الحاشر الذي

تحشر الناس على قدمي وعلى عقبي اي على زماني وعهدي اي ليس
بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين وسمي عاقبًا لانه عقب
غيره من الانبيا **وفي الصحيح** وانا العاقب الذي ليس بعده
نبي وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى
لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى
قوله لي خمسة اسما قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي
العلم من الامم السالفة والله تعالى اعلم وقيل على قدمي على سابقتي
قال الله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم وقيل على قدمي
قدامي وحولي اي يجتمعون الي في القيمة وقيل قدمي سنتي **وقد**
روي عنه صلى الله عليه وسلم لي عشرة اسما وذكر منها طه ويس
حكاه مكي **وقد قيل** في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي
وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد **وذكر**
غيره لي عشرة اسما فذكر الخمسة التي في الحديث الاول وقال وانا
رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفى
قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم
اروه واري ان صوابه قثم بالثا كما ذكرناه بعد عن الحربي
وهو اشبه بالتفسير **وقد وقع** ايضا في كتب الانبيا
قال داود عليه الصلاة والسلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم
السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه **وقد روى**
النقاش عنه عليه الصلاة والسلام لي في القران سبعة
اسما محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي
حديث ابو موسى الاشعري انه كان صلى الله عليه وسلم يسمي لنا
نفسه اسما فيقول انا محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة
ونبي الملحمة ونبي الرحمة وفي حديث عن جبير بن مطعم هن ست
محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماح دكل صحيح ان شا الله تعالى

وقع قال القاضي كذا

ومعنى المقفي معنى العاقب وانا نبي الرحمة والتوبة والمرحمة
والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤوف رحيم وقد قال في صفة امته
انها امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه الصلاة والسلام
ربه تبارك وتعالى رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم
ومترحما مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها
بالرحمة وامرها بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده
الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة ارحموا من في
الارض يرحمكم من في السماء واما رواية نبي الملحمة فاشارة
الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة
وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه نبي الرحمة ونبي
التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه انه عليه
الصلاة والسلام قال اتاني ملك فقال انت قثم اي مجتمع
قال والقثوم والقثم الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته
عليه الصلاة والسلام معلوم وقد جاءت من القابه عليه
الصلاة والسلام وسماته في القران عدة كثيرة سوى ما ذكرناه
كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير
والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤوف الرحيم
والامين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة
الوثقى والصراط المستقيم وطه ويس والنجم الثاقب والكريم
والنبي الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى
منها في كتب الله تعالى المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله
واطلاق الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى صلى الله عليه

وسلم والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين
والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن
والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد ادم
وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين
وخليل الله وحبيب الرحمن وصاحب الحوض المورود
والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة
والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء
والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة
والسلطان والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين

ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم

في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح
الحق وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب البارقليط
الذي يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه صلى الله عليه
وسلم في الكتب السالفة ماذ ماذ اي طيب طيب وحمطايا
والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم
الذي ختم الله به الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا
وخلقا صلى الله عليه وسلم ويسمى بالسريانية مشفح
والمنحمنا واسمه ايضا في التوراة احيد روي ذلك عن ابن
سيرين ومعنى صاحب القضيب اي السيف وقع ذلك مفسرا
في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك
وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه صلى الله عليه
وسلم وهو الان عند الخلفاء واما الهراوة التي وصف
بها فهي في اللغة العصا واظنها والله اعلم العصا المذكورة في حديث
الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن واما التاج
فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان

ح وروح القدس

معناه طيب ح

خ مشفح

العرب، وأوصافه وألقابه وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه
منها مقنع إن شاء الله تعالى، وكانت كنيته المشهورة أبا القاسم
وروي عن أنس رضي الله عنه أنه لما ولد له إبرهيم جاءه جبريل عليه
الصلاة والسلام فقال له السلام عليك يا أبا إبرهيم

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه

به من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى صلى الله عليه وسلم
تسليما كثيرا قال القاضي أبو الفضل رضي الله تعالى عنه
ما أحرى هذا الفصل بفصول الباب الأول لانخراطه في سلك
مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية
إلى استنباطه ولا أنار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه إلا عند
الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا أن نضيفه إليه ونجمع به
شمله فاعلم أن الله تعالى خص كثيرا من أنبيائه بكرامة خلعها
عليهم من أسمائه كتسميته إسحاق وإسمعيل بعليم وحليم وإبرهيم
بحليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف
بحفيظ عليم وأيوب بصابر وإسمعيل بصادق الوعد كما نطق به
الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم بأن حلاه منها في كتابه العزيز وعلى ألسنة أنبيائه بعدة
كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال الفكر وإحضار الذكر إذ لم
نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتأليف فصلين وجرد
منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما ألهم إلى ما
علم منها وحققه يتم النعمة بإبانة ما لم يظهره لنا الآن ويفتح
غلقه فمن أسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لأنه حمد نفسه
وحمده عباده ويكون أيضا بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال
الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا وأحمد فمحمد بمعنى

محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود وأحمد بمعنى أكبر من حمد وأجل
من حمد وقد أشار إلى نحو هذا حسان بقوله

وشق له من اسمه ليجله ۝ فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن أسمائه تعالى الرؤوف الرحيم وهما بمعنى متقارب
وسماه في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم ومن أسمائه
تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق أمره وكذلك المبين
أي البين أمره وألوهيته بان وأبان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده
أمر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه
العزيز بقوله تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل إني أنا
النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما
جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه
وأمره وهو بمعنى الأول والمبين البين أمره ورسالته أو المبين عن الله
ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل إليهم ومن أسمائه
تعالى النور ومعناه ذو النور أي خالقه أو منور السموات والأرض
بالأنوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه
وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح أمره وبيان نبوته وتنوير قلوب
المؤمنين والعارفين بما جاء به صلى الله عليه وسلم ومن أسمائه
تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة
وسماه شهيدا وشاهدا فقال إنا أرسلناك شاهدا وقال ويكون
الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الأول والله المستعان ومن أسمائه
تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي
وفي الحديث المروي في أسمائه تعالى الأكرم وسماه تعالى كريما بقوله
إنه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل عليهما الصلاة والسلام وقال
صلى الله عليه وسلم أنا أكرم ولد آدم ومعاني الاسم صحيحة في حقه صلى الله عليه

وسلم **ومن اسمائه** تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذي
كل شي دونه وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع
في اول سفر من التورية عن اسماعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم
وعلى خلق عظيم **ومن اسمائه** تعالى الجبار ومعناه المصلح
وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر **وسمي** النبي صلى
الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك
وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم
اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداه او لعلو منزلته
على البشر وعظيم خطره ونفى تعالى عنه في القران جبرية التكبر التي لا تليق
به فقال وما انت عليهم بجبار **ومن اسمائه** تعالى الخبير ومعناه
المطلع بكنه الشي والعالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى
الرحمن فاسيل به خبيرا **قال القاضي** بكر بن العلا المامور بالسوال
غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم
وقال غيره بل السايل النبي صلى الله عليه وسلم والمسول الله تعالى فالنبي
صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم غاية من العلم
بما اعلمه الله تعالى من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له في
اعلامهم به صلى الله عليه وسلم **ومن اسمائه** تعالى الفتاح ومعناه
الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم
عليهم او يفتح قلوبهم وبصايرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر
كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح اي ان تستنصروا فقد
جاكم النصر وقيل معناه مبتدي الفتح والنصر **وسمى الله تعالى نبيه**
محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسرا الطويل من رواية الربيع
ابن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك
فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه
وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح

هنا

كان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وان النبي صلى
الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جيتكم من عند خير الناس
وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد
انفرد من اصحابه لقضا حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله
وقد روي انه وقع له مثله في غزوة غطفان بذي امر
مع رجل اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع
الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا اين ما كنت
تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري
فوقعت لظهري وسقط السيف من يدي فعرفت انه ملك
واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية **وفي رواية** الخطابي
ان غورث بن الحارث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه
وسلم فلم يشعر به الا وهو قايم على راسه منتضيا سيفه
فقال **اللهم اكفنيه** بما شيت فانكب من وجهه من زلخة
زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر
وقيل في قصته غير هذا وذكر انه فيه نزلت
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية
وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت
هذه الاية استلقى ثم قال من شا فليخذلني **وذكر** عبد بن
حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاة وهي جمر على طريق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطوها كثيبا اهيل **وذكر**
ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها
بما ذكرها الله تعالى مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو جالس ومعه ابو بكر رضي الله عنه وفي يدها
فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله تعالى

حبله
بتصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر ان صاحبك
قد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربته بهذا الفهر فاه
وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد
فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله
ثم تواعدنا ليلة اخرى فجيناه حتى اذا رايناه جاءت الصفا
والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو
جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجينا منزله فسمعنا له فافتتح فقرا الحاقة ما الحاقة الى
فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال
انج وفرا هاربين فكان من مقدمات اسلام عمر رضي الله عنه
ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة عند ما اخافته
قريش واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم فقام على رووسهم في بيته
وقد ضرب الله تعالى على ابصارهم وذر التراب على رووسهم
وخلص منهم وحمايته صلى الله عليه وسلم عند
رؤيته في الغار بما هيا الله له من الايات ومن العنكبوت
الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار
ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما اراه قبل ان يولد
محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان
فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك
ابن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر
الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا
عليه وسلم فساخت قوائم فرسه الى ركبتيه فخر عنها واستقسم
بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنى حتى سمع قراءة النبي صلى
الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر رضي الله عنه يلتفت
فقال

ودنا للنبي صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا
فساخت ثانية الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها
مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم
امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار
وامره النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم
فانصرف يقول للناس كفيتم ما هاهنا وقيل بل قال لهما
اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي فدعوا له
صلى الله عليه وسلم وفي خبر اخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج
يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما
يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه ومنجاه صلى
الله عليه وسلم مما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة وهو
ساجد وقريش ينظرون اليه ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست
يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم ساله ان يدعو
له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك
وحلف لئن راه ليدمغنه فسالوه عن شانه فذكر انه عرض
لي دونه فحل ما رايت مثله قط هم بي ان ياكلني فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل لو دنا لاخذه وذكر السمرقندي
ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله
فطمس الله تعالى على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله
فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر ان في
هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الايتين ومن
ذلك ما ذكره ابن اسحق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه
فجلس الى جدار بعض اطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم
ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة
واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا

نفث الله عليكم اذ هم الاية في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي
انه خرج الى بني النضير في عقل الكلابيين اللذين قتلهما عمرو
بن امية الضمري فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى
نطعمك ونعطيك ما سالتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي
بكر وعمر رضي الله عنهما وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كانه يريد حاجته حتى دخل
المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان ابا جهل وعد قريشا لين راى محمدا يصلي ليطان
رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما
صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا
ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسيل فقال لما دنوت منه
اشرفت على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت
هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملات الارض فقال صلى الله عليه
وسلم تلك الملايكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل
على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى
الى اخر السورة ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه
يوم حنين وكان حمزة رضي الله عنه قد قتل اباه وعمه فقال
اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه
ورفع سيفه ليصبه عليه فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ
من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي النبي صلى
الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق
الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت
امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة
لاوقعت به دونه وعن فضالة بن عمير اردت قتل النبي
صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت

منه قال افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت
لا شي فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي
فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله تعالى شيا احب الي منه ومن
مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا
على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال انا اشغل عنك وجه محمد
فاضربه انت فلم يره فعل شيا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما
هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك ومن
عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به
وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله
فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب
امامه مسيرة شهر كما قال صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله تعالى له صلى الله عليه وسلم من المعارف والعلوم

وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته
بامور شرايعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح
امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبيا والرسل والجبابرة
والقرون الماضية من لدن ادم عليه الصلاة والسلام
الى زمنه وحفظ شرايعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد
انبايهم وايام الله تعالى فيهم وصفات اعيانهم واختلاف
ارايهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمايهم ومحاجة
كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم
واعلامهم باسرارها ومخبات علومها واخبارهم بما كتموه
من ذلك وغيروه الى الاحتوا على لغات العرب وغريب
الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لايامها
وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع

كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة للتقريب
التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع
التي لا تناقض فيها ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على
محاسن الاخلاق ومحامد الاداب وكل شي مستحسن مفضل
لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيا الا من جهة الخذلان بل كل
جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه
واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما احل
لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبايث وصان به انفسهم
واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف
بالنار اجلا مما لا يعلم ولا يقوم به ولا يبعضه الا من مارس
الدرس والعكوف على الكتب ومطالعة بعض هذا الى الاحتوا
على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة
والفرايض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما
اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه الصلاة والسلام
فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله صلى الله عليه
وسلم الرويا لاول عابر وهي على رجل طاير وقوله
اذا تقارب الزمان لم تكد رويا المومن تكذب وقوله
الرويا ثلاث رويا حق ورويا يحدث الرجل بها نفسه
ورويا تحزين من الشيطان وقوله اصل كل دا البردة
وما روى عنه في حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
من قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة
وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا
تكلم عليه الدارقطني وقوله خير ما تداويتم
به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة
يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود

منافعه ... ومنافع

الهندي

الهندي سبعة اشفية وقوله صلى الله عليه وسلم ما ملا
ابن ادم وعاء شرا من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث
للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله
وقد سيل عن سبا أرجل هو او امرأة او ارض فقال رجل ولد
عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله وكذلك
جوابه صلى الله عليه وسلم في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت
العرب على شغلها بالنسب الى سواله عما اختلفوا فيه من ذلك
وقوله حمير رأس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها
والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها
وقوله في الحوض زواياه سوا وقوله ان الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله
في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون
على اللسان والف وخمسمائة في الميزان وقوله وهو
بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق
والمغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل
منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للملا هذا
مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شي حتى
قد وردت اثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها
كقوله لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من
طريق ابن عباس وقوله في الحديث الاخر الذي يروى
عن معاوية انه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم
فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق
السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود
الرحيم وهذا فان لم تصح الرواية انه صلى الله عليه وسلم
كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة

وأما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب وحفظه
معاني أشعارها فأمر مشهور قد نبهنا على بعضه أول
الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الأمم كقوله صلى الله عليه
وسلم في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر
الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث أبي هريرة أشكنب
درد أي وجع البطن بالفارسية إلى غير ذلك مما لا
يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه إلا من مارس الدرس
والعكوف على الكتب ومثافنة أهلها عمره وهو رجل كما قال الله
تعالى أمي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف ولا عرف بصحبة من هذه
صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الأمور
ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله
من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية إنما كانت غاية معارف
العرب النسب وأخبار أوائلها والشعر والبيان وإنما حصل
ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة
أهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه
وسلم ولا سبيل إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد
الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه إلا قولهم أساطير الأولين
وإنما يعلمه بشر فرد الله تعالى قولهم بقوله لسان الذي
يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة
العيان فإن الذي نسبوا تعليمه إليه إما سلمان أو العبد
الرومي وسلمان إنما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن
وظهور ما لا ينعد من الآيات وأما الرومي فكان أسلم وكان
يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل
بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما
أعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن وقد عجزوا عن

بكسر السين فصيح

الشديد الخصومة

معارضة

معارضة ما أتى به والإتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة
تأليفه ونظمه فكيف بأعجمي ألكن نعم قد كان سلمان
أو بلعام الرومي أو يعيش أو جبر أو يسار على اختلاف في
اسمه بين أظهرهم ويكلمونهم مدى أعمارهم فهل حكي عن
واحد منهم شيء بمعرفة شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه
وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو
حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده أن يجلس
إلى هذا فيأخذ عنه أيضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على
شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من أخبار كتبه
ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته
إلى بلاد أهل الكتاب فيقال إنه استمد منهم بل لم يزل بين أظهرهم
يرعى في صغره وشبابه على عادة أبنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم
إلا في سفرة أو سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم
القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة
عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من
تعليم واختلاف إلى حبر أو قس أو منجم وكاهن بل لو كان هذا
بعد كله لكان مجيء ما أتى به في معجز القرآن قاطعا لكل عذره
ومدحضا لكل شبهة ومجليا لكل أمر

فصل

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته

وباهر آياته أنباؤه مع الملائكة والجن وإمداد الله تعالى له بالملا يكة
وطاعة الجن له ورؤية كثير من أصحابه لهم قال الله تعالى
وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه الآية وقال إذ يوحي ربك
إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا وقال إذ تستغيثون ربكم
فاستجاب لكم أني ممدكم الآيتين وقال وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن
يستمعون القرآن الآية حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه

وأما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معاني أشعارها فأمر مشهور قد نبهنا على بعضه أول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الأمم كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث أبي هريرة أشكنب درد أي وجع البطن بالفارسية إلى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه إلا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة أهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى أمي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية إنما كانت غاية معارف العرب النسب وأخبار أوائلها والشعر والبيان وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه إلا قولهم أساطير الأولين وإنما يعلمه بشر فرد الله تعالى قولهم بقوله لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فإن الذي نسبوا تعليمه إليه إما سلمان أو العبد الرومي وسلمان إنما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا ينعد من الآيات وأما الرومي فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما أعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن وقد عجزوا عن

بكسر السين فصيح — الشديد الخصومة

معارضة

معارضة ما أتى به والإتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف بأعجمي ألكن نعم قد كان سلمان أو بلعام الرومي أو يعيش أو جبر أو يسار على اختلافهم في اسمه بين أظهرهم يكلمونهم مدى أعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده أن يجلس إلى هذا فيأخذ عنه أيضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من أخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته إلى بلاد أهل الكتاب فيقال إنه استمد منهم بل لم يزل بين أظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة أبنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين لم يطل فيها مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف إلى حبر أو قس أو منجم أو كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما أتى به في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل شبهة ومجليا لكل أمر

فصل ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته

وباهر آياته أنباؤه مع الملائكة والجن وإمداد الله تعالى له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من أصحابه لهم قال الله تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه الآية وقال إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا وقال إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم الآية وقال وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه

بسماعي عليه ثنا ابو الليث السمرقندي قال ثنا عبد
الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم
ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا ابي ثنا شعبة عن سليمان الشيباني
سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال
راى جبريل في صورته له ست مائة جناح والخبر في محادثته مع
جبريل واسرافيل وغيرهما من الملائكة وما شاهده من كثرتهم
وعظم صور بعضهم ليلة الاسرى مشهور وقد راهم بحضرته
جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة راى ابن عباس واسامة
وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية وراى سعد على يمينه
ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله
عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم
راى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب وراى ابو سفيان
ابن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السما والارض
ما يقوم لها شي وقد كان عمران بن الحصين تصافحه الملائكة وارى
النبي صلى الله عليه وسلم حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه
وراى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم
وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد ان مصعب
ابن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك
لست بمصعب فعلم انه ملك وذكر غير واحد من المصنفين
عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قال بينا انا جالس مع
النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصى فسلم على النبي صلى
الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من انت قال انا هامة بن
الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده في حديث
طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القران وذكر

خبر اصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل فسأله عن الاسلام والايمان الحديث

الواقدي

الواقدي ان خالدا عند هدمه العزى للسودا التي خرجت
له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه
وسلم فقال له تلك العزى وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته
فاردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه
كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي الاية فرده الله تعالى خاسيا وهذا باب واسع

فصل ومن دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم وعلامات
رسالته ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار

وعلما اهل الكتاب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته
وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في اشعار الموحدين
المتقدمين من شعر تبع والاوس بن حارثة وشبهه وكعب
ابن لوي وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر
عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من امره زيد بن عمرو
بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلما يهود
وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما الفي من ذلك
في التوريه والانجيل مما قد جمعه العلما وبينوه ونقله
عنهم ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وابني سعية وابن يامين
ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم من علما يهود وبحيرا ونسطور
الحبشة وصاحب بصري وضغاطر واسقف الشام والجارود
وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف نجران وغيرهم
ممن اسلم من علما النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب
رومة عالما النصرانية ورئيساها ومقوقس صاحب مصر
والشيخ صاحبه وابن صوريا واخطب واخوه وكعب بن اسد
والزبير بن باطيا وغيرهم من علما اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة

على البقا على الشقا والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد وقع اجماع يهود والنصارى بما ذكرانه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امرهم ودعوتهم الى المباهلة فامنهم الا من نفر عن معارضته وابدا ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجد واخلاف قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى ما اندر به الكهان مثل نافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز وفاطمة بنت نعمان ومن لا ينعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب واجواف الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور والله تعالى اعلم

فصل ومن ذلك ما ظهر من الايات عند مولده صلى الله عليه وسلم وما حكته امه ومن حضره من العجايب وكونه رافعا راسه عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السما وما راته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما راته اذ ذاك ام عثمن ابن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفا ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل سمعت قايلا يقول رحمك الله واضا له ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظيراه من بركته ودرور لبنها

له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشاته وما جرى من العجايب ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرافاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد وانه اذا كان اذا اكل مع عمه ابي طالب واله وهو صغير شبعوا ورووا فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان ساير ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح هو صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا **ومن ذلك حراسة السما بالشهب** وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشا عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله تعالى به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بنا الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك قال اني نهيت عن التعري **ومن ذلك اظلال الله تعالى له بالغمام في سفره** وفي رواية ان خديجة ونساها راينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه راى ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي ان حليمة رات غماما تظله وهو عندها **ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة** يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت هي فاشرقت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من راه وميل في الشجرة اليه في الخبر الاخر حتى اظلته **وما ذكر من انه صلى الله عليه وسلم** كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه **ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه صلى الله عليه وسلم** حتى اوحي اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله تعالى له عند موته وما اشتمل

الكاذب

على

البحرين

انعث بهنوذا

لحياة قالت ام ايمن حاضنته ما رايته عليه السلام شكى جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن

وروى ذلك عن اخيه من الرضاعة ايضا ومن ذكر

عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة
على جسده على ما رويناه في بعضها واستيذان ملك الموت عليه
ولم يستاذن على غيره قبله وندايهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا عنه
القميص عند غسله وما روي من تعزية الخضر والملايكة اهل بيته
عند موته الى ما ظهر على اصحابه من كراماته وبركته في حياته وموته
كاستسقا عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته صلى الله عليه وسلم

فصل قال المولف رحمه الله تعالى قد اتينا في هذا
الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته
مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا
من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث
وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الايمة
وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا
الباب لو تقصي ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات
نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من معجزات سائر الرسل بوجهين
احدهما كثرتها وانه لم يوت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها
او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول
هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبيا تقف على ذلك واما كونها
كثيرة فهذا القران وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض
ايمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها وذهب
بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وذهب اخرون الى ان كل
جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه
اولا لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به
مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القران
من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم
وعدد كلمات انا اعطيناك عشر كلمات فيتجزا القران على نسبة

عدد

عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في
نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه
فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من
هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون
في السورة الواحدة من هذه التجزية الخبر عن اشيا من الغيب كل
خبر منها بنفسه معجز فتتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز
الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القران فلا يكاد ياخذ
العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار
الصادرة عنه عليه الصلاة والسلام في هذه الابواب وعما دل
على امره مما اشرنا الى جمله يبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح
معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل
زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى
عليه الصلاة والسلام غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى صلى
الله عليه وسلم بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاهم
منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك
زمن عيسى عليه الصلاة والسلام اغنى ما كان الطب واوفر ما كان
اهله فجاهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من
احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا
سائر معجزات الانبيا ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر
والخبر والكهانة فانزل الله تعالى عليه القران الخارق
لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة
عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا
في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار
عن الكوائن والحوادث والاسرار والمخبات والضماير فتوجد على ما كانت



ويعترفوا بالعجز عنها بحجة ذلك وتصدقه وان كان اهل العدد
فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها
برجم الشهب ورصد النجوم وجا من الاخبار عن القرون السالفة
وانبا الانبيا والامم البايدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ
لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها
ثم بقيت هذه المعجزة الباقية الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول
الاخر التي ذكرناها في معجزات القران ثابتة الى يوم القيمة بينة الحجة
لكل امة تاتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه
الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا
ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر
البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس
اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها
حقا وساير معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم
ذاتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع واياته
تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد
وابو اسحاق وابو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا
عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبيا
نبي الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت
وحيا اوحاه الله الي فارجو اني اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى
الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شا الله تعالى وذهب
غير واحد من العلما في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا صلى الله
عليه وسلم الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل
فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل

قد رام المعاندون لها باشيا طمعوا في التخييل بها على الضعفا
كالقا السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر او
يتحيل فيه والقران كلام ليس للحيلة ولا للسحر ولا للتخييل فيه
عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا
يتم لشاعر ولا لخطيب ان يكون شاعرا وخطيبا بضرب من الحيل
والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى وفي هذا التاويل
الثاني ما يغمض الجفن عليه ويغضى ووجه ثالث على مذهب من
قال بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا
عنها او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان لم يقدرهم
ولا يقدرهم عليها وبين هذين المذهبين فرق بين وعليهما
جميعا فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم او ما هو من
جنس مقدورهم ورضاهم بالبلا والجلا والسبا والاذلال
وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ
والتعجيز والتهديد والوعيد ابين اية للعجز عن الاتيان
بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شي هو من جنس
مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره
قال وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة
في انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال
الناظر بدارا ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزيد
معرفة في ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر
واما التحدي للخلائق المئين من السنين بكلام من جنس
كلامهم ليأتوا بمثله فلم ياتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على
المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو
قال نبي ايتي ان يمنع الله القيام على الناس مع مقدرتهم عليه
وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام

بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا تكونه بعد الان اسم

٤

لكان ذلك من ابهر آية واظهر دلالة وبالله تعالى التوفيق وقد
غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الانبيا
حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكا الباب‍ها
ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك
بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبني اسرايل وغيرهم لم يكونوا
بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز
عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد
ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما
صلبوه ولكن شبه لهم فجاءهم من الآيات الظاهرة البينة للابصار
بقدر غلظ افهامهم مما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى
واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها
اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله
زلفى ومنهم من امن بالله وحده من قبل الرسول بدليل عقله
وصفا لبه فلما جاءهم الرسول بكتاب الله تعالى فهموا حكمته
وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فامنوا به وازدادوا
كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم
واموالهم وقتلوا اباءهم وابناءهم في نصرته واتى في معنى هذا بما
يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق فقد قدمنا
من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب
بطون هذه المسالك وظهورها ان شاء الله تعالى وبه استعين
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

هذا نصف الكتاب

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام

قال

قال المؤلف رحمه الله تعالى وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في
اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها في وجوب
تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره
وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم

الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته

صلى الله عليه وسلم قال المؤلف رحمه الله تعالى اذا تقرر بما قدمنا
ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به
قال الله تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقال انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال فامنوا بالله ورسوله
النبي الامي الاية فالايمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين
لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم
يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا
ابو محمد الخشني الفقيه بقراتي عليه ثنا الامام ابو علي الطبري ثنا
عبد الغافر الفارسي ثنا ابن عمرويه ثنا ابن سفيان
ثنا ابو الحسين ثنا امية بن بسطام ثنا يزيد بن زريع
ثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت
ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما
جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها
وحسابهم على الله تعالى قال المؤلف رحمه الله تعالى والايمان
به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالة الله تعالى له
وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب
بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله تعالى فاذا اجتمع التصديق
به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان

به والتصديق لما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحالة المحمودة التامة واما الحالة المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم يصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه وللفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احداهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به ورآه

بعضهم

بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه الصلاة والسلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه **الثانية** ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة **فهذا اختلف** فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد في النار **وقيل** ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح **وهذه نبذة** تفضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان **وهل** التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب **وفي بسط** هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرناه غنية فيما قصدناه ان شاء الله تعالى

فصل واما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم

فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله والرسول وقال واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع

باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن
طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد
على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه
قال المفسرون والائمة طاعة الرسول في التزام سنته
والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل الله من رسول الا فرض
طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول في سنته
يطع الله في فرايضه وسيل سهل بن عبد الله عن شرايع الاسلام
فقال وما اتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال
اطيعوا الله في فرايضه والرسول في سنته وقيل اطيعوا
الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله
بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة
حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراتي عليه ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
علي بن محمد بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري
ثنا عبدان ثنا عبد الله ثنا يونس عن الزهري اخبرني ابو سلمه
بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله
ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني
فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته
امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى الله تعالى عن
الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث
لا ينفعهم التمني وقال عليه الصلاة والسلام اذا نهيتكم عن
شي فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة
الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني

فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم
اني رايت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجا فاطاعه
طايفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت
طايفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جيت به ومثل من عصاني وكذب
ما جيت به من الحق وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من بنى دارا
وجعل فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل
الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم
ياكل من المادبة فالدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد
اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد صلى الله عليه وسلم
فرق بين الناس والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل واما وجوب طاعته وامتثال سنته والاقتدا

بهديه صلى الله عليه وسلم فقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فامنوا بالله ورسوله النبي
الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون
وقال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
الى قوله تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم
اذا انقاد وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
لمن كان يرجو الله واليوم الاخر الاية قال محمد بن علي الترمذي
الاسوة في الرسول الاقتدا به والاتباع لسنته وترك مخالفته
في قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب
للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت
عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم
الاهتدا باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم

ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم
محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه
على اهوايهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم
له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن
رضي الله تعالى عنه ان قوما قالوا يا رسول الله انا نحب الله
فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية
وروي ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا
نحن ابنا الله واحباوه ونحن اشد حبا لله فانزل الله تعالى
الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا
طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله تعالى والرسول
طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه
عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد
طاعة كما قال القايل

تعصي الاله وانت تظهر حبه ۝ هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ۝ ان المحب لمن يحب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله
تعالى له رحمته له وارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنايه عليه
قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح
كان من صفات الذات وسياتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا
بحول الله سبحانه وتعالى حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر
الفقيه ثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل وحدثنا ابو الحسن
يونس بن مغيث الفقيه بقراتي عليه قالا ثنا حاتم بن محمد
ثنا ابو حفص الجهني ثنا ابو بكر الاجري ثنا ابراهيم بن موسى الجوزي
ثنا داود بن رشيد ثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد
ابن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر الكلاعي عن العرباض

ابن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم
بسنتي وسنة الخلفا الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم
ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في
حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه
صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم متكيا على اريكته ياتيه الامر من امري
مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه
وفي حديث عايشة رضي الله عنها صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشي اصنعه فوالله اني لاعلمهم
بالله واشدهم له خشية وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي
وفهمه وحفظه جا مع القران ومن تهاون بالقران وحديثي
خسر الدنيا والاخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري
ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران قال الله تعالى وما اتاكم
الرسول فخذوه الاية وقال صلى الله عليه وسلم من اقتدى بي فهو مني
ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي
محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم ثلاث فما سوى ذلك
فهو فضل اية محكمة او سنة قايمة او فريضة عادلة وعن الحسن
ابن ابي الحسن رضي الله عنه قال عنه صلى الله عليه وسلم عمل قليل في سنة
خير من عمل كثير في بدعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة
بالسنة يتمسك بها وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر ماية شهيد وقال
صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم ان بني اسرايل افترقوا على احدى

وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار
الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم
واصحابي وعن انس رضي الله تعالى عنه قال صلى الله عليه وسلم من احيى
سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من احيى سنة من سنتي قد
اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينتقص من اجورهم
شيا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل اثام
من عمل بها لا ينتقص ذلك من اوزار الناس شيا فصل
واما ما ورد عن السلف والايمة من اتباع سنته والاقتدا بهديه
وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد
الفقيه سماعا عليه قال ثنا ابو عمر الحافظ قال ثنا سعيد بن نصر
ثنا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى
ابن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من ال خالد بن اسيد انه
سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف
وصلاة الحضر في القران ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي
ان الله تعالى بعث الينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ولا نعلم شيا فانما
نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله تعالى
واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها
ولا النظر في راي من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور
ومن خالفها واتبع غير سبيل المومنين ولاه الله تعالى ما تولى
واصلاه جهنم وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير
من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم
قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه بتعلم السنة والفرايض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا

يجادلونكم

يجادلونكم يعني بالقران فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب
الله تعالى وعن جبير حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع
كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي رضي الله تعالى
عنه حين قرن فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه ترى اني انهى الناس
عنه وتفعله قال لم اكن لادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقول احد من الناس وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني
اعمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت
وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول القصد في السنة خير من
الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر رضي الله عنهما صلاة السفر ركعتان
من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه
ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية
ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر
الله تعالى في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله تعالى الا كان مثله
كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات
عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها
فان اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة
وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على
منهاج الانبيا وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال
بلده وكثرة لصوصه هل ياخذهم بالظنة او يحملهم على البينة وما
جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة
فان لم يصلحهم الله وعن عطا في قوله تعالى فان تنازعتم في شيء
فردوه الى الله والرسول الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا اتباعها وقال عمر رضي الله تعالى عنه ونظر الى الحجر الاسود والله
انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحق فلا اصلحهم

بتقبيلك ما قبلتك ثم قبله ورئي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني رايته رسول الله صلى
الله عليه فعله ففعلته. وقال ابو عثمن الحيري من امر السنة على نفسه
قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة
قال سهل التستري اصول مذهبنا ثلاثة الاقتدا بالنبي صلى الله
عليه وسلم في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية
في جميع الاعمال وجا في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه
الاقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي ان احمد بن حنبل رضي
الله تعالى عنه قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الما فاستعملت
الحديث من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بميزر ولم اتجرد
فرايت تلك الليلة قايلا قال لي يا احمد ابشر فان الله تعالى قد غفر
لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال
جبريل فصل ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال
وبدعة متوعد من الله تعالى عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى
فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم
وقال عز وجل ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المومنين نوله ما تولى الاية حدثنا ابو محمد عبد الله
بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراتي عليهما قالا ثنا ابو القاسم
حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو الحسين بن مسرور الدباغ
ثنا احمد بن ابي سليمن ثنا سحنون بن سعيد ثنا ابن القاسم ثنا مالك عن
العلا بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه
فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم
الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا
فسحقا وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي

فليس

فليس مني وقال من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع
عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكيا
على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول
لا ادري ما وجدنا في كتاب الله تعالى اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وان
ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال صلى الله عليه وسلم
وجي بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جا به
نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم الاية وقال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون وقال
ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لست تاركا شيا كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيا من امره ان ازيغ
الباب الثاني في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى قل ان كان
اباوكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية
فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها
وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم اذ قرع تعالى من كان ماله
واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا
حتى ياتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده
الله حدثنا ابو علي الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو
مما قراته على غير واحد قال ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا
ابو محمد الاصيلي ثنا المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد بن
اسمعيل ثنا يعقوب بن ابرهيم ثنا ابن علية عن عبد العزيز بن
صهيب عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يومن
احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة
نحوه وعن انس رضي الله تعالى عنه صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن
فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان

يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال للنبي صلى
الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شي الا نفسي التي بين جنبي فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه
فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول
صلى الله عليه وسلم عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه عليه الصلاة
والسلام لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث

فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم حدثنا
ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
علي بن خلف ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل
ثنا عبدان ثنا ابي ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد
عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول
الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كبير صلاة ولا صوم
ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن
صفوان بن قدامة هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته
فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت
يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ
عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس
وعن ابي ذر بمعناه وعن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد
حسن وحسين رضي الله عنهما فقال من احبني واحب هذين واباهما
وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة وروي ان رجلا اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي
واني لاذكرك فما اصبر حتى اجي فانظر اليك واني ذكرت موتي
وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين

وان

وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا فدعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليه صح
وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف
فقال ما بالك قال بابي انت وامي اتمتع بالنظر اليك فاذا كان يوم القيامة
رفعك الله بتفضيله فانزل الله تعالى الاية وفي حديث
انس رضي الله عنه ومن احبني كان معي في الجنة

فصل فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم النبي صلى الله عليه وسلم
وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد ثنا العذري ثنا الرازي
ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا يعقوب
بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون
بعدي يود احدهم لو راني باهله وماله ومثله عن ابي ذر رضي الله
تعالى عنه وتقدم حديث عمر رضي الله تعالى عنه وقوله للنبي
صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن
الصحابة رضي الله تعالى عنهم في مثله وعن عمرو بن العاص رضي الله
عنه ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة
بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد ياوي الى فراش الا وهو
يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من
المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن
قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي
عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك
بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة
وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال للعباس ان تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب

لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن اسحاق ان امراة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت اورنيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا واباينا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظما وعن زيد بن اسلم رضي الله تعالى عنه خرج عمر ليلة يحرس فراى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول

على محمد صلاة الابرار * صلى عليه الطيبون الاخيار
قد كنت قواما بكا بالاسحار * يا ليت شعري والمنايا اطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر رضي الله تعالى عنه يبكي وفي الحكاية طول وروي ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خدرت رجله فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت رجله ولما احتضر بلال رضي الله عنه نادت امراته واحزناه فقال واطرباه

غدا نلقى الاحبه * محمدا وحزبه

ويروى ان امراة قالت لعايشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان ابن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد رضي الله تعالى عنه ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت من الناس احدا يحب احدا

كحب اصحاب محمد محمدا وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت المراة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت الا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير رضي الله عنهم بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله

فصل في علامة محبته صلى الله عليه وسلم

قال المولف رحمه الله تعالى اعلم ان من احب شيا اثره واثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتدا به صلى الله عليه وسلم واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتادب في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد في رضى الله تعالى حدثنا القاضي ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا مسلم بن حاتم ثنا محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد ابن المسيب قال انس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيى سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل

المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة
ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله صلى الله عليه وسلم للذي حده
في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه
وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامة محبة النبي صلى
الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيا اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه
الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند
قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون

غدا نلقى الاحبة ۞ محمدا وصحبه

وتقدم قول بلال ومثله قول عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة
خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره
عند ذكره واظهار الخضوع والانكسار مع سماع اسمه الكريم
قال اسحق التجيبي كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه
الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين
منهم من يفعل ذلك محبة له صلى الله عليه وسلم وشوقا اليه ومنهم
من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن هو بسببه من ال بيته وصحابته من الانصار والمهاجرين وعداوة
من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيا احب من يحبه
وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين اللهم اني احبهما
فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد
احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن
ابغضني فقد ابغض الله وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا
بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه
وقال في فاطمة رضي الله تعالى عنها انها بضعة مني يبغضني ما يبغضها
وقال لعايشة رضي الله تعالى عنها في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه

وقال

وقال اية الايمان حب الانصار واية النفاق بغضهم وفي حديث
ابن عمر رضي الله عنهما من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم فبالحقيقة من احب شيا احب كل شي يحبه وهذه
سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال
انس رضي الله تعالى عنه حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع
الدبا من حوالي القصعة فما زلت احب الدبا من يومئذ وهذا
الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسالوها
ان تصنع لهم طعاما مما كان يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي
صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله ورسوله
ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه
واستثقاله كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما
يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وهولاء
اصحابه عليهم الصلاة والسلام قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم
وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابي لو شيت
لاتيتك براسه يعني اباه ومنها ان يحب القران الذي اتى به
صلى الله عليه وسلم وهدي به واهتدى وتخلق به حتى قالت عايشة
رضي الله تعالى عنها كان خلقه القران وحبه للقران تلاوته
والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها
قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القران وعلامة حب
الله وحب القران حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى
الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الاخرة وعلامة
حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا الا يدخر منها الا زادا
وبلغة الى الاخرة وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لا يسال احد
عن نفسه الا القران فان كان يحب القران فهو يحب الله ورسوله ومن كان

ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على امته ونصحه وسعيد
لهم في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان عليه الصلاة والسلام
بالمؤمنين رؤفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها
في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه بها وقد قال صلى الله عليه وسلم صح
لابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان الفقر الى من يحبني منكم
اسرع من السيل من اعلى الوادي او الجبل الى اسفله وفي حديث
عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني
احبك فقال انظر ما تقول قال والله اني احبك فقال انظر ما تقول قال
والله اني احبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد للفقر
تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد رضي الله تعالى عنه بمعناه

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها

اختلف الناس في تفسير محبة الله تعالى ومحبة النبي صلى الله عليه
وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة
الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال فقال سفيان
المحبة اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام كانه التفت
الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية وقال
بعضهم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم اعتقاد نصرته والذب
عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة
دوام الذكر للمحبوب وقال اخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة
الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد
الرب يحب ما احب ويكره ما كره وقال اخر المحبة ميل القلب الى
موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة
دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون
موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات
الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة مما كل طبع سليم مائل اليها

وقال اخر المحبة ميل القلب الى ذو ل قوله صح

لموافقتها

لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني
باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والمأثور
عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل
الى الشغف بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع
من امة في اخرين ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم
واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة
احسانه له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من
احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب
كلها في حقه عليه الصلاة والسلام فعلمت انه عليه
الصلاة والسلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة
اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن
فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب بما لا يحتاج الى زيادة
واما احسانه وانعامه على امته فكذلك قد مر منه
في اوصاف الله سبحانه وتعالى له من رافته بهم ورحمته لهم
وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار
وانه بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ويتلو عليهم اياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم
فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المومنين
واي افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين
اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم
الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم
عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم
السرمد فقد استبان لك انه صلى الله عليه وسلم مستوجب
للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار عادة

وجملة ما ذكرناه يقال الافاضه للاحسان وعمومه الاجمال فاذا
كان الانسان يحب من منحه في دنياه مودة او شرفني عمره وفا او استنقذه
من هلكة او مضرة مدة التاذي بها قليل منقطع فمن منحه
ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب
واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر
من قوام طريقته او قاص بعيد الدار لما فشا من علمه او كرم
شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق
بالحب واولى بالميل وقد قال علي رضي الله تعالى عنه
في صفته صلى الله عليه وسلم من راه بديهة هابه ومن خالطه
معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف
بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم وعظم وكرم

فصل في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم

قال الله سبحانه وتعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور
رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا
مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه
ابو الوليد بقراءتي عليه ثنا حسين بن محمد ثنا يوسف
ابن عبد الله ثنا ابن عبد المومن ثنا ابو بكر التمار ثنا
ابو داود ثنا احمد بن يونس ثنا زهير ثنا سهيل بن ابي صالح
عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة
المسلمين وعامتهم قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله
ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان البستي
الخطابي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح

له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها
في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه
وقال ابو بكر بن ابي اسحاق الخفاف النصح فعل الشيء الذي
به الصلاح والملاءمة ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط
به الثوب وقال ابو اسحاق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى
صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه
عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والا خلاص
في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه
وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه
والتفقه فيه والذب عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين
والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة
له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال ابو بكر ومؤازرته
ونصرته وحمايته حيا وميتا واحيا سنته بالطلب والذب
عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة
وقال ابو اسحاق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم
التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها
والحض عليها والدعوة الى الله تعالى والى كتابه والى رسوله
واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب
اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر
الاجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا
بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة
عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس
والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه الاية وقال تعالى وينصرون الله ورسوله الاية
واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير

والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته
والتفقه في شريعته ومحبة اهل بيته واصحابه ومجانبة
من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير عنه
والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره
وادابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة
احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه
وحكى الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى ان
عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف
بالصفار رئي في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي
فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على
جنودي فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله تعالى لي ذلك وغفر لي
واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم
فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم
على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج
عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة
المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم
بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد
محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره

صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه
الاية وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين
يدي الله ورسوله يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت

النبي

النبي الثلاث الايات **وقال** لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعزيره وتوقيره والزم اكرامه
وتعظيمه **قال ابن عباس رضي الله عنهما** تعزروه تجلوه
وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه **وقال الاخفش**
تنصرونه **وقال الطبري** تعينونه وقرئ تعززوه من
العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب
بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب
قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال
فاستمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء
امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال او غيره
من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به واليه يرجع قول الحسن
ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم
مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم **قال
الماوردي** اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله
في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم
ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول
كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل ينادي بعضهم
بعضا باسمه **قال ابو محمد** مكي اي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا
له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه
ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي
الله وهذا كقوله في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا على احد التاويلين **وقال** غيره لا تخاطبوه بالاستفهام
ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم
منه قيل نزلت الاية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى
الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل

ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى
في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم لاختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما
وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله
عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه صمم فكان
يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام في منزله وخشي ان
يكون حبط عمله ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله
لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ
جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى
ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم
اليمامة وروي ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه لما نزلت
هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كاخي
السرار وان عمر رضي الله كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار
ما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه
فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر
عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون في غير وفد بني تميم نادوه باسمه وروى
صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه
اعرابي بصوت له جهوري ايا محمد ايا محمد فقلنا له
اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت وقال
الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين
هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله
عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن
قولها اذ مقتضاها انهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه

ان يرعى

ان يرعى على كل حال صلوات الله وسلامه عليه وقيل كانت
اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون
عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة
اللفظ وقيل غير هذا

فصل في عادة الصحابة رضي
الله تعالى عنهم في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره واجلاله
حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي بسماعي
عليهما في اخرين قالوا ثنا احمد بن عمر ثنا احمد بن الحسن ثنا
محمد بن عيسى ثنا ابرهيم بن سفيان ثنا مسلم ثنا محمد بن مثنى وابو
معن الرقاشي واسحق بن منصور قالوا ثنا الضحاك بن مخلد
ثنا حياة بن شريح حدثني يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري
قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو
قال وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املا عيني منه اجلالا
له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املا عيني منه
وروى الترمذي عن انس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والا نصار
وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره
الا ابا بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويبتسمان
اليه ويبتسم اليهما وروى اسامة بن شريك اتيت النبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤوسهم الطير وفي حديث
صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير وقال
عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى وانه لا
يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا
يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا

بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها
واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم
عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له قال فلما رجع الى
قريش قال يا معشر قريش اني جيت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه
والنجاشي في ملكه واني والله ما رايت ملكا في قوم قط مثل محمد
في اصحابه وفي رواية ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه
ما يعظم محمدا اصحابه وقد رايت قوما لا يسلمونه ابدا
وعن انس رضي الله عنه لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة
الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان رضي الله
عنه في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم
في القضية ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفي حديث طلحة ان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا
يهابونه ويوقرونه فساله فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث
قيلة فلما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء
ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما صلى الله عليه وسلم
وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد
ان اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فاخره سنين من
هيبته **فصل واعلم ان حرمة النبي** صلى الله عليه
وسلم بعد موته وتعظيمه وتوقيره لازم كما كان حال حياته
وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر حديثه وسنته
وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته

وصحابته

وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مومن متى
ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته
وياخذ في هيبته واجلاله ما كان ياخذ به نفسه لو كان بين
يديه ويتادب بما ادبنا الله **قال المؤلف** رحمه الله تعالى
وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وايمتنا الماضين رضي الله عنهم
حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم
احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه قالوا ثنا ابو العباس
احمد بن دلهاث ثنا ابو الحسن علي بن فهر ثنا ابو بكر محمد بن احمد
بن الفرج ابو الحسن عبد الله بن المنتاب ثنا يعقوب بن اسحاق بن ابي
اسرائيل ثنا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المومنين مالكا في
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المومنين
لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح قوما فقال ان الذين
يغضون اصواتهم الاية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان
لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام
استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك
عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه الصلاة والسلام
الى الله تعالى يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك
الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا
الله واستغفر لهم الرسول الاية **وقال مالك** رضي الله تعالى
عنه وقد سيل عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب
افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه فلا اسمع منه غير
انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما رايت
منه ما رايت واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه

فيشفعه الله فيك خ واضط

وقال مصعب بن عبد الله كان مالك رضي الله تعالى عنه
اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب
ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم
ما رأيت لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر
وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث ابدا الا يبكي حتى
نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة
والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رأيته
يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد
اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما
مصليا واما صامتا واما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه
وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد
كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى
لونه كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله
ابن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى
في عينيه دموع ولقد رأيت الزهري وكان من اهنا
الناس واقربهم فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك
ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين
فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس
عنه ويتركوه وروي عن قتادة رضي الله تعالى عنه
انه اذا كان سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر على
مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال
الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان ابن سيرين ربما يضحك
فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وكان عبد

الرحمن

الرحمن بن مهدي اذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم
بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتأول
انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند
سماع قوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا
الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا ابو بكر
البرقاني وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا علي بن
مبشر ثنا احمد بن سنان القطان ثنا يزيد بن هارون
ثنا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال
اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على
لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه
كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا
ان شاء الله او فوق ذا او ما دون ذا او ما قرب من ذا وفي
رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه
وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم
الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس رضي الله تعالى عنه
على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعا
فاجلس فيه فكرهت ان آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب
فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له
الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع وروي
عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده

حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب
كان مالك بن انس رضي الله عنه لا يحدث بحديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا على وضوء اجلالا له وحكى ذلك مالك
عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن
انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا وتهيا
ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسيل عن ذلك فقال
انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان اذا
اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم
الشيخ تريدون الحديث او المسايل فان قالوا المسايل خرج
اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب
ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على راسه
رداه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع
ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة
الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن ابي اويس
فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال
وكان يكره ان يحدث في الطريق او وهو قايم او مستعجل وقال
احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا على غير وضوء ونحوه
عن قتادة وكان الاعمش اذا حدث على غير وضوء تيمم وكان
قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرا حديث النبي صلى
الله عليه وسلم الا على وضوء قال عبد الله بن المبارك كنت
عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة
وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له
يا ابا عبد الله لقد رايت منك اليوم عجبا قال نعم انما صبرت
اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدي
مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسالته عن حديث فانتهرني
وقال كنت في عيني اجل من ان تسال عن حديث رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وساله جرير بن عبد الحميد
القاضي عن حديث وهو قايم فامر بحبسه فقيل له انه قاض
قال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام بن الغازي
سال مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم
اشفق فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني
سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك
والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة
يستحب ان لا تقرا احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على
وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان
يحدث وهو على غير وضوء تيمم فصل
ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات
المؤمنين ازواجه كما حض عليه عليه الصلاة والسلام وسلكه
السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم اجمعين قال الله تعالى
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وقال تعالى
وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد
العدل من كتابه وكتبت من اصله ثنا ابو الحسن المقري
الفرغاني حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف ثنا
ابي ثنا حاتم هو ابن عقيل ثنا يحيى هو ابن اسماعيل ثنا يحيى
هو الحماني ثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد
ابن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وقال عليه الصلاة والسلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه الصلاة والسلام معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكسا وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هولاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص لما نزلت اية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم ان هولاء اهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مومن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله ومن اذى عمي فقد اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس رضي الله تعالى عنه اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو ابي وهولاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين وكان ياخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا وقال من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله تعالى وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال صلى الله عليه وسلم لام سلمة لا توذيني في عايشة وعن عقبة بن الحارث رايت ابا بكر رضي الله تعالى عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول

بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي

وعلي رضي الله تعالى عنه يضحك وروي عن عبد الله بن حسن رضي الله تعالى عنه قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب الي فاني استحيي من الله تعالى ان اراك على بابي وعن الشعبي رضي الله تعالى عنه صلى زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه على جنازة امه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا امرنا ان نفعل بالعلما فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا وراي ابن عمر محمد بن اسامة ابن زيد فقال ليت هذا عبدي فقيل هو محمد بن اسامة بن زيد فطاطا ابن عمر راسه ونقر بيده الارض وقال لو راه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها

ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لابنه عبد الله
في ثلاثة الاف ولاسامة بن زيد في ثلاثة الاف وخمسماية
قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد
فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ابيك واسامة احب اليه منك فاثرت حب رسول الله صلى
الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية رضي الله تعالى عنه
ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل
بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وروي ان مالكا رضي الله تعالى عنه لما
ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه
دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني قد جعلت ضاربي
في حل فسيل بعد ذلك فقال خفت ان اموت والقى النبي صلى
الله عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل بعض اله النار بسببي
وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله
والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني
ابو بكر وعمر وعلي لبدات بحاجة علي قبلهما لقرابته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر من السما الى الارض
احب الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس رضي الله عنهما
ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد
فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا واي اية اعظم
من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر
رضي الله تعالى عنهما يزوران ام ايمن مولاة النبي صلى الله عليه

في / لقرابته من

وسلم ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما
وردت حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها
رداه وقضى حاجتها فلما توفي صلى الله عليه وسلم وفدت على
ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فصنعا بها مثل ذلك

فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم

وبره توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتدا بهم
وحسن الثنا عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم
ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة
الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد
منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن
احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل
ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر حسنا
وفضايلهم وحميد سيرتهم ويسكت عما ورا ذلك كما قال صلى
الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول
الله والذين معه اشدا على الكفار رحما بينهم الى اخر السورة
وقال والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الاية
وقال لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا القاضي ابو
علي ثنا ابو الحسين وابو الفضل قالا ثنا ابو يعلى ثنا ابو علي
السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسن بن الصباح
ثنا سفيان بن عيينة عن زايدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي
عن ابن حراش عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقال انس رضي الله تعالى
عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في

تهم

الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال صلى الله عليه وسلم
الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي
احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله يوشك ان يأخذه وقال لا تسبوا اصحابي
فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه
وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا يوم القيمة وقال اذا ذكر اصحابي
فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله اختار اصحابي على جميع
العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر
وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير
وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني وقال
مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء
المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الاية
وقال من غاظه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر قال
الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان
من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
قال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب
عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله
تعالى ومن احب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن
احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق
ومن تنقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح
واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون
قلبه لهم سليما وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك
ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير

وسعد

وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها
الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني
في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها
مظلمة لا توهب في القيمة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين
عمر بن عبد العزيز من معوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه
على وحي الله واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل
عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله تعالى قال صلى الله عليه
وسلم في الانصار في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم
وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه
الله تعالى في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه
ومن تخلى الله منه يوشك ان يأخذه وعنه صلى الله عليه وسلم
من حفظني في اصحابي كنت حافظا له يوم القيمة وقال من حفظني في
اصحابي ورد على الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض
ولم يرني الا من بعيد قال مالك رضي الله تعالى عنه هذا
النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذي هدانا به وجعله
رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر
لهم كالمودع لهم وبذلك امره الله تعالى بذلك وامر النبي صلى
الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي
عن كعب ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة
يوم القيمة وطلب رجل من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيمة قال سهل
رضي الله عنه التستري لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم
يوقر اصحابه ولم يعز اوامره

فصل

ومن اعظامه صلى الله عليه وسلم واكباره واعظام جميع
اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده

ومما لمسه صلى الله عليه وسلم او عرف به **وروي** عن صفية
بنت نجدة قالت كان لابي محذورة قصة في مقدم راسه اذا
قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن
بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده **وكانت**
في قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه شعرات من شعره
صلى الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها
شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها
فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه
وسلم لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين **وروي**
ابن عمر رضي الله تعالى عنهما واضعا يده على مقعد النبي صلى الله
عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه **ولهذا** كان مالك
رحمه الله تعالى لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحيي من الله
ان اطا تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة
وروي انه وهب للشافعي رضي الله تعالى عنهما كراعا كثيرا
كان عنده فقال له الشافعي رضي الله عنه امسك منها دابة فاجابه
بمثل هذا الجواب **وقد حكى** ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد
ابن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال ما مسست
القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخذ القوس بيده **وقد افتى** مالك رحمه الله تعالى فيمن قال تربة
المدينة رديئة بضرب ثلاثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال
ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزعم انها غير طيبة **وفي الصحيح** انه صلى الله عليه وسلم قال في
المدينة من احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله تعالى منه صرفا ولا عدلا **وحكي** ان جهجاها
الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله تعالى

عنه

عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة
في ركبته فقطعها ومات قبل الحول **وقال صلى الله عليه وسلم**
من حلف على منبري كاذبا فليتبوا مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل
الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا
منشدا

ولما راينا رسم من لم يدع لنا • فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة • لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه
وسلم انشا يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر • قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا • فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى • فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد
الابق ياتي الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما
مشيت على قدمي **قال المؤلف رحمه الله تعالى** وجدير
لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت
منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت
تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة
رسوله ما انتشر • مدارس ايات • ومساجد وصلوات • ومشاهد
الفضائل والخيرات • ومعاهد البراهين والمعجزات • ومناسك الدين
ومشاعر المسلمين • ومواقف سيد المرسلين • ومتبوا خاتم
النبيين • حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها • ومواطن
مهبط الرسالة بها • واول ارض مس جلد المصطفى صلى الله عليه
وسلم ترابها • جديرات تعظم عرصاتها • وتتنسم نفحاتها
وتقبل ربوعها وجدرانها •

تربتها على جسد سيده

يا دار خير المرسلين ومن به • هدي الانام وخص بالايات
عندي لاجلك لوعة وصبابة • وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد ان ملات محاجري • من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبي بينها • من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والاعادي زرتها • ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن ساهدي من جميل تحيتي • لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة • تغشاه بالاصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات • ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في الصلاة عليه والتسليم

قال الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية

وفرض ذلك وفضيلته قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معناه ان الله وملايكته يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم على النبي وملايكته يدعون له قال المبرد واصل الصلاة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملايكة رقة واستدعاء للرحمة من الله تعالى وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملايكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعا وقال بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلاة الله ثناوه عليه عند الملايكة وصلاة الملايكة الدعا قال المولف رحمه الله تعالى وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل على انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند

ذكره

٩٨

ذكره وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك ومعك ويكون السلامة لك ومعك ويكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون السلام هنا اسم الله تعالى الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل

اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الايمة والعلما له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الاية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج وماثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن ابن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان ياتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر ابن بكير افترض الله تعالى على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا تتعين في الصلاة وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي رضي الله تعالى عنهم الفرض منها الذي امر الله تعالى به رسوله عليه الصلاة والسلام هو

في الصلاة وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة
واما في الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي
وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة
على ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة
وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه
وسلم من بعد التشهد الاخر وقبل السلام فصلاته فاسدة
وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة
يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه
جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير
واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلاة
الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك
فصلاته مجزية في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري
واهل الكوفة من اصحاب الراي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم
وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخر مستحبة وان
تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في
الصلاة الاعادة واوجب اسحاق الاعادة مع تعمد تركها دون
النسيان قال ابو محمد ابن ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة وحكى ابو محمد يريد ليست من
فرائض الصلاة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار
وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول
الشافعي وحكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة
اقوال في الصلاة الوجوب والسنة والندب وقد خالف الخطابي
وغيره من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسئلة قال
الخطابي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء
الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست

من

من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم
عليه وقد شنع الناس عليه في هذه المسئلة جدا وهذا التشهد
ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى
الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك
كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس
وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد
الله بن الزبير رضي الله عنهم لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم
يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القران ونحوه عن ابي سعيد الخدري وابو موسى الاشعري وعبد الله بن زبير
وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان
في الكتاب وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلاة
لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي
مرة في عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي
حديث ابي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى
صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه وقد روي
موقوفا من قبل ابن مسعود قال الدارقطني الصواب انه من قول
ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها
على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم

فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على
النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة كما
قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعا حدثنا القاضي
ابو علي رحمه الله تعالى بقراتي عليه قال ثنا الامام ابو القاسم
البلخي قال ثنا الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي عن ابي سعيد الهيثم
ابن كليب عن ابي عيسى الحافظ قال ثنا محمود بن غيلان ثنا
عبد الله بن يزيد المقري ثنا حيوة بن شريح ثنا ابو هانى

بيان التمجيد

الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد الله تعالى والثنا عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شا وروي من غير هذا السند بتمجيد الله وهو اصح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الدعا والصلاة معلق بين السما والارض ولا يصعد الى الله منه شي حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وعن عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال وعلى الدعا وروي ان الدعا محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه اذا اراد احدكم ان يسال الله شيا فليبدا بمدحه والثنا عليه بما هو اهله ثم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسال فانه اجدر ان ينجح وعن جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملا قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شرابه شربه او الوضو توضا والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعا واوسطه واخره وقال ابن عطا للدعا اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته طار في السما وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله تعالى وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعا بين الصلاتين لا يرد وفي حديث اخر كل دعا محجوب دون

السما

السما فاذا جاءت الصلاة على صعد الدعا وفي دعا ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه عنه حنش فقال في اخره واستجب دعاي ثم تبدا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين امين ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان وقد قال عليه الصلاة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله عليه وسلم على محمد لم تكن تسمية له مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروي النساي عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلاة والسلام عليه دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعلى اله ويبارك عليه وعلى اله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت

هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا لم يكن في البيت احد فقل
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت
المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله
وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر
الصلاة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله
اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر
السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم والاختلاف
في الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه ايضا صلى الله عليه
وسلم الصلاة على الجنائز وذكر عن ابي امامة انها من السنة
ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها
الصلاة على النبي واله صلى الله عليه وسلم في الرسايل وما يكتب
بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند
ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم
من يختم به ايضا الكتب وقال عليه الصلاة والسلام من صلى
علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب
ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة
حدثنا ابو القاسم خلف بن ابرهيم المقرئ الخطيب رحمه الله
وغيره قال حدثتني كريمة بنت احمد قالت ثنا ابو الهيثم
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا ابو نعيم ثنا الاعمش
عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد

صالح

صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته
اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر رضي الله تعالى
عنهما انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم سلام
واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام
قال محمد بن مسلمة اراد ما جا عن عايشة وابن عمر رضي الله عنهم
انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان
حين سلامه كل عبد صالح في السما والارض من الملائكة وبني
ادم والجن قال مالك في المجموعة واحب للماموم اذا سلم امامه
ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم والله اعلم

فصل في كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم

حدثنا ابو اسحاق ابرهيم بن جعفر الفقيه
بقراتي عليه ثنا القاضي ابو الاصبغ عيسى بن سهل ثنا ابو عبد
الله بن عتاب ثنا ابو بكر بن واقد وغيره ثنا ابو عيسى ثنا
عبيد الله ثنا يحيى ثنا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم
عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد
الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال
قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ال ابرهيم
وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ال ابراهيم
انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة
اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على
محمد وال محمد كما باركت على ال ابرهيم انك حميد مجيد وعن عقبة
بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى ال محمد

وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد

وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك
وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا
عليه وابو الحسن علي بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا ثنا ابو
عبد الله بن سعدون الفقيه ثنا ابو بكر المطوعي ثنا ابو عبد
الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي
عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد
ابن علي بن الحسين عن ابيه عن جده الحسين عن ابيه علي بن ابي
طالب قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
عدهن في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند رب العزة
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم
انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد
كما ترحمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم
وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم
انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على
ابراهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال
الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي
وازواجه امهات المومنين وذريته واهل بيته كما صليت
على ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري
سالت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال اجتهدوا
في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على ابرهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي
رضي الله تعالى عنه يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل شرايف

صلواتك

صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك
ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق
بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك
بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك
ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل
باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وابهج
موضحات الاعلام ونايرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو
امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين و
بعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك
واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنآت له غير مكدرات
من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم
اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له
نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة
ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا
في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملايكته يصلون
على النبي الاية لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات الله البر الرحيم
والملايكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين
وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد
البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد
عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وبارك على

محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد
مجيد **وكان** الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب
بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على
محمد وعلى اله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل
بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا
معهم اجمعين يا ارحم الراحمين **وعن طاوس** عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما انه كان يقول **اللهم تقبل** شفاعة
محمد الكبرى وارفع درجته العليا واته سؤله في الاخرة والاولى
كما اتيت ابرهيم وموسى **وعن وهيب** بن الورد انه كان
يقول في دعايه **اللهم اعط** محمدا افضل ما سالك
لنفسه واعط محمدا افضل ما سالك له احد من خلقك واعط
محمدا افضل ما انت مسول له الى يوم القيمة **وعن ابن مسعود**
رضي الله تعالى عنه انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله
عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك
يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك
على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك
ورسولك امام الخير وقايد الخير ورسول الرحمة **اللهم**
ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والاخرون **اللهم**
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابرهيم انك
حميد مجيد **اللهم** بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
ابرهيم انك حميد مجيد **وما يوثر** في تطويل الصلاة وتكثير الثنا
على البيت وغيرهم كثير **وقوله** والسلام كما قد علمتم هو ما
علمهم في التشهد من قوله عليه الصلاة والسلام السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين **وفي تشهد** علي رضي الله تعالى عنه السلام

على نبي الله السلام على انبيا الله ورسله السلام على رسول
الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المومنين
والمومنات من غاب منهم ومن شهد **اللهم** اغفر لمحمد وتقبل
شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا
وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته فجا في هذا الحديث عن علي رضي الله عنه
الدعا للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران **وفي حديث** الصلاة
عليه ايضا قبل الدعا له بالرحمة ولم يات في غيره من الاحاديث
المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا
يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة
والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة **وقد ذكر**
ابو محمد بن ابي زيد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم ارحم محمدا وال محمد كما رحمت على ابرهيم وال ابرهيم
ولم تات هذه في حديث صحيح وحجته قوله في السلام السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته **فصل**
في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم عليه
والدعا له **حدثنا** احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه **ثنا**
القاضي يونس بن مغيث **ثنا** ابو بكر بن معوية **ثنا** النساي **ثنا**
سويد بن نصر **ثنا** عبد الله عن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب
بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد
الله بن عمرو يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا
علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة
فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله تعالى وارجو
ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي **وروي**
انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة

صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع عشر
درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن أنس عنه عليه
الصلاة والسلام أن جبريل عليه الصلاة والسلام ناداني فقال
من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات
ومن رواية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عنه صلى الله عليه
وسلم لقيت جبريل فقال إني أبشرك أن الله تعالى يقول من سلم عليك
سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية أبي هريرة
ومالك بن أوس بن الحدثان وعبيد الله بن أبي طلحة وعن زيد بن الحباب
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وأنزله
المنزل المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود
رضي الله عنه أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة وعن أبي هريرة
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب
لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب
وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى
علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد
أو ليكثر وعن أبي بن كعب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا ذهب ربع الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت
الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال أبي بن كعب
يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال ما
شئت وإن زدت فهو خير قال يا رسول الله قال الربع قال ما
شئت وإن زدت فهو خير قال الثلث قال ما شئت وإن زدت
فهو خير قال النصف قال ما شئت وإن زدت فهو خير
قال الثلثين قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال يا رسول
الله فأجعل صلاتي كلها لك قال إذن تكفى ويغفر ذنبك وعن
أبي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره

وطلاقته

ما لم أره قط فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل آنفا
فأتاني ببشارة من ربي إن الله تعالى بعثني إليك أبشرك أنه
ليس أحد من أمتك يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه وملائكته
بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من
قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة
القائمة آت محمدا الوسيلة والدرجة والفضيلة وابعثه مقاما
محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيامة وعن سعد
ابن أبي وقاص رضي الله عنه من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله
رضيت بالله ربا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وبالإسلام
دينا غفر له وروى ابن وهب أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من سلم علي عشرا فكأنما أعتق رقبة وفي بعض الآثار ليردن
علي أقوام ما أعرفهم إلا بكثرة صلاتهم علي وفي آخر إن أنجاكم يوم
القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم علي صلاة وعن أبي بكر رضي الله عنه
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمحق للذنوب من الماء البارد
للنار والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله تعالى ثنا أبو الفضل
ابن خيرون وأبو الحسين الصيرفي قالا ثنا أبو يعلى ثنا السنجي ثنا
محمد بن محبوب ثنا أبو عيسى ثنا أحمد بن إبراهيم ثنا الدورقي ثنا ربعي
ابن إبراهيم عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد عن
أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف
رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك
أبواه عنده الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن وأظنه قال

ثم صعد فقال امين

اواحدهما وفي حديث اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد
المنبر فقال امين ثم صعد فقال امين فسأله معاذ عن ذلك
فقال ان جبريل عليه السلام اتاني فقال يا محمد من سميت بين
يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل امين فقلت
امين وقال فمن ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك
ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
البخيل كل البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر
ابن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده
فلم يصل علي اخطي به طريق الجنة وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده
فلم يصل علي وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال ابو القاسم
صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا
اسم الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله
ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه
من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة رضي الله تعالى
عنه عنه صلى الله عليه وسلم من الجفاء ان اذكر عند الرجل
فلا يصلي علي وعن جابر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه
وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة وعن
ابي سعيد رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم
الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وحكى ابو
عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي
صلى الله عليه وسلم في المجلس مرة اجزا عنه ما كان في ذلك المجلس

فصل

فصل في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بتبليغ صلاة

من صلى عليه او سلم من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي
ثنا الحسين بن محمد ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة
ثنا ابو داود ثنا ابن عوف ثنا المقري ثنا حيوة عن ابي صخر حميد
ابن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي
الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي
شيبة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته
وعن ابن مسعود رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة
سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة
وعن ابن عمر رضي الله عنه اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة
فانه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي
علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن رضي الله
عنه عنه صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم فصلوا علي فان
صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس احد من امة
محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم
ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن علي
الحسن بن علي رضي الله عنهما اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى
الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي
عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم
تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلاة
يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي وعن سليمان بن سحيم
رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء
الذين يأتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم

وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا
علي من الصلاة في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم
وان الارض لا تاكل اجساد الانبيا وما من مسلم يصلي علي الا حملها
ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا

فصل في الاختلاف في الصلاة على غير النبي صلى الله عليه
وسلم وساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام قال المولف رحمه الله
تعالى عنه عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير
النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه لا يجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي
الصلاة على احد الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي
ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى
على احد من الانبيا سوى محمد صلى الله عليه وسلم وسوي محمد صلى الله عليه
وسلم وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوطة
ليحيى بن اسحاق اكره الصلاة على غير الانبيا وما ينبغي لنا ان نتعدى
ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست اخذ بقوله ولا باس بالصلاة
على الانبيا كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في
حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وفيه وعلى
ازواجه وعلى اله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفاسي روي
عن ابن عباس كراهية الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم
قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد
الرزاق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلوا على انبيا الله ورسله فانه بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد
عن ابن عباس لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعا
وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد
قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملايكته الاية فالاخذ من اموالهم

صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الاية وقال اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
صل على ال ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم
صل على ال فلان وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد
وعلى ازواجه وذريته وقيل وعلى ال محمد قيل اتباعه وقيل
امته وقيل اهل بيته وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل
ال الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة
وفي رواية انس سيل النبي صلى الله عليه وسلم من ال محمد قال كل تقي
ويجي على مذهب الحسن ان المراد بال محمد محمد نفسه فانه كان يقول
في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك على ال محمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتي
بالنفل لان الفرض الذي امر الله تعالى به هو الصلاة على محمد
نفسه وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم لقد اوتي مزمارا
من مزامير ال داود يريد من مزامير داود وفي حديث ابي حميد
الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته
وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى
ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطا من رواية يحيى بن يحيى
الاندلسي والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر وروى
ابن وهب عن انس بن مالك قال كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول
اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون
بالليل ويصومون بالنهار قال المولف رحمه الله تعالى والذي
ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما
الله تعالى وروي عن ابن عباس رضي عنهما واختاره غير واحد
من الفقها والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبيا عند ذكرهم بل هو
شي يختص به الانبيا توقيرا لهم وتعزيرا كما يختص الله تعالى عند

ذكرهم بالتقديس والتنزيه والتعظيم لا يشاركه فيه غيره
كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبيا بالصلاة
والتسليم ولا يشاركهم فيه سواهم كما امر الله تعالى به لقوله صلوا
عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الايمة وغيرهم بالغفران
والرضا كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان وقال والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه
وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول كما قال ابو عمر
وانما احدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الايمة فشاركوهم
عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله عليه
وسلم في ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب
مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلاة على الال والازواج
مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص
قالوا وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى
الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد
قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك
يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا
اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا **فصل**
في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وفضيلة من زاره وسلم عليه
وكيف يسلم عليه ويدعو وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام
سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روي عن ابن عمر
رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت
له شفاعتي حدثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا
الحسين بن جعفر ثنا ابو الحسن علي بن عمر الدارقطني ثنا القاضي المحاملي
ثنا محمد بن عبد الرزاق ثنا موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع
عن ابن عمر فذكره وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا
يوم القيامة وفي حديث اخر من زارني بعد موتي فكانما زارني
في حياتي وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله صلى
الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم
عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا وقوله صلى
الله عليه وسلم من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل
لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشي
اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث اهل
الجنة زيارتهم لربهم جل وعز ولم يمنع هذا اللفظ في
حقه تعالى **قال** ابو عمران انما كره ان يقال طواف الزيارة
وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم
بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا
اللفظ واحب ان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم
وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطي
الى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب
وتاكيد **والاولى** عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته
الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه
وسلم لم يكرهه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري
وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله تعالى على قوم اتخذوا قبور
انبيايهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل
اوليك قطعا للذريعة وحسما للباب والله سبحانه وتعالى اعلم
قال اسحق بن ابرهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة
والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه

ومواطئ قدميه والعود الذي كان يستند اليه وتنزل جبريل
بالوحي فيه عليه ومن عمره وقصده من الصحابة وايمة
المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابي فديك سمعت بعض
من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله وملائكته يصلون على
النبي ثم قال صلى الله عليك وسلم يا محمد من يقولها سبعين مرة
ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن
يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما
ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام قال غيره وكان يبرد
اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت انس بن مالك اتى قبر
النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقال مالك في رواية ابن وهب
اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه
الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال
في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو
ولكن يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه
النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند
القبر على راسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر
رايته مائة مرة او اكثر يجي الى القبر فيقول السلام على النبي
السلام على ابي بكر السلام على ابي حفص ثم ينصرف ورئي
واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم
وضعها على وجهه وعن ابن قسيط والعتبي كان اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم اذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي
القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون وفي الموطا من
رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه

فوقف ورفع يديه حتى ظننت انه يفتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم

وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر وعند
ابن القاسم والقعنبي ويدعو لابي بكر وعمر قال مالك في رواية
ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد
الباجي وعندي انه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة
ولابي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول
اذا دخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على
رسول الله عليه الصلاة والسلام السلام علينا من ربنا وصلى
الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي
ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد
الله تعالى فيهما وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان
كانت ركعتاك في غير الروضة اجزاتاك وفي الروضة افضل
وقد قال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض
الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا
متوقرا فتصلي عليه صلى الله عليه وسلم وتثني بما يحضرك وتسلم
على ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تاتي مسجد قبا
وقبور الشهداء قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى
الله عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك
قال محمد واذا خرج جعل اخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك
من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة رضي الله
تعالى عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم
وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت

فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح
لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى فليسلم وكان فليقل فيه
وليقل اذا خرج اللهم اني اسالك من فضلك وفي رواية اخرى
اللهم احفظني من الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين كان
الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله عليه وسلم وملائكته
على محمد السلام عليك ايها النبي صلى الله عليه وسلم ورحمة
الله بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا
يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة ايضا كان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله عليه وسلم ثم ذكر مثل
حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على
النبي وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن
غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم
افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى
الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس
يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر
وانما ذلك للغربا وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر
او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي
عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر فقيل له فان ناسا من اهل المدينة
لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة
او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة والمرتين او اكثر
عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن
احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح اخر هذه الامة
الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها
انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال

ابن

ابن القاسم ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر
فسلموا قال وذلك رايي قال الباجي ففرق بين اهل المدينة
والغربا لان الغربا قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون
بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال صلى الله عليه
وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله تعالى على
قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري
عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف
بالقبر لا يلتصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي
العتبية يبدا بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم
حيث العمود المخلق واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف
والتنفل فيه للغربا احب الي من التنفل في البيوت الله

فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى

الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة
فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة
ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول
يوم احق ان تقوم فيه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب
وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما انه مسجد قبا حدثنا هشام بن احمد
الفقيه بقراءتي عليه قال ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا
ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة
ثنا ابو داود ثنا مسدد ثنا سفيان عن الزهري عن
سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد

مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت
الاثار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول
المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم
وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم
وقال مالك رحمه الله تعالى سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من
ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين لادبتك ان مسجدنا
لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي ان يتعمد احد
برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره قال
المؤلف رحمه الله تعالى حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في
مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلما
كلهم متفقون ان حكم ساير المساجد هذا الحكم قال القاضي
اسماعيل وقال محمد يعني ابن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى
الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم
وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت
بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجد منى
وقال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم
صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا
المسجد الحرام قال القاضي اختلف الناس في معنى هذا
الاستثنا في اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة
فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه
وجماعة من اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلاة في مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة في ساير المساجد
بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة في مسجد النبي صلى

الله

الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه بدون الالف واحتجوا
بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة في المسجد
الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه فتاتي فضيلة مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم بتسع مائة وعلى غيره بالف وهذا
مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمنا وهو قول
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ومالك رحمه الله واكثر
المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو
قول عطا وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك حكاه الباجي
عن الشافعي رضي الله تعالى عنه وحملوا الاستثنا في الحديث المتقدم
على ظاهره وان الصلاة في المسجد الحرام افضل واحتجوا
بحديث عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلاة في المسجد الحرام
افضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة وروي
قتادة مثله فياتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلاة
في ساير المساجد بماية الف صلاة ولا خلاف ان موضع قبره صلى
الله عليه وسلم افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد
الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لساير المساجد
ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان
هذا التفضيل انما هو في صلاة الفرض وذهب مطرف من
اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة
ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان
بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه الصلاة والسلام
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة
وابي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث اخر منبري
على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان احدهما ان

كلاهما خ
مسجد خ

المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روي ما بين بيته
بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول
زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال
الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات
ولم يكن بينها خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله
ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي كان في الدنيا
وهو الظاهر والثاني ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد
منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض
ويوجب الشرب منه قاله الباجي **وقوله** روضة من رياض
الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعا والصلاة
فيه تستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف
والثاني ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة
بعينها قاله الداودي وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه وجماعة
من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر احد
على لأوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة
وقال يأتي على الناس زمان يتحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون
وقال انما المدينة كالكير ينفي خبثها وينصع طيبها وقال لا
يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله تعالى خيرا منه
وروى عنه صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين حاجا
او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفي
طريق اخر بعث من الامنين يوم القيمة وعن ابن عمر من استطاع
ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال تعالى
ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الى قوله امنا قال
بعض المفسرين امنا من النار وقيل كان يامن من الطلب من احدث
حدثا في الجاهلية وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة

للناس

للناس وامنا على قول بعضهم **وحكي** ان قوما اتوا سعدون
الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا
عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال لعله
حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه
ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره
وبشره على النار **ولما نظر** رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك
وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما من احد يدعو الله عند
الركن الاسود الا استجاب الله تعالى له وكذلك عند الميزاب
وعنه صلى الله عليه وسلم من صلى خلف المقام ركعتين
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم القيمة من الامنين
قرأت على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله
تعالى حدثك ابو العباس العذري قال ثنا ابو اسامة محمد بن
احمد بن محمد الهروي ثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن
الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال
سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس
رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما
دعا احد بشي في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس وانا
فما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما
دعوت الله تعالى بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو
الا استجيب لي وقال الحميدي وانا فما دعوت الله تعالى بشي في
هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال
ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله تعالى بشي في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة

وما اذكر الحسن بن شيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا اجول
يستجاب لي من امر الاخرة قال العذري وانا فما دعوت الله تعالى
بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال
ابو علي وانا فقد دعوت الله تعالى فيه باشيا كثيرة استجيب لي
بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها قال المولف
رحمه الله تعالى قد ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل
وان لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام
الفايدة والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل في حقه

وما يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الامور البشرية ان يضاف اليه قال
المولف رحمه الله تعالى قال الله سبحانه وتعالى وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل وقال ما المسيح بن مريم الا رسول قد
خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام
وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية
فمحمد صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا صلى الله عليهم وسلم من البشر
ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم
والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون اي لما كان الا في صورة البشر
الذين يمكنكم مخالطتهم اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته
ورويته اذا كان على صورته وقال قل لو كان في الارض ملايكة
يمشون مطمينين الاية اي لا يمكن في سنة الله تعالى ارسال الملك
الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على
مقاومته كالانبيا والرسل وسايط بين الله تعالى وبين خلقه

فالانبيا والرسل ع

عنهم ح

يبلغونهم

يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم
بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته
وملكوته فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف
البشر طاري عليها ما يطرا على البشر من الاعراض والاسقام والموت
والفنا ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى
من اوصاف البشر متعلقة بالملا الاعلى متشبهة بصفات الملايكة
سليمة من التغير والافات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف
الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما
اطاقوا الاخذ عن الملايكة ورويتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا
يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة
بنعوت الملايكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا
اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام
والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن مع الملايكة
كما قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال
تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني اظل يطعمني ربي
ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الافات مطهرة من النقايص
والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي بمضمونها كل ذي همة بل الاكثر
يحتاج الى بسط وتفصيل على ما ياتي بعد هذا في البابين بعون
الله سبحانه وتعالى وحسن توفيقه وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية والكلام في عصمة نبينا

صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
قال المولف رحمه الله تعالى اعلم ان الطوارى من التغيرات والافات
على احاد البشر لا تخلو ان تطرا على جسمه او على حواسه بغير قصد
واختيار كالامراض والاسقام او تطرا بقصد واختيار وكله في الحقيقة

على وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى الثلاثة أنواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه إن شاء الله سبحانه وتعالى فيما يأتي به تعدد من التفاصيل **فصل** في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته **قال** المؤلف رحمه الله تعالى اعلم منحنا الله تعالى وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله تعالى وصفاته والإيمان به وبما أوحى الله تعالى إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك والشك والريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين **هذا** ما وقع إجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي إذ لم يشك إبراهيم عليه الصلاة والسلام في إخبار الله تعالى له بإحياء الموتى ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة بمشاهدة الإحياء فحصل له العلم الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته **الوجه** الثاني أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنما أراد اختبار منزلته عند ربه وعلم إجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله تعالى أولم تؤمن أي تصدق بمنزلتي منك وخلتك واصطفائك **الوجه** الثالث أنه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة وإن لم يكن في الأول شك إذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل

قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فأراد الانتقال من النظر أو الخبر إلى المشاهدة والترقي من علم اليقين إلى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة **ولهذا** قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله **الوجه الرابع** أنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا **الوجه الخامس** قال بعضهم هو سؤال على طريق الأدب المراد أقدرني على إحياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الأمنية **الوجه السادس** أنه أرى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربة **وقوله** نبينا عليه الصلاة والسلام نحن أحق بالشك من إبراهيم نفي لأن يكون إبراهيم شك وإبعاد للخواطر الضعيفة أن يظن هذا بإبراهيم أي نحن موقنون بالبعث وإحياء الله الموتى **فلو شك** إبراهيم لكنا أولى منه بالشك إما على طريق الأدب أو أن يريد أمته الذين يجوز عليهم الشك أو على طريق التواضع والإشفاق إن حملت قصة إبراهيم على اختبار حاله أو زيادة يقينه **فإن قلت** فما معنى قوله فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك الآيتين فاحذر ثبت الله قلبك أن يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من إثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه وأنه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس وغيره لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير والحسن **وحكى** قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا **واختلفوا** في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك إن كنت في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل قوله قل يا أيها الناس

ان كنتم في شك من ديني الاية وقيل المراد بالخطاب العرب
وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك
الاية الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما
يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا
تكونن من الذين كذبوا بايات الله وهو صلى الله عليه وسلم
كان هو المكذب فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن يكذب به
فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله
الرحمن فاسال به خبيرا المامور هنا غير النبي صلى الله عليه وسلم
ليسال النبي والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسول لا المستخبر
السايل وقال ان هذا الشك الذي امر غير النبي صلى الله
عليه وسلم بسوال الذين يقرون الكتاب انما هو فيما قصه
الله تعالى من اخبار الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة
وهذا مثل قوله تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية
المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله
القتبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا فحذف الخافض وتم
الكلام ثم ابتدا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون على
طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى
الله عليه وسلم ان يسال الانبيا ليلة الاسرا عن ذلك فكان اشد
يقينا من ان يحتاج الى السوال فروي انه قال لا اسال قد
اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سلوا امم من ارسلنا هل جاوهم
بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة
والمراد بهذا والذي قبله اعلامه صلى الله عليه وسلم بما بعثت
به الرسل وانه لم ياذن تبارك وتعالى في عبادة غيره لاحد
رد على مشركي العرب وغيرهم في قولهم انما نعبدهم ليقربونا
الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب

يعلمون

يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في
علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه
فيما ذكر في اول الاية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي
قل لمن امترى يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل
قوله اول الاية افغير الله ابتغي حكما الاية وان النبي صلى
الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله تعالى
اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقد علم انه لم يقل وقيل
معناه ما كنت في شك فاسال تزدد طمانينة وعلما الى علمك
ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فاسالهم
عن صفتك في الكتب ونشر فضايلك وحكي عن ابي عبيدة ان المراد
ان كنت في شك من غيرك فيما انزلناه فان قيل فما معنى
قوله تعالى حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا
على قراءة التخفيف قلت المعنى في ذلك ما قالته عايشة
رضي الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى
ذلك ان الرسل لما استياسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من
اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير
في ظنوا عايد على الاتباع والامم لا على الانبيا والرسل وهو
قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلما وبهذا
المعنى قرا مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ
التفسير بسواه بما لا يليق بمنصب العلما فكيف بالانبيا صلى
الله عليهم وسلم وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدا
الوحي من قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله عنها لقد
خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه الله تعالى بعد
روية الملك ولكن لعله خشي ان لا تحتمل قوته مقاومة
الملك واعبا الوحي فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا

على ما ورد في الصحيح انه قال تعبد لقايه الملك او يكون ذلك
قبل لقايه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت
عليه من العجايب وسلم عليه الشجر والحجر وبدايه المنامات
والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان
اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثال ذلك تانيسا له صلى
الله عليه وسلم ليلا يفجاه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله
لاول حاله بنية البشرية وفي الصحيح عن عايشة رضي الله
عنها اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا
الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلا وقالت الى ان جاءه الحق
وهو في غار حرا الحديث وعن ابن عباس رضي الله عنهما مكث
النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت
ويري الضوء سبع سنين ولا يري شيا وثمان سنين يوحي اليه
وقد روي ابن اسحاق عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
وذكر جواره بغار حرا قال فجاني وانا نايم فقال اقرا فقلت
ما اقرا وذكر نحو حديث عايشة في غطه له واقراه اقرا باسم
ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي كانما صورت
في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون ثم قلت لا يحدث
عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي
منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا
ينادي من السما يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت
راسي فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين
لك في هذا ان قوله لما قال وقصده ما قصد انما كان قبل
لقايه جبريل عليهما الصلاة والسلام وقبل اعلام الله تعالى
له بالنبوة واظهاره واصطفايه بالرسالة ومثله حديث
عمرو بن شرحبيل انه صلى الله عليه وسلم قال لخديجة رضي الله عنها

الى

اني اذا خلوت وحدي سمعت ندا وقد خشيت والله ان يكون
هذا الامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا واري ضوا واخشى ان
يكون بي جنون وعلى هذا يتاول لو صح قوله في بعض هذه
الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظ يفهم منها معنى
الشك في تصحيح ما راه وانه كان كله في ابتداء امره وقبل لقا
الملك له واعلام الله تعالى انه رسوله فكيف وبعض هذه
الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له ولقايه
الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه وقد
روي ابن اسحاق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقي
بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القران اصابه
نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة رضي الله عنها اوجه اليك
من يرقيك قال اما الان فلا وحديث خديجة واختبارها امر
جبريل بكشف راسها الحديث انما ذلك في حق خديجة لتحقيق
صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي ياتيه
ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه
وسلم ولتختبر هو بها له بذلك بل قد ورد في حديث عبد
الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عايشة ان
ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك وفي حديث اسمعيل
ابن ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم
هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما
جاء جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث
الى اخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم
فاثبت وابشر وامنت به فهذا يدل انها مستثبتة لما فعلته
لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم

وقوله تعالى بعد فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم
فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا حتى كاد يتردى من رؤوس
شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه
فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان
النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة
النبي صلى الله عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر
كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما احرجه من تكذيب من بلغه
كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اسفا ويصحح معنى هذا التاويل حديث رواه
شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان
المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شان النبي
صلى الله عليه وسلم واتفق رايهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد
ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل فقال
يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف ان الفترة لامر او سبب
منه فخشي ان تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه
ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا
فرار يونس عليه الصلاة والسلام خشية تكذيب قومه
له لما وعدهم به من العذاب وقول الله تعالى في يونس
فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه قال مكي
طمع في رحمة الله تعالى وان لا يضيق عليه مسلكه في
خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه
العقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر
بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه قال
ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق
ان يظن بنبي ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك

قوله اذ ذهب

قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم
وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة
الله تعالى معاداة له ومعاداة الله تعالى كفر لا يليق بالمؤمنين
فكيف بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل مستحييا
من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل
مغاضبا لبعض الملوك فيما امره الله به من التوجه الى امر
امره الله تعالى به على لسان نبي آخر فقال له يونس عليه الصلاة
والسلام غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا
وقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ارسال
يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من
الاية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة
من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ويستدل ايضا
بقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وذكر القصة
ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة
اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم
انه ليغان على قلبي فاستغفر الله تعالى في اليوم مائة مرة وفي
طريق آخر في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك
ان يكون هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه صلى
الله عليه وسلم بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه
قاله ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها
وقال غيره والغين شيء يغشي القلب ولا يغطيه كل التغطية
كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس
وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة
او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي
ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار

لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه
وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة
الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر
وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو
ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة
وهو في هذا كله في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان
صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله تعالى مكانة
واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند
خلوص قلبه وخلو همته وتفرده بربه واقباله بكليته عليه
ومقامه هنالك ارفع حاليه راى عليه الصلاة والسلام
حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا
من رفيع مقامه فاستغفر الله تعالى من ذلك هذا اولى وجوه
الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس
وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه
وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات
والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سياتي
وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة
ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا
جملة واجله عن ان يجوز عليه في حال سهو او فترة الى ان
معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته صلى
الله عليه وسلم لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر
لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة التي تغشاه
لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره
عليه الصلاة والسلام عندها اظهارا للعبودية
والافتقار وقال ابن عطا استغفاره وفعله هنا تعريف

للامة

١١٦

للامة يحملهم على الاستغفار وقال غيره ويستشعرون الحذر
ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان يكون هذه الاغانة
حالة خشية واعظام يغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله تعالى
وملازمة للعبودية كما قال في ملازمة العبادة افلا اكون
عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض
طرق هذا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه ليغان على
قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت
فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء
الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله
لنوح عليه الصلاة والسلام فلا تسألن ما ليس لك به علم
اني اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت في ذلك
الى قول من قال في اية نبينا صلى الله عليه وسلم لا تكونن ممن
يجهل ان الله تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى وفي اية نوح لا تكونن
ممن يجهل ان وعد الله تعالى حق لقوله وان وعدك الحق
اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى وذلك لا
يجوز على الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمقصود وعظهم
ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال اني اعظك
وليس في اية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم
عن الكون عليها فكيف واية نوح قبلها فلا تسألن ما ليس لك
به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد
يحتاج الى اذن وقد تجوز اباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله
تعالى ان يسأله عما طوي عنه علمه واكنه من غيبه من السبب
الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله تعالى نعمته عليه باعلامه
ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه
مكي كذلك امر نبينا صلى الله عليه وسلم في الاية الاخرى

بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك
فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك
وقيل معنى الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم اي فلا تكونوا من
الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال مثله في القران كثير فبهذا
الفصل وجب القول بعصمة الانبيا منه بعد النبوة قطعا
فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز
عليهم شي من ذلك فما معنى اذا وعيد الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله تعالى لئن
اشركت ليحبطن عملك الاية وقوله ولا تدع من دون الله ما
لا ينفعك ولا يضرك الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات الاية وقوله لاخذنا منه باليمين الاية وقوله
وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله
وقوله فان يشا الله يختم على قلبك الاية وقوله فان لم تفعل
فما بلغت رسالته وقوله يا ايها النبي اتق الله ولا تطع
الكافرين الاية فاعلم وفقنا الله تعالى واياك
انه صلى الله عليه وسلم لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان
يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب او
يفتري عليه او يضل ويختم على قلبه او يطيع الكافرين ولكن الله
تعالى يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان
ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه
وقوى قلبه بقوله تعالى والله يعصمك من الناس كما قال لموسى
وهارون عليهما الصلاة والسلام لا تخافا انني معكما
اسمع وارى لتشتد بصايرهم في الابلاغ واظهار دين الله
تعالى ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس واما
قوله تعالى ولو تقول علينا الاية وقوله اذا لاذقناك

ضعف

ضعف الحياة فمعناه ان هذا جزا من فعل هذا وجزاك لو كنت
ممن يفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله وكذلك قوله
تعالى وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله فالمراد
غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله فان يشا
الله يختم على قلبك وقوله ولئن اشركت ليحبطن عملك وما
اشبهه فالمراد منه غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى
الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله تعالى اتق الله ولا
تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه
عما يشا ويامره بما يشا كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون
ربهم الاية وما كان طردهم عليه الصلاة والسلام ولا كان من الظالمين
فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة
فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من
الجهل بالله تعالى وصفاته والتشكك في شي من ذلك وقد
تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام
بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم
على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات
الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول
من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبي
واصطفى ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب
النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن
كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا صلى
الله عليه وسلم بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياها بكل
ما امكنها واختلقته مما نص الله تعالى عليه او نقلته الينا
الرواة ولم نجد في شي من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه
الهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو

كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين
ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افحم واقطع
في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد
اباوهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم
يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا
عن تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
كما حكاه الله تعالى عنهم وقد استدل القاضي القشيري على
تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك الاية وبقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله
لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله تعالى في الميثاق وبعيد
ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان
به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من
الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف
يكون ذلك وقد اتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام
وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ
الشيطان منك ثم غسله وملاه حكمة وايمانا كما تظاهرت
به اخبار المبدا ولا يشتبه عليك بقول ابرهيم صلى الله عليه
وسلم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا
في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف
وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال
ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام
الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي قال الزجاج
قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال تعالى اين شركاي اي عندكم
ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله عز
وجل طرفة عين قول الله تعالى عنه واذ قال ابرهيم لابيه ازر

اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم
تعبدون انتم واباوكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب
العلمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت
فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
قيل انه ان لم يؤيدني بمعونته اكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم
على معنى الاشفاق والحذر والا فهو صلى الله عليه وسلم معصوم
في الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله تعالى وقال
الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم
قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود وانها
تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي هذه
اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة
كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل ذلك
كذلك ومثله قول الشاعر

تلك المكارم لا قعبان من لبن ۞ شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وما كانا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله تعالى
ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر
قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل وجدك
بين اهل الضلال فعصمك من ذلك فهداك للايمان والى
ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن
شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال هنا التحير
ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه
به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام حكى معناه
القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله

تعالى في علمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما لم تكن له ضلالة معصية وقيل
هدى اي بين امرك بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين مكة
والمدينة فهداك الى المدينة وقيل المعنى وجدك فهدى بك
ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك
في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرا الحسن بن علي
رضي الله عنهما ووجدك ضال فهدى اي اهتدى بك قال ابن
عطا ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال
تعالى انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا
ههنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند
هذا قوله تعالى انا لنراها في ضلال مبين اي محبة بينة
وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك
لبيانه لقوله تعالى وانزلنا اليك الذكر الاية وقيل ووجدك
لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك الاشقيا ولا اعلم
احدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك في قصة
موسى عليه الصلاة والسلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين
اي من المخطئين الفاعلين شيا بغير قصد قاله ابن عرفة
وقال الازهري معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله
تعالى ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما قال تعالى ان تضل احداهما
فان قلت فما معنى قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
فالجواب ان السمرقندي قال معناه ما كنت تدري
قبل الوحي ان تقرا القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان
وقال بكر القاضي نحوه قال ولا الايمان الذي هو الفرائض
والاحكام قال فكان صلى الله عليه وسلم قبل مومنا بتوحيده
الله تعالى ثم نزلت الفرايض التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف

ايمانا

انما هو من احسن وجوهه فان قلت فما معنى
قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى
قوله تعالى والذين هم عن اياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد
الهروي ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تعلمها
الا بوحينا وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان بن ابي شيبة
بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين
مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب
حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام
الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال
هو موضوع او يشبه بالموضوع وقال الدارقطني يقال ان عثمان وهم
في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه
والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم
من قوله بغضت الي الاصنام وقوله في الحديث الاخر الذي روته
ام ايمن حين كلمه عمه واله في حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه
بعد كراهيته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما
دنوت منها من صنم تمثل لي رجل ابيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه
فما شهد بعد لهم عيدا وقوله في قصة بحيرا حين استحلف
النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام في سفرته
مع عمه ابي طالب وهو صبي وراى فيه علامات النبوة فاختبره
بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسالني بهما فوالله ما ابغضت
شيا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه
فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته صلى
الله عليه وسلم وتوفيق الله تعالى له انه كان قبل نبوته يخالف
المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف بعرفة لانه
كان موقف ابراهيم صلوات الله عليهما وسلامه والله سبحانه اعلم

لقيه ح ظ

فصل قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد بان بما
قدمناه عقود الانبيا صلوات الله عليهم وسلامه في التوحيد
والايمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا
هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوة علما ويقينا
على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا
ما لا شي فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتامل ما
قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا صلى الله عليه وسلم
في الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراه الا ان
احوالهم في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا
فلا تشترط في حق الانبيا العصمة من عدم معرفة الانبيا ببعضها
او اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة
بالاخرة وانبايها وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضادها
بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني ان شا الله
تعالى ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيا من امر الدنيا فان ذلك يودي
الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا
وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم
وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم
بذلك كله مشهورة واما ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين
فلا يصح من النبي الا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلو
ان يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله تعالى فهو ما لا يصح الشك
منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين
او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شي على القول
بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى

مقتضى

مقتضى حديث ام سلمة اني انما اقضي بينكم برايي فيما لم ينزل علي
فيه شي خرجه الثقات وكقضية اسرى بدر والاذن للمتخلفين
على راي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا
حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه ممن
اجاز عليه الخطا في الاجتهاد لا على القول بتصويب
المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الاخر
بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي من الخطا في الاجتهاد في الشرعيات
ولان القول في تخطية المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع
ونظر النبي واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شي ولم يشرع له
قبل هذا فيما عقد النبي قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل
الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيا شيا حتى
استقر علم جملتها عنده اما بوحي من الله تعالى او اذن ان يشرع في
ذلك ويحكم بما اراه الله تعالى وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها
ولكنه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى استفرغ علم جميعها عنده
وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب
وانتفا الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشي من تفاصيل الشرع
الذي امر بالدعوة اليه اذ لا تصح دعوته الى ما لا يعلمه واما
ما تعلق بعقده من ملكوت السموات والارض وخلق الله تعالى
وتعيين اسمايه الحسنى واياته الكبرى وامور الاخرة واشراط
الساعة واحوال السعدا والاشقيا وعلم ما كان ويكون مما
لا يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم
معصوم فيه لا ياخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه
على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك
وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله صلى
الله عليه وسلم اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله صلى الله عليه وسلم

ولا خطر على قلب بشر وقال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول
موسى للخضر عليهما الصلاة والسلام هل اتبعك على ان تعلمني مما
علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم اسالك باسمايك الحسنى ما
علمت منها وما لم اعلم وقوله اسالك بكل اسم سميت به نفسك او
استاثرت به في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي
علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله تعالى وهذا
ما لا خفا فيه اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا
حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع والمعارف والامور
الدينية **فصل** واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي
صلى الله عليه وسلم من الشيطان وحراسته منه لا في جسمه بانواع الاذى
ولا على خاطره بالوسواس وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي رحمه
الله تعالى قال ثنا ابو الفضل بن خيرون العدل ثنا ابو بكر البرقاني
وغيره قالوا ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا اسمعيل الصفار ثنا
عباس الترقفي ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن منصور عن سالم
ابن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه
من الملايكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله تعالى
اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يامرني الا بخير وعن
عايشة رضي الله تعالى عنها بمعناه روي فاسلم بضم الميم
اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي
فاسلم يعني القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار
لا يامر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم
فاستسلم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا
حكم شيطانه وقرينه المسلط على كل احد من بني ادم فكيف
بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه

ذكر

وقد جاءت الاثار بتصدي الشياطين له في غير موطن
رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال شغل
عليه اذ ييسوا من اغوايه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له
في صلاته فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم واسره ففي
الصحاح قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه
وسلم ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد
علي يقطع علي الصلاة فامكنني الله منه فذعته ولقد
هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت
قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من
بعدي الاية فرده الله خاسيا وفي حديث ابي الدردا
عنه صلى الله عليه وسلم ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار
ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وذكر
تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه
وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة
وكذلك في حديثه في الاسرا وطلب عفريت له
بشعلة نار فعلمه جبريل عليهما الصلاة والسلام ما
يتعوذ به منه وذكره في الموطا ولما لم يقدر على اذاه
بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش
في الايتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة
الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة يوم بدر في صورة سراقة
ابن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم
الاية ومرة ينذر بشانه عند بيعة العقبة وكل
هذا فقد كفاه الله امره وعصمه من ضره وشره وقد قال صلى الله عليه
وسلم ان عيسى عليه الصلاة والسلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده
في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال صلى الله عليه وسلم

حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال
انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل
فما معنى قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله الاية فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله
واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي يستخفنك
غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل
النزغ هنا الفساد كما قال تعالى من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك يغرينك والنزغ ادنى
الوسوسة فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على
عدوه او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه
ما لم يجعل له سبيلا اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون
سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم
يجعل له قدرة عليه وقد قيل في الاية غير هذا وكذلك
لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه
لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل
المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم ان ما ياتيه من الله
الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله تعالى له
او ببرهان يظهره لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل
لكلماته فان قيل فما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا
اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فاعلم ان للناس
في معنى هذه الاية اقاويل منها السهل والوعث
والسمين والغث واولى ما يقال فيها ما عليه
الجمهور من المفسرين ان التمني هاهنا التلاوة والقاء الشيطان
فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل
عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام

الساهين

الساهين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله تعالى وينسخه
ويكشف لبسه ويحكم اياته وسياق الكلام على هذه الاية بعد
باشبع من هذا ان شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندي
انكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمن عليه
الصلاة والسلام وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد
ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد
هو الولد الذي ولد له وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب
عليه الصلاة والسلام وقوله اني مسني الشيطان بنصب
وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتاول ان الشيطان هو الذي امرضه
والقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله عز وجل وامره
ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقد قيل ان الذي اصابه الشيطان
ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن
يوشع وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وقوله عن يوسف
فانساه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا صلى الله عليه وسلم
حين نام عن الصلاة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان
وقول موسى عليه الصلاة والسلام في وكزته هذا من عمل
الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على
مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان
او فعله كما قال الله تعالى طلعها كانه رؤوس الشياطين وقال
صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول
يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة
مع موسى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى واذ قال موسى
لفتاه والمروي انه انما نبئ بعد موت موسى وقيل قبيل موته
وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القران وقصة يوسف قد
ذكرنا انها كانت كلها قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله

تعالى فانساه الشيطان فتوليق احدهما ان الذي انساه الشيطان
ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر
للملك شان يوسف وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان
ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوسواس ونزغ وانما هو
بشغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما
ما نسيا واما قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا واد به شيطان
فليس فيه ذكر تسليطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان
بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان
اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدى الصبي حتى نام فاعلم
ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل
بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا واد
به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة به واما ان جعلنا
تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به
وهو دليل سياق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا
الباب لبيانه وارتفاع اشكاله فصل واما
اقواله صلى الله عليه وسلم فقد قامت الدلايل الواضحة
بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه
البلاغ انه صلى الله عليه وسلم معصوم فيه من الاخبار عن
شي منها بخلاف ما هو به لا قصدا او عمدا ولا سهوا او غلطا
اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القايمة مقام
قول الله سبحانه وتعالى صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل
الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه
السبيل عند الاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني ومن قال بقوله
ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة
النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند

نسخة: وهو نائم يصلي

صح: رسولي

القاضي

القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى
دليل المعجزة ولا نطول بذكره فيخرج عن غرض الكتاب
فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه
صلى الله عليه وسلم خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام
بما اخبر به عن ربه سبحانه وتعالى وبما اوحاه اليه من وحيه
لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالي الرضا والسخط
والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول
الله اكتب كلما اسمع منك قال نعم قلت في الرضا والغضب قال نعم
فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة
عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه صلى الله عليه وسلم
وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله تعالى الا صدقا وان المعجزة
قايمة مقام قول الله سبحانه وتعالى له صدق عبدي فيما يذكره عني
وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم
ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم
الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره
على اي وجه كان ولو جوزنا عليه الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره
ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة
من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله
واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق فصل
وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سوالات منها
ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا سورة والنجم وقال افرايتم
اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى
وان شفاعتهن لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية ان شفاعتهن
لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة

ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما
سمعوه اثنى على الهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان
القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى ان لو نزل
عليه شي يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل
عليه شي ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل جاءه فعرض
عليه هذه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جيتك بهذين الايتين
فحزن لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى تسلية
له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية وقوله تعالى وان
كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك الاية فاعلم اكرمك الله
تعالى ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما في توهين
اصله والثاني على تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك ان هذا
حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل
وانما اولع به وبمثله المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب
المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي
[illegible] بكر بن العلا المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل
الاهوا والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته
واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل
يقول انه في الصلاة واخر يقول قالها في نادي قومه حين
انزلت عليه السورة واخر يقول قالها وقد اصابته سنة واخر يقول
بل حدث نفسه فسها واخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه
وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل عليه الصلاة والسلام
قال ما هكذا اقراتك واخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي
صلى الله عليه وسلم قراها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال
والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن
حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها احد

منهم

منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية
والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر
القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا
امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله تعالى انه
لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه
عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه
واما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه
وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله تعالى والذي منه في
الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا والنجم وهو بمكة فسجد معه
المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق النقل
فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على
عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما
من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح الهة غير الله تعالى وهو
كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القران حتى يجعل فيه
ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم ان من القران ما ليس منه
حتى ينبهه عليه جبريل عليهما الصلاة والسلام وذلك كله ممتنع
في حقه صلى الله عليه وسلم او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله
وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته عليه الصلاة
والسلام من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا او يتشبه
عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه
سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد

بيان فيهما

قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقال تعالى اذا
لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية ووجه ثان وهو
استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي
لكان بعيد الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل
التاليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من
المسلمين وصناديد المشركين من يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على
ادنى متامل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام
علمه ووجه ثالث انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي
المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة
وتخليط النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة
بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام
لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه القصة شيا سوى هذه الرواية
الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت بها قريش على المسلمين الصولة
ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسرا
حتى كانت في ذلك لبعض الضعفا ردة وكذلك ما روي في
قصة هذه القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت
ولا تشغيب للمعادي حينيذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روي
عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها
واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس والجن
هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفا المسلمين
ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت وان كادوا
ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك الايتين وهاتان الايتان
تردان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا ليفتنونه
حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد ان يركن اليهم فمضمون
هذا ومفهومه ان الله تعالى عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم

يركن

العدو على محمد

١٢٦

يركن اليهم شيا قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية
انه زاد على الركون والافترا بمدح الهتهم وانه عليه الصلاة والسلام
قال افتريت على الله تعالى وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية
وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله تعالى
في الاية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طايفة منهم
ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شي وقد
روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كل ما في القران كاد فهو
ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم
يذهبها وقال تعالى اكاد اخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي
ولقد طالبته قريش وثقيف اذ مر بالهتهم ان يقبل بوجهه
اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل ولا كاد ليفعل
قال ابن الانباري ما قارب الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ركن
وقد ذكرت في معنى الاية تفاسير اخر ما ذكرناه من نص الله تعالى
على عصمة رسوله صلى الله عليه وسلم ترد سفسافها فلم يبق في الاية
الا ان الله تعالى امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم بعصمته
وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك
كله تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الاية
واما الماخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد
اعاذنا الله تعالى من صحته ولكن على كل حال فقد اجاب عن
ذلك ايمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى قتادة
ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قراته هذه
السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا
يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم مثله في حالة من احواله ولا يخلقه
الله تعالى على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة
لعصمته صلى الله عليه وسلم في هذا الباب من جميع العمد والسهو

وفي نقل الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك
الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال
وسهى فلما أخبر بذلك قال إنما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح
أن يقوله عليه الصلاة والسلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله
الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله أثناء تلاوته
على تقدير التقريع والتوبيخ للكفار كقول إبراهيم صلى الله عليه وسلم
هذا ربي على أحد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت
وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع إلى تلاوته وهذا ممكن مع بيان
الفصل وقرينة تدل على المراد وأنه ليس من المتلو وهو أحد ما ذكره
القاضي أبو بكر ولا يعترض على هذا بما روي أنه كان في الصلاة فقد
كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده
وعند غيره من المحققين على تسليمه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كما
أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قراءته
كما قاله الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات
ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى
الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها من قول
النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين
لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله تعالى وتحققهم من حال
النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الأوثان وعيبها ما عرف منه
وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال إن المسلمين لم
يسمعوها وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين وقلوبهم
ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الإشاعة
والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما أرسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الآية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا
يعلمون الكتاب إلا أماني أي تلاوة وقوله تعالى فينسخ الله ما

يلقي

يلقي الشيطان أي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته وقيل
معنى الآية ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو إذا قرأ فينتبه
لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية أنه حدث نفسه
وقال إذا تمنى أي حدث نفسه وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن
نحوه وهذا السهو في القراءة إنما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل
الألفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن إسقاط آية منه أو كلمة
ولكنه صلى الله عليه وسلم لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر
به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما
يظهر في تأويله أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة
العلى فإن سلمنا القصة قلنا لا يبعد أن هذا كان قرآنا والمراد بالغرانقة
العلى وأن شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا
فسر الكلبي الغرانقة أنها الملائكة وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون
الأوثان والملائكة بنات الله تعالى سبحانه كما حكى الله تعالى عنهم ورد عليهم
في هذه السورة بقوله تعالى ألكم الذكر وله الأنثى فأنكر الله تعالى كل
هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون
على أن المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في
قلوبهم وألقاه إليهم نسخ الله تعالى ما يلقي الشيطان وأحكم آياته ورفع
تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للإلباس
كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في إنزال الله تعالى
لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي به من
يشاء وما يضل به إلا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة
للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين
لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا
به فتخبت له قلوبهم الآية وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم
لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة

الاخرى خاف الكفار ان يأتي بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين
ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم
وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا
الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك عليه واذاعوه
عليه وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم
عليه فسلاه الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك الاية وبين للناس
الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن واحكم اياته ودفع ما لبس به
العدو كما ضمنه تعالى من قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر الاية ومن
ذلك ما روي من قصة يونس عليه الصلاة والسلام انه وعد
قومه بالعذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع
اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا قال القاضي رحمه الله تعالى
فاعلم اكرمك الله تعالى ان ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا
الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم
بالهلاك والدعا ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان
العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع عنهم العذاب
وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم
عذاب الخزي وروي في الاخبار انهم راوا دلايل العذاب
ومخايله قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب
كما يغشى السحاب القمر فان قلت فما معنى ما روي عن عبد الله
ابن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد
مشركا وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد
كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي
حديث اخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول
اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا
بصيرا فيقول اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب

للنبي

للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد كافرا وكان يقول ما
يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل
للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية
اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عن مرتد وكافر بالله
تعالى ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر قد افترى هو
ومثله على الله ورسله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم
العقل كيف يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو
كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن احد من المسلمين
ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله صلى
الله عليه وسلم وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله الاية
وما وقع من ذكرها في حديث انس وظاهر حكايته لها فليس فيها
ما يدل انه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه
ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس
قال واظن حميدا انما سمعه من ثابت قال القاضي رضي الله عنه
ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد
والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه اهل الصحيح
وذكرناه وليس فيه عن انس قول شيء من ذلك من قبل نفسه الا من
حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح
ولا توهين للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان
والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القران وانه
من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم
او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه
لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما
تقدم مما املاه الرسول عليه الصلاة والسلام يدل عليها و
يقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته

ولا لتلبيسه

به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت
ان يسبق الى قافيته او مبتدا الكلام احسن لما يتم به ولا
يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في اية ولا سورة
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذ صح كل صواب فقد يكون
هذا بما كان فيه من مقاطع الايات وجهان وقراتان انزلتا جميعا
على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احدهما وتوصل الكاتب بفطنته
ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي صلى الله عليه
وسلم ثم ذكرا النبي صلى الله عليه وسلم انهما كما قدمناه نطق بها النبي
صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله تعالى من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد
وجد ذلك في بعض مقاطع الاي مثل قوله تعالى ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز وهذه قراءة الجمهور
وقد قرا جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف
وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرا بهما
معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها
وننشرها ويقص الحق ويقضي الحق وكل هذا لا يوجب ريبا
ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل
ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم
الى الناس مثل قوله فيصف الله عز وجل ويسميه في ذلك الكتاب بما شا
فصل هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس
سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا
اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه
فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره
في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم
من ذلك كله في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته
ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك

انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق
جميع احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وفي اي شيء
وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات
عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي
الحقيق اليهودي على عمر رضي الله تعالى عنه حين اجلاهم من
خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه
عمر رضي الله تعالى عنه بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من
خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم فقال عمر رضي الله
تعالى عنه كذبت يا عدو الله وايضا فان آثاره واخباره وسيره
وشمائله معتنى بها مستقصى بتفاصيلها ولم يرد في شيء من ذلك
استدراكه عليه الصلاة والسلام لغلط في قول قاله او اعترافه
بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته
عليه الصلاة والسلام رجوعه عما اشار به على الانصار
في تلقيح النخل وكان ذلك رايا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي
ليست من هذا الباب كقوله عليه الصلاة والسلام والله لا
احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت
عن يميني وقوله انكم تختصمون الي الحديث وقوله اسق
يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا
الباب والذي بعده ان شاء الله تعالى مع اشباهها وايضا فان الكذب
متى عرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه كان استريب بخبره واتهم
في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون
والعلماء الحديث عن من عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ
وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في امور
الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة
وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه
جميعه

فيما يستشنع ويشيع مما يخل بصاحبها ويزري بفاعلها
لاحقة بذلك وأما فيما لا يرتفع هذا الموقع فان عددناها
من الصغاير فهل يجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه
والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه
وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق
ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وتجويز شي من هذا قادح في ذلك
ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز
على الانبيا خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد
ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك
عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز
عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم واحوال
دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن
تصديقهم بعد وانظر احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم
في قريش وغيرها من الامم وسوالهم عن حاله في صدق
لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق اهل
النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد
ذكرنا فيه من الاثار في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين لك
صحة ما اشرنا اليه فصل فان قلت فما معنى مطلب
قوله عليه الصلاة والسلام في حديث السهو الذي حدثنا
به الفقيه ابو اسحاق ابرهيم بن جعفر قال ثنا القاضي ابو الاصبغ
ابن سهل قال ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو عبد الله بن الفخار
ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى عن مالك عن داود
ابن الحصين عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد انه قال سمعت
ابا هريرة رضي الله تعالى عنه يقول صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال

رسول

يا رسول الله اقصرت الصلاة ام نسيت فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية الاخرى ما قصرت
وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالتين وانهما لم تكن
وقد كان احد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض
ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلما
في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية
التعسف والاعتساف فهذا الذي اقول اما على القول
بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو
الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه
واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى
انه في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق
في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا
الفعل في هذه الصورة ليسن لمن اعتراه مثله وهو قول
مرغوب عنه نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه
في الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره
ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده
وضميره اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا
ولا شبهة
واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه
لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به
وهذا صدق ايضا ووجه ثان ان قوله ولم انس راجع الى
السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم انس
في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو ابعدها
ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن
اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه
مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما

نسيت هذا ما أراك فيه لأئمتنا وكل من هذه الوجوه يحتمل للبسط
على انعد بعضها وتعسف الآخر منها قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله تعالى والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه
كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره
على غيره بقوله بئسما لأحدكم ان يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه
نُسّي وبقوله في بعض روايات الحديث الآخر لست انسى ولكن أُنسّى فلما
قال له السائل أقصرت الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانها
هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل
غيره فتحقق انه نسي واجري عليه ذلك ليسن فقوله على هذا
لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة
ولكنه نُسّي ووجهٌ آخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك انه
قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك
نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو
انما شغل قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته
ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة
شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في
قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت الصلاة وما نسيت خلف في قول
واما قصة كلمات ابرهيم عليه الصلاة والسلام المذكورة
في الحديث انها كذبات الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنتان
قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته
انها اختي فاعلم اكرمك الله تعالى ان هذه كلها خارجة عن الكذب
لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها
مندوحة عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره
معناه سأسقم اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من
الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدّر علي

من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم
وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما
رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل خبر صحيح
وصدق وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد
بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه انما نظره
في ذلك وقيل استقامة حجته عليهم في حال السقم ومرض الحال
مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله
عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه
الله تعالى باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر
ما نصه الله تعالى وقدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم
هذا الآية فانه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال ان كان ينطق
فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف
فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث وقال فانك
اختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة
فان قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال
لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر
كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان
حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف
باطنها اشفق ابرهيم عليه الصلاة والسلام من مؤاخذته بها
واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة
ورّى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو ستر مقصده
لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال
عن موضع آخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول
تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده
فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت

اعلم

مما يعلق لموسى عليه الصلاة والسلام وقد سيل اي الناس
فقال انا اعلم فعتب الله تعالى عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه
الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد
قد انبا الله تعالى انه ليس كذلك فاعلم انه قد وقع في هذا الحديث
من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هل تعلم احدا
اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق صدق لا خلف فيه
ولا شبهة وعلى الطريق الاخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به
لان حاله في النبوة والاصطفا يقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا
على اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم
بما يقتضيه وظايف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة
الامة ويكون الخضر عليه الصلاة والسلام اعلم منه بامور اخر مما لم يعلمه
احد الا باعلام الله تعالى من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما
فكان موسى عليه الصلاة والسلام اعلم على الجملة بما تقدم وهذا
اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما
وعتب الله تعالى عليه ذلك فيما قاله العلما انكار هذا القول عليه لانه
لم يرد العلم اليه كما قالت الملايكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم
يرض الله قوله شرعا وذلك والله اعلم ليلا يقتدي به فيه من لم
يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه
من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى
وان نزه عن هذه الرذايل الانبيا عليهم الصلاة والسلام فغيرهم بمدرجة
سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله تعالى فالتحفظ منها اولى لنفسه
وليقتدى به ولهذا قال عليه الصلاة والسلام تحفظا من مثل
هذا مما قد علم به انا سيد ولد ادم ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج
القايلين بنبوة الخضر عليه الصلاة والسلام لقوله فيه انا اعلم من
موسى عليه الصلاة والسلام ولا يكون الولي اعلم من النبي واما

الانبيا

الانبيا عليهم الصلاة والسلام فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما
فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل
ان يكون فعله بامر نبي اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن
موسى عليه الصلاة والسلام نبي غيره الا اخاه هارون عليه الصلاة
والسلام وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيا يعول عليه
واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا
معينة لم يحتج الى اثبات نبوة الخضر عليه الصلاة والسلام ولهذا
قال بعض الشيوخ كان موسى عليه الصلاة والسلام اعلم من الخضر فيما
اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال اخر انما الجي موسى
الى الخضر عليهما الصلاة والسلام للتاديب لا للتعليم فصل
واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول
باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب
فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع
المسلمون على عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام من الفواحش والكباير
الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب
القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة
واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا خلاف انهم معصومون
من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان كل ذلك يقتضي العصمة
منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة والجمهور قايل بانهم
معصومون من ذلك من قبل الله تعالى معتصمون باختيارهم
وكسبهم الا حسينا النجار فانه قال لا قدرة لهم على المعاصي اصلا
واما الصغاير فجوزها جماعة من السلف وغيرهم
على الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهو مذهب ابي جعفر
الطبري من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا
ما احتجوا به وذهبت طايفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل

وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طايفة اخرى من المحققين من الفقها والمتكلمين الى عصمتهم من الصغاير كعصمتهم من الكباير قالوا لاختلاف الناس في الصغاير وتعيينها من الكباير واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصي به الله تعالى فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري تعالى في اي امر كان يجب كونه كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان في معاصي الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكباير ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكباير اذا لم يتب منها فلا يحبطها شي والمشيية في العفو عنها الى الله تعالى وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة ايمة الاشعرية وكثير من ايمة الفقها وقال بعض ايمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف في انهم معصومون عن تكرار الصغاير وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكباير ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروة واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبيا عليهم الصلاة والسلام اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبيا عليهم الصلاة والسلام منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الايمة على عصمتهم من الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم وجمهور الفقها على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وهو قول اكثر اهل العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك ندب

وذهبت

وذهبت طايفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغاير لم يمكن الاقتدا بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما على مذهب من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغاير ومن نفاها عن نبينا صلى الله عليه وسلم مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى راى شيا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا الماخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل اذ الحظر او الندب على الاقتدا بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة رضي الله تعالى عنهم قطعا الاقتدا بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتدا باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضا حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شي مما بابه العبادة او العادة بقوله رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صايم وقالت عايشة رضي الله تعالى عنها محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي اخبر عنه بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشا وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده والاثار في هذا اعظم من ان نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شي منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم

وظهر بعضهم عن ذلك وعلى الكريم عليه الصلاة والسلام على الاحمر قوله واعتذاره بما ذكرناه وأما المباحات فجايز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق الهمم بالله تعالى والدار الاخرة لا ياخذون من المباحات الا الضرورة مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب طرفا في خصال نبينا عليه الصلاة والسلام فبان لك عظيم فضل الله تعالى على نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية **فصل**

وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شا الله تعالى تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسيلة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع **وقد اختلف الناس في حال** نبينا صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشي وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينيذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة **ثم اختلفت حجج القايلين** بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة

ولا

الاهتبال الاقتداء

ولا احتجوا به عليه ولم يوثر شي من ذلك جملة **وذهبت طايفة الى** امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر **وقالت فرقة اخرى** بالوقف في امره عليه الصلاة والسلام وترك قطع الحكم عليه بشي في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي **وقالت فرقة ثالثة** انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم **ثم اختلفت** هذه المعينة فيمن كان يتبع **فقيل** نوح **وقيل** ابرهيم **وقيل** موسى **وقيل** عيسى صلوات الله وسلامه عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسيلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذهب المعينين اذ لو كان شي من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى اخر الانبيا فلزمت شريعته من جا بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا عليه الصلاة والسلام **ولا حجة ايضا للاخر** في قوله تعالى ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وللاخرين في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الاية على اتباعهم في التوحيد كقوله تعالى اوليك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية وشرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في ساير الانبيا غير نبينا او

ف

يخالفونه بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية
واما من مال الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف
فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته
في كل نبي **فصل** هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن
قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير
قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع
بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء عليهم الصلاة
والسلام في ترك المؤاخذة به وكونه ليس معصية لهم مع اممهم
سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام
وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص
بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا
الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم
وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال في
هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول
من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك
وتسبيب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها
بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين
الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير
قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلاة وفرقوا
بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول
ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض
لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من
سمات البشر كما قال عليه الصلاة والسلام انما انا بشر مثلكم انسى
كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا
في حقه عليه الصلاة والسلام سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه

الصلاة

١٣٠

الصلاة والسلام اني لانسى او انسى لاسن وقد روي لست انسى
ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه
في النعمة بعيدة عن سمات النقص واعراض الطعن فان القائلين
بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون
عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل
انقراضهم على قول الاخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان
الاحكام من افعاله عليه الصلاة والسلام وما يختص به من امور
دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات
علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات
والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات
الامة ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل
التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه الصلاة والسلام
انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته
ويناقض معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات
والفترات في حقه عليه الصلاة والسلام جملة وهو مذهب جماعة
المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث
مذاهب نذكرها بعد ان شاء الله تعالى **فصل**
في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه عليه الصلاة
والسلام **قال القاضي** رضي الله عنه قد قدمنا في الفصول قبل هذا
ما يجوز فيه عليه السهو صلى الله عليه وسلم وما يمتنع واحلناه في
الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه
في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في
ذلك ونحن نبسط القول فيه فالصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه
عليه الصلاة والسلام في الصلاة ثلاثة احاديث اولها حديث
ذي اليدين في الصلاة والسلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام

من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر
خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة
الله فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلا منه بالقول وارفع للاحتمال
وشرطه انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس
وتظهر فايدة الحكمة كما قدمناه وان النسيان والسهو في الفعل في حقه
عليه الصلاة والسلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد
قال عليه الصلاة والسلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني
وقال رحمه الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت اسقطتهن ويروى
انسيتهن وقد قال عليه الصلاة والسلام اني انسى او انسى لاسن قيل
هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني لا انسى ولكن انسى لاسن
وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار رحمهما الله تعالى انه ليس بشك
وان معناه التقسيم اي انا انسى او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد
الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او
انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع اقبالي
عليه وتفرغي له واضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض
السبب فيه ونفى الاخر عن نفسه اذ هو كالمضطر فيه وذهبت طائفة
من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وافة
قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه الصلاة
والسلام يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة
شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني
لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه
عليه الصلاة والسلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب
عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا
في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله

اني لا انسى وانسى وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد
والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا
عظيم من المحققين من ايمتنا رحمهم الله تعالى وهو ابو المظفر
الاسفرايني ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين
الطائفتين في قوله اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان
بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله عليه الصلاة والسلام
بئسما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة وقلة
الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها كما ترك
الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل
بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات
الظهر والعصر والمغرب والعشا وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير
الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب
الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له
فان قلت فما تقول في نومه عليه الصلاة والسلام
عن الصلاة يوم الوادي وقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان
ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد
بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينه في غالب الاوقات وقد يندر
منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ويصحح هذا التاويل
قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا
وقول بلال فيه ما القيت علي نومة مثلها قط [illegible]
ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده الله عز وجل من اثبات
حكم وتاسيس سنة واظهار شرع كما قال في الحديث الاخر لو
شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه
صلى الله عليه وسلم لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه
لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه

ثم يصلي ولا يتوضا وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه
من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد
النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث اخر كيف وفي اخر الحديث
نفسه ثم نام حتى سمعنا غطيطه او خطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى
ولم يتوضا وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في
قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل
القلب وقد قال عليه الصلاة والسلام ان الله قبض ارواحنا
ولو شا لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته
من استغراق النوم لما قال لبلال اكلا لنا الصبح فقيل انه
كان من شانه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة
اول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة
فوكل بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم
عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه الصلاة والسلام
عن قول نسيت وقد قال عليه السلام اني انسى كما تنسون فاذا نسيت
فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا اية انسيتها فاعلم
اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عن
ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ نقله من القران اي
ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء
ويثبت وما كان من سهو او غفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه
انسي وقد قيل ان هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب
ان يضيف الفعل الى خالقه والاخر على طريق الجواز لاكتساب
العبد فيه واسقاطه عليه السلام لهذه الايات جائز
عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها
من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب
وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا

سبيله ذكره ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط
حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ
الله تعالى كتابه وتكليفه بلاغه فصل في الرد على
من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك
اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبيا عليهم الصلاة والسلام من الفقها والمحدثين
ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من
القران والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر
وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف
المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل
فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا
وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطا
قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن ناخذ
في النظر فيها ان شا الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى
الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم
اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم
عذاب عظيم وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الاية وما
قص من قصص غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام كقوله
وعصى ادم ربه فغوى وقوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا
فيما اتاهما وقوله تعالى عنه ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقوله
عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكره من قصته وقصة
داود عليهما الصلاة والسلام وقوله وظن داود انما فتناه
فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى قوله مآب وقوله ولقد
همت به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله عن موسى

فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله
عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ونحوه
من ادعيته عليه الصلاة والسلام وذكر الانبيا في الموقف ذنوبهم
في حديث الشفاعة وقوله انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي حديث
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من
سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح عليه الصلاة والسلام والا تغفر
لي الاية وقد كان قال تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
وقال عن ابرهيم عليه الصلاة والسلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين وقوله عن موسى عليه الصلاة والسلام تبت اليك وقوله
ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه ذلك من هذه الظواهر فاما احتجاجهم
بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا قد
اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل
المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان
قبل النبوة والمتاخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك
امته عليه الصلاة والسلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل
حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من
ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطا وبمثله والذي قبله
يتاول قوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات قال مكي مخاطبة
النبي صلى الله عليه وسلم ههنا هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار
فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الاية وبمآل
المومنين في الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما فمقصد الاية انك مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو كان قال
بعضهم المغفرة ههنا تبرئة من العيوب واما قوله ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة

وهو

وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه
حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكى معناه
السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة
حتى يبلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل ايام
الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب
شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل
معناه خففنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك
ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما
قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت
عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون
الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره
او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية
واعلام الله تعالى له بحفظه ما استحفظه من وحيه واما قوله تعالى
عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه
من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم
يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه
وقد حاشاه الله تعالى من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له
ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى
فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله تعالى بما لم يطلع عليه
من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه
فيما فعل وليس عفا ههنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم
يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا
عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم
يلزمك ذنبا قال الداودي وروي انها تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام

علام سأل احلك الله واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله
واما قوله في اساري بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى الايتين فليس
فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من
بين ساير الانبيا فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال صلى الله عليه وسلم
احلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تعالى تريدون
عرض الدنيا قيل المعني بالخطاب من اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض
الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم
ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون
يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنايم عن القتال حتى خشي عمر رضي
الله تعالى عنه ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق
فاختلف المفسرون في معنى الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان
لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية
وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به
الصفح لعوقبتم على الغنايم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال
لولا ما كنتم مومنين بالقران وكنتم ممن احلت لهم الغنايم لعوقبتم كما عوقب
من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم
فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه الصلاة والسلام قد
خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جا جبريل عليه الصلاة
والسلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى
ان شاوا القتل وان شاوا الفدا على ان يقتل منهم عام المقبل في العام ط
مثلهم فقالوا الفدا ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم
لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين
مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين
لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة

ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري وقوله عليه الصلاة
والسلام في هذه القضية لو نزل من السما عذاب ما نجي منه الا عمر اشارة
الى هذا من تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه في اعزاز الدين واظهار
كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه
عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله تعالى لم
يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي
والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم
حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه
الله تعالى عن ذلك قال القاضي خرج هذا اهل الصحيح وقال القاضي
بكر بن العلا اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الاية
ان تاويله وافق ما كتبه له من احلال الغنايم والفدا وقد كان قبل هذا
فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان
وصاحبه فما عتب الله تعالى ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام
فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى كان
على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله تعالى عليهم
لكن الله تعالى اراد لعظيم بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته
وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا
على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه واما قوله عبس
وتولى الايات فليس فيه اثبات ذنب له صلى الله عليه وسلم بل اعلام
الله تعالى ان ذلك المتصدي له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى
كان لو كشف لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي
صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله تعالى وتبليغا
عنه واستيلافا له كما شرعه الله تعالى لا معصية ومخالفة له وما
قصه الله تعالى عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر
عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله تعالى وما عليك الا يزكى وقيل

اراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام
واما قصة ادم عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد
قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله تعالى الم انهكما عن
تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه
فغوى اي جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله
تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد
نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو
لك ولزوجك الاية قيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس رضي الله
عنهما انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد
المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين
وتوهما ان احدا لا يحلف بالله كاذبا وقد روي عذر ادم بمثل هذا
في بعض الاثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمومن
يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما
اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر
وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف
خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان ملتبسا
عليه غالطا اذ لا اتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال
الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل
ذلك قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب
عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل
بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تاول نهي
الله تعالى عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة
من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله تعالى لم ينهه
عنها نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى
وعصى ادم ربه وقال فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة

ويذكر

ويذكر ذنبه واني نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسياتي الجواب عنه
وعن اشباهه مجملا اخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة يونس
عليه الصلاة والسلام فقد مضى الكلام على بعضها انفا وليس في
قصة يونس نص على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا
عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول
العذاب وقيل بل لما وعدهم الله العذاب ثم عفا عنهم قال لا ارجع
بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل
ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله
ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله تعالى
اذ ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله اني كنت من الظالمين
فالظلم وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم
بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه
عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك
قومه فلم يواخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم
فاضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول ادم
وحوى ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع
الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما
قصة داود عليه الصلاة والسلام فلا يجب ان يلتفت
الى ما سطره الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا
ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد
في حديث صحيح والذي نص الله تعالى عليه قوله وظن داود
انما فتناه الى قوله وحسن ماب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه
اختبرناه واواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن
عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان قال للرجل انزل لي عن امراتك
واكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه

شغله بالدنيا وهو الذي ينبغي ان يعوّل عليه من امره وقد
قيل خطيئته انه خطبها وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندي
ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه
بقول خصمه وقيل بل لما خشيه على نفسه وظن من الفتنة بما بسط
له من الملك والدنيا والى نفي ما اضيف في الاخبار الى داود من ذلك ذهب
احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في
قصة داود واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل
ان الخصمين اللذين اختصما اليه رجلان في نتاج غنم على ظاهر الاية
واما قصة يوسف عليه الصلاة والسلام واخوته فليس على يوسف
منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم
وذكر الاسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام
قال المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا
حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغارا ولهذا لم يميزوا يوسف
حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب
وان ثبت لهم نبوة فبعد هذا والله سبحانه وتعالى اعلم
واما قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان
ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ
به وليست سيئة لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه اذا هم
عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا
واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت
عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها
فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله تعالى هم يوسف
من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الاية اي ما ابرئها من هذا الهم
او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل
وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام

فيه

فيه تقديم وتاخير ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها
وقد قال الله تعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال
تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وغلقت الابواب
وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية قيل في ربي الله
وقيل الملك وقيل همّ بها اي بزجرها ووعظها وقيل همّ بها اي غمها امتناعه
عنها وقيل همّ بها نظر اليها وقيل همّ بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان
قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة
حتى نبأه الله تعالى فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من
رآه عن حسنه واما خبر موسى عليه الصلاة والسلام مع قتيله
الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قال كان من القبط
الذين كانوا على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه كان قبل
نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى
هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله
ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي
ان يقتل حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل
وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا
كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك
فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى
له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت واليم وغير ذلك وقيل
معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت
الفضة في النار اذا خلصتها واصل الفتنة بمعنى الاختبار واظهار ما
بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار ادى الى ما يكره وكذلك
ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقاها
الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه الصلاة والسلام بالتعدي
وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى

عليه الصلاة والسلام دافع عن نفسه مقاتلة لا تلازمها وقد
تصور له في صورة آدمي ولا يمكن أنه علم حينئذ أنه ملك الموت
فدافعه عن نفسه مدافعة أدت إلى ذهاب عين تلك الصورة
التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه بعد وأعلمه
أنه رسول الله إليه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث أجوبة
هذا السد ها عندي وهو تأويل شيخنا الإمام أبي عبد الله المازري
وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة
وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف
وأما قصة سليمان عليه الصلاة والسلام وما حكى
فيها أهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه
ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأطوفن
الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد
في سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل
منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله تعالى قال
أصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه حين عرض عليه
وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فألقي على كرسيه ميتا
وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل ذنبه حرصه على ذلك
وتمنيه وقيل لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه
من التمني وقيل عقوبته أن سلب ملكه وذنبه أن أحب
بقلبه أن يكون الحق لأختانه على خصمهم وقيل أوخذ بذنب قارفه
بعض نسائه ولا يصح ما نقله الأخباريون من خرافاتهم عما نقله ومن
تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه
لأن الشياطين لا يتسلطون على مثل هذا وقد عصم الأنبياء عليهم
الصلاة والسلام من مثله وإن سئل لم لم يقل سليمان عليه الصلاة

والسلام

والسلام في القصة المذكورة إن شاء الله تعالى فعنه أجوبة أحدها
ما روي في الحديث الصحيح أنه نسي أن يقولها وذلك لينفذ
مراد الله تعالى والثاني أنه لم يسمع صاحبه وشغل عنه
وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي لم يفعل سليمان
هذا غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما
ذكره المفسرون أن لا يسلط عليه أحد كما سلط عليه الشيطان الذي
سلبه إياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل أراد أن
تكون له من الله تعالى فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره
من أنبياء الله تعالى ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة
على نبوته كإلانة الحديد لأبيه وإحياء الموتى لعيسى واختصاص
محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا وأما قصة نوح
عليه الصلاة والسلام فظاهرة العذر وأنه أخذ فيها بالتأويل
وظاهر اللفظ لقوله تعالى إنا منجوك وأهلك فطلب مقتضى هذا
اللفظ وأراد علم ما طوي عنه من ذلك لا أنه شك في وعد الله تعالى
فبين الله تعالى عليه أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره
وعمله الذي هو غير صالح وقد أعلمه أنه مغرق للذين ظلموا ونهاه
عن مخاطبته فيهم فأوخذ بهذا التأويل وعتب عليه وأشفق هو من إقدامه
على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح عليه الصلاة
والسلام فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الآية غير هذا
وكل هذا لا يقضي على نوح عليه الصلاة والسلام بمعصية سوى ما
ذكرناه من تأويله وإقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه
وما روي في الصحيح من أن نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل
فأوحى الله تعالى إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله
تعالى فليس في هذا الحديث أن هذا الذي أتى معصية بل فعل
ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما

اباح الله تعالى الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته
النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله
تعالى اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك
التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله
انما كان لاجل انها اذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع
مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يات في كل هذا امرا نهي عنه
فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله تعالى اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار
منه والله تعالى اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام ما
من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام
او كما قال عليه الصلاة والسلام فالجواب عنه من ذنوب
الانبياء التي وقعت من غير قصد وعن سهو وغفلة فصل فان قلت
فاذا انتفت عنهم صلوات الله وسلامه عليهم الذنوب والمعاصي بما
ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى
وعصى ادم ربه فغوى وما تكرر في القران والحديث الصحيح من
اعتراف الانبياء عليهم الصلاة والسلام بذنوبهم وتوبتهم
واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم
وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا
الله تعالى واياك ان درجة الانبياء عليهم الصلاة والسلام
في الرفعة والعلو والمعرفة بالله تعالى وسنته في عباده
وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل
جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم
فانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم
اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المواخذة
بها واتوها على وجه التاويل او السهو او تزيد من امور الدنيا
المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم

وعن سهو

ومعاص

ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم
فان الذنب ماخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء اخره
واذناب الناس رذالهم فكان هذا ادنى افعالهم واسوا ما يجري
من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم
بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية
لله تعالى واعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر
والقبائح والفواحش ما تكون بالاضافة اليه هذه الهنات في
حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اي
يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات وكذلك العصيان
الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو او تاويل
فهي مخالفة وترك وقوله فغوى اي جهل ان تلك الشجرة ليست
هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطا ما طلب من الخلود اذ اكلها
وخابت امنيته وهذا يوسف عليه الصلاة والسلام قد اوخذ بقوله
لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه
فلبث في السجن بضع سنين قيل انسي يوسف عليه الصلاة
والسلام ذكر الله تعالى وقيل انسي صاحبه ان يذكره لسيده
الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في
السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف عليه الصلاة
والسلام قيل له اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فقال
يا رب انسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء
عليهم الصلاة والسلام بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز
عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في اضعاف ما اتوا به من سوء
الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه
اذا كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يؤاخذون بهذا مما لا
يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع

فحالهم انما في هذا الكونها لا من غيرهم **فاعلم اكرمك الله** تعالى انا
لا نثبت لك المواخذة في هذا على حد مواخذة غيرهم بل نقول
انهم يواخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم
ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم
كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود عليه
الصلاة والسلام فغفرنا له ذلك الاية وقال بعد قول موسى عليه
الصلاة والسلام تبت اليك اني اصطفيتك على الناس وقال
بعد ذكر فتنة سليمان عليه الصلاة والسلام وانابته فسخرنا
له الريح الى وحسن ماب **وقال بعض المتكلمين** زلات الانبيا عليهم
الصلاة والسلام في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف
واشار الى نحو مما قدمناه **وايضا** فلينبه غيرهم من البشر
منهم او ممن ليس في درجتهم بمواخذتهم بذلك فيستشعروا
الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويجدوا
الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع
المعصوم فكيف بمن سواهم **ولهذا قال صالح** المري ذكر داود عليه
الصلاة والسلام بسطة للتوابين قال ابن عطا لم يكن ما نص الله
تعالى من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا
صلى الله عليه وسلم **وايضا فيقال لهم** انكم ومن وافقكم تقولون
تقولون بغفران الصغاير باجتناب الكباير ولا خلاف بعصمة
الانبيا عليهم الصلاة والسلام من الكباير فما جوزتم من وقوع
الصغاير عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المواخذة بها اذا عندكم
وخوف الانبيا عليهم الصلاة والسلام وتوبتهم منها وهي مغفورة
لهم لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المواخذة بافعال السهو
والتاويل **وقد قيل** ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته
وغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام على وجه ملازمة الخضوع

والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله تعالى على نعمه كما قال
عليه الصلاة والسلام وقد امن من المواخذة بما تقدم وما تاخر
افلا اكون عبدا شكورا وقال اني اخشاكم لله تعالى واعلمكم بما
اتقي **قال الحارث** بن اسد خوف الملايكة والانبيا عليهم الصلاة
والسلام خوف اعظام وتعبد لله تعالى لانهم امنون **وقيل**
فعلوا ذلك ليقتدي بهم وتستن بهم اممهم كما قال عليه الصلاة
والسلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا **وايضا**
فان في التوبة والاستغفار معنى اخر لطيفا اشار اليه بعض
العلما وهو استدعا محبة الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الرسل والانبيا عليهم
الصلاة والسلام الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة في كل حين
استدعا لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد ان غفر له ما تقدم وما تاخر
من ذنبه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية وقال
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا **فصل قال القاضي**
رضي الله تعالى عنه قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما
هو الحق من عصمته عليه الصلاة والسلام عن الجهل بالله تعالى وصفاته
وكونه على حالة تنافي العلم بشي من ذلك كله جملة بعد النبوة
عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشي مما قرره من امور
الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا واجماعا
وتطرو برهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه
عن الكباير اجماعا وعن الصغاير تحقيقا وعن استدامة السهو
والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة
وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب عليك
ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول

وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نباه الله وارسله قصدا
او غير قصد واستحالة ذلك شرعا

حتى تدريها فتعلم عظم فايدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب
للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه
لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب
ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك
الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل
بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط عليه الصلاة والسلام
على الرجلين اللذين راياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية
فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى
الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيا فتهلكا **قال القاضي**
رضي الله تعالى عنه هذه اكرمك الله تعالى احدى فوايد ما تكلمنا
عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيا منها
يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان السكوت اولى **وقد**
استبان لك انه متعين للفايدة التي ذكرناها **وفايدة**
ثانية يضطر اليها في اصول الفقه وتنبني عليها مسايل لا تنعد
من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقها في عدة منها وهي الحكم
في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير
من اصول الفقه **ولا بد** من بنايه على صدق النبي صلى الله عليه
وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته
من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغاير
وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم
فلا نطول به **وفايدة** ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن
اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيا من هذه الامور ووصفه
بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع
فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل
ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجترى على سفك دم مسلم حرام

او

او يسقط حقا او يضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم وبسبيل هذا
ما قد اختلف ارباب الاصول وايمة العلما والمحققين في عصمة الملايكة

فصل في القول في عصمة الملايكة عليهم الصلاة منها البشر

والسلام اجمع المسلمون ان الملايكة مومنون فضلا واتفق ايمة
المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سوا في العصمة مما
ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبيا والتبليغ اليهم كالانبيا مع
الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طايفة الى عصمة جميعهم
عن المعاصي **واحتجوا** بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يومرون وبقوله تعالى وما منا الا له مقام
معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله ومن عنده
لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وبقوله تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن
عبادته الاية وقوله تعالى كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون
ونحوه من السمعيات **وذهبت** طايفة الى ان هذا خصوص
للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشيا ذكرها اهل الاخبار والتفاسير
ونحن نذكرها ان شا الله تعالى بعد ونبين الوجه فيها ان شا الله تعالى
والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن
جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورايت بعض
شيوخنا اشار الى ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول
ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام من
الفوايد التي ذكرناها سوى فايدة الكلام في الاقوال والافعال فهي
ساقطة ههنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت
وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقله المفسرون وما روي
عن علي وابن عباس رضي الله تعالى عنهم في خبرهما وابتلايهما
فاعلم اكرمك الله تعالى ان هذه الاخبار لم يرو منها شي لا سقيم

بنفسه
ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ
والذي منه في القران اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال
بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود
وافترائهم كما نصه الله تعالى اول الايات من افترائهم بذلك على
سليمان عليه الصلاة والسلام وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة
على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطا هذه الاشكالات
ان شا الله تعالى فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان
او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراة ملكين او ملكين وهل
ما في قوله وما انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين على الملكين
ان الله تعالى امتحن الناس بالملكين لتعلم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه
كفر ومن تركه امن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس
له تعليم انذار اي يقولان لمن جا يطلب تعليمه لا تفعلوا كذا فانه
يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى
هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما
فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت
وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرا بعضهم
وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته
وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذونٌ لهما
في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله تعالى وابتلا
فكيف لا ننزههما عن كباير المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار
وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما
قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمن يريد بالسحر الذي افتعلته
عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي
هما جبريل وميكايل ادعى اليهود عليهما المجي به كما ادعوا على سليمان
فاكذبهم الله تعالى في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر

على الملكين

بابل

ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان يعلمانه قال الحسن هاروت
وماروت علجان من اهل بابل وقرا وما انزل على الملكين بكسر اللام
وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراة عبد الرحمن بن ابزى بكسر
اللام ولكن قال الملكان هنا داود وسليمان وتكون ما نفيا
على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرايل فمسخهما الله حكاه
السمرقندي والقراة بكسر اللام شاذة فحمل الاية على تقدير ابي محمد مكي
حسن ينزه الملايكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد
وصفهم الله تعالى بانهم مطهرون بررة كرام ولا يعصون الله ما امرهم
ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملايكة ورييسا
فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملايكة بقوله
فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه
ابو الجن كما ادم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وقال شهر بن حوشب
كان من الجن الذين طردتهم الملايكة في الارض حين افسدوا والاستثنا من غير
الجنس شايع في كلام العرب سايغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا
اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان خلقا من الملايكة عصوا الله فحرقوا
وامروا ان يسجدوا لادم فابوا فحرقوا ثم اخرون كذلك حتى سجد له من ذكره
الله تعالى الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا نشتغل بها

الباب الثاني فيما يخصهم من الامور الدنيوية ويطرا عليهم من العوارض
البشرية قد قدمنا انه عليه الصلاة والسلام وسائر الانبيا والرسل
عليهم الصلاة والسلام من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز
عليه من الافات والتغييرات والالام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما
يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشي انما يسمى ناقصا
بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله تعالى على
اهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع
البشر بمدرجة الغير فقد مرض عليه الصلاة والسلام واشتكى واصابه

الحر والقر وآفات كالجوع والعطش وتلحقه الغضب والضجر ويناله
الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه
الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر
وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص
من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب
غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا
في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله تعالى ذلك في بعض الاوقات
ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا صلى الله عليه وسلم من الناس فلين لم
يكف نبينا ربه يد ابن قميئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند
دعوته اهل الطايف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك
عنه سيف غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولين لم يقه من
سحر ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا
ساير انبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم
في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم
ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم ليلا يضلوا بما يظهر من العجايب
على ايديهم ضلال النصارى بعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وليكون
في محنهم تسلية لاممهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن
اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارى والتغييرات المذكورة
انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني
آدم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة
منه متعلقة بالملا الاعلى والملايكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم
قال وقد قال عليه الصلاة والسلام ان عيني تنامان ولا ينام
قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست
انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف
جسمه وظاهره وان الافات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر

ونوم

ونوم لا يحل منها شي باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لان غيره
من البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه
وهو عليه الصلاة والسلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى
قد جاء في بعض الاثار انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه
يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت
قوته فبطلت بالكلية جملته وهو صلى الله عليه وسلم قد اخبر انه لا
يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي
ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض
وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه
وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما ناخذ بعد في بيانه
فصل فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه صلى الله
عليه وسلم سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابي بقراءتي عليه قال ثنا
حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف
ثنا البخاري ثنا عبيد بن اسماعيل قال ثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة
عن ابيه عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشي وما فعله وفي رواية اخرى حتى كان
يخيل اليه انه كان ياتي النسا ولا ياتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس
الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز
عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله تعالى واياك ان هذا الحديث صحيح
متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت لسخف عقولها وتلبيسها
على امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله تعالى الشرع والنبي صلى
الله عليه وسلم عما يدخل في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض
من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته
فاما ما ورد انه كان يخيل اليه انه فعل الشي ولا يفعله فليس في
هذا ما يدخل عليه داخلة في شي من تبليغه او شريعته او يقدح في

يتعلق بصدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هـذا
فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها
وهو فيها عرضة للافات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها
ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل
الحديث الاخر من قوله حتى يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن وقد
قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يات في خبر منها انه
نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما
كانت خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل
الشي انه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته
كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لائمتنا
من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا
من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تاويل
اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو
ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير
وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجعلوه في بير حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره
ثم دله الله تعالى على ما صنعوا فاستخرجه من البير وروي نحوه
عن الواقدي وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر عبد الرزاق عن
عن عطا الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عايشة رضي الله تعالى عنها خاصة سنة فبينما هو نايم اتاه ملكان
فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه الحديث قال عبد
الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة رضي الله تعالى
عنها خاصة سنة حتى انكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النسا
والطعام والشراب فهبط عليه ملكان فذكر القصة فقد

استبان

١٤٧

قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله
ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتبي والامام ابو القاسم القشيري وقال
وقال تعالى يومن بالله ويومن للمومنين اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي
فهذا بمعنى المومن صلى الله عليه وسلم وعلى اله وعلى جميع النبيين
ومن اسمايه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من سمات
الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي
المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبيا عليهم الصلاة والسلام
المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما
قال تعالى ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا
بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية صلى الله عليه
وسلم وعلى جميع النبيين وسلم تسليما ومن اسمايه تعالى العزيز
ومعناه الممتنع الغالب والذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى
ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى
نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وجنات وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا
ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته صلى الله
عليه وسلم ومن اسمايه تعالى فيما ذكر بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم
ايضا انهما من اسما محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم

فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى

وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم
وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم
تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد
ان الله جل اسمه في عظمته وكبريايه وملكوته وحسنى اسمايه وعلي

عليا

صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبهه به وان ما جاء منهما
اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى
الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته
تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين
اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض والاغراض وهو تعالى منزه عن ذلك
بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شي
وبينه ومن قال من العلما العارفين المحققين التوحيد اثبات
ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه
النكتة الواسطي رحمه الله تعالى بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته
ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من
جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها
صفة حادثة كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا
كله مذهب اهل الحق واهل السنة والجماعة رضي الله تعالى عنهم وقد
فسر الامام ابو القسم القشيري رحمه الله تعالى قوله هذا ليزيده بيانا
فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسايل التوحيد وكيف تشبه
ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله
فعل الخلق وهو لغير جلب انس ودفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض
وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه
الوجوه وقال اخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم
او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي
الجويني من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمان
الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك
حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذي النون المصري حقيقة
التوحيد ان تعلم ان قدرة الله تعالى في الاشيا بلا علاج وصنعه لها بلا
مزاج وعلة كل شي صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في فهمك

فالله

فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخير تفسير
لقوله تعالى ليس كمثله شي والثاني تفسير لقوله تعالى لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون والثالث تفسير لقوله تعالى انما قولنا
لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على
التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية
من التعطيل والتشبيه بمنه وفضله ورحمته [illegible]

الباب الرابع فيما اظهره الله

على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه حسب المتامل ان يحقق ان كتابنا هذا
لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته
فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن
اليها ونذكر شروط المعجزة والتحدي وحده وفساد قول من ابطل
نسخ الشرايع ورده بل الفناه لاهل ملته المسلمين لدعوته ولم
المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم له ومنماة لاعما
وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب
امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظيم قدره عند
ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع
او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الايمة
واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد
سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع
خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة
نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه
والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم
ان عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

المدينة فجئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه
ليس بوجه كذاب **حدثنا** به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله تعالى
قال **نا** ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي
عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي **نا** محمد بن بشار **نا**
عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد
عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن ابي اوفى عن عبد الله بن سلام
وعن ابي رمثة التيمي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته
فلما رايته قلت هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم **وروى**
مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم قال له صلى
الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل
له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك هولا فلقد
بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان
رجل منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فقال هل معكم شي تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم
قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة
فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا
ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم
فاصبحنا فجا رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا
وفي خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندي والله لقد
دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا
ولا ينهى عن شي الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر
ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي

وقال

وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول
يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحة ام ص
لو لم تكن فيه ايات مبينة ۝ لكان منظره ينبيك بالخبر
وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده
في معجزة القران وما فيه من دلائل وبرهان **فصل**
اعلم ان الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده
والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتدا دون
واسطة لو شا كما حكي عن سنته في بعض الانبيا صلى الله عليهم
وسلم وذكره بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة
تبلغهم كلامه ويكون ذلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة
مع الانبيا او من جنسهم كالانبيا مع الامم ولا مانع لهذا من دليل
العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجات الرسل بما دل على صدقهم
من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدي
من النبي قايم مقام قول الله تعالى صدق عبدي فاطيعوه وشاهد واتبعوه
على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض
فمن اراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات ايمتنا رحمهم الله
تعالى **فالنبوة** في لغة من همز ماخوذة من النبا وهو الخبر وقد
لا تهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه
على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبا فعيل بمعنى مفعول
او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبيا بما اطلعه الله عليه فعيل
بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع
من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه
منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان **واما الرسول** فهو

الارسال يعني اصل ... المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارسالة امر الله تعالى له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جا الناس ارسالا اذا اتبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلما هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سوا واصله من الانبا وهو الاعلام واستدلوا بقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة التي للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جا بشرع مبتدا ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل ادم واخرهم محمد صلى الله عليهم وسلم اجمعين وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ان الانبيا مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم ادم عليه على جميعهم الصلاة والسلام فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها

بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفا ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله واوحينا الى ام موسى اي القي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة

فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جات به الانبيا معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه ~~فتعجيزهم~~ فتعجيزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران على راي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحيا الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الما من بين الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله تعالى وتحديه من يكذبه ان ياتي بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القران لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر وكل اية منه او ايات بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه

احبار ... فيكون وتحدى على يد النبي ...

التحدي التقدم للمنازعة للغلبة

من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على ضربين قسم منها علم
قطعا ونقل إلينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجي النبي
صلى الله عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وإن
أنكر هذا معاند جاحد فهو كإنكاره وجود محمد صلى الله عليه وسلم
في الدنيا وإنما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة فهو في نفسه وجميع
ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه إعجازه معلوم ضرورة
ونظرا كما سنشرحه قال بعض أئمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة
أنه قد جرى على يديه عليه الصلاة والسلام آيات وخوارق
عادات وإن لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها
فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر
أنه جرت على يديه عجائب وإنما خلاف المعاند في كونها من قبل
الله تعالى وقد قدمنا كونها من قبل الله تعالى وأن ذلك بمثابة
قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذه أيضا من نبينا صلى الله عليه
وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة
عنترة وحلم الأحنف لاتفاق الأخبار الواردة عن كل واحد منهم
على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وإن كان كل خبر بنفسه لا يوجب
العلم ولا يقطع بصحته **والقسم الثاني** ما لم يبلغ مبلغ الضرورة
والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر رواه العدد وشاع الخبر به
عند المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء من بين
الأصابع وتكثير الطعام **ونوع** منه اختص به الواحد والاثنان
ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه إذا جمع إلى مثله
اتفقا في المعنى واجتمعا على الإتيان بالمعجز كما قال القاضي أبو الفضل
وأنا أقول صدعا بالحق إن كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه
صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع **أما انشقاق
القمر** فالقرآن نص بوقوعه وأخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر

إلا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة فلا يوهن
عزمنا خلاف أخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي
الشك على ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا أنفه وننبذ بالعراء سخفه
وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها
الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة
ومنها ما رواها الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث
بها من جملة الصحابة وأخبارهم أن ذلك كان في مواطن اجتماع
الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية
وغزوة تبوك وأمثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم
يؤثر عن أحد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا إنكار
لما ذكر عنهم أنهم رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق
المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك
رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير
معروف لديهم لأنكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها
من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في
ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته
لما بيناه **وأيضا فإن أمثال الأخبار** التي لا أصل لها وبنيت
على باطل لا بد مع مرور الأزمان وتداول الناس وأهل البحث
من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الأخبار
الكاذبة والأراجيف الطارئة **وأعلام نبينا هذه** الواردة
من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان إلا ظهورا ومع تداول
الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف
أصلها واجتهاد الملحد على إطفاء نورها إلا قوة وقبولا ولا للطاعن
عليها إلا حسرة وغليلا **وكذلك إخباره صلى الله عليه
وسلم** عن الغيوب وإنباؤه بما يكون وكان معلوم من آياته على

الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطا عليه وقد قال ايمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهما الله وما اوجب عندي قول القايل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الحديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرنا ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقها من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراة ام القران في الصلاة للمنفرد والامام واجزا النية في اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي رضي الله تعالى عنه يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الراس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة رضي الله تعالى عنه يخالفهما في هذه المسايل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعلم هذا من مذاهبهم فضلا عما سواه وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شا الله سبحانه وتعالى

فصل في اعجاز القران

اعلم وفقنا الله تعالى واياك ان كتاب الله تعالى العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يوت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب

جعل

جعل الله ذلك لهم طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة ياتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فياتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللال فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوايده مختار

جمع احنة وهي الحقد

بة

لتعلمه وهم افتن ما كانوا في هذا الباب مجالا، واشهر في الخطابة
رجالا، واكثر في السجع والشعر ارتجالا، واوسع في الغريب واللغة
مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون وعنها يتناضلون
صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس
الملا اجمعين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم
من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فاتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا وقل لئن
اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران الاية وقل فاتوا
بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفترى اسهل ووضع الباطل
اقرب والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح
كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان
يكتب كما يريد وللاول على الثاني فضل وبينهما شاو بعيد فلم
يزل صلى الله عليه وسلم يقرعهم اشد التقريع ويوبخهم غاية
التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم
الهتهم واباهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم في كل
هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون
انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغراء بالافتراء وقولهم ان هذا
الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين
والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي
اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء
مع العجز كقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال الله ولن تفعلوا
فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة
كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم
يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم

عليها

بل ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون
ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول
هذا بشر وذكر ابو عبيدة ان اعرابيا سمع رجلا يقرا
فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع اخر
رجلا يقرا فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا
لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه انه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم على راسه يتشهد
بشهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام
العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسارى المسلمين يقرا اية من كتابكم
فتاملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم من احوال
الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه
فاولئك هم الفائزون وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية
فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة مع قول
الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع في اية واحدة بين
امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد
بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون
القران من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه
عليه الصلاة والسلام متحديا به معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة
ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين
من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت
اذا تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله ولو ترى
اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله ادفع بالتي
هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله

وعجز العرب عن الاتيان به
معلوم ضرورة وكونه في الفصا
من فصاحتها خارقا للعادة
معلوم ضرورة

وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الاية وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية واشباهها من الاي بل اكثر القران حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحا عندها الكلام ويذهب ما البيان اية لمتامله من ربط الكلام بعضه ببعض والتيام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها

فصل

الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جا عليه ووقفت مقاطع اياته وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شي منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرا عليه القران رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الاخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته

قالوا نقول شاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا نقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق به بين المرء وزوجه والمرء وابنه والمرء واخيه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الايات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القران يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقراته وقلته والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر رضي الله تعالى عنه ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجا الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقرا الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدي بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تكلم في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه

قد سمعت قولا والله

تفنن

وقد اختلف ايمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم
يقول انه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه
وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر
وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحيا
الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن
الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم
الله تعالى عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم
عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين عجز العرب
عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور
البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى
بالتقريع والاحتجاج بمجي بشر مثلهم بشي ليس من قدرة البشر
لازم وهو ابهر اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال بل
صبروا على الجلا والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا
من شموخ الانف واباية الضيم بحيث لا يوثرون ذلك اختيارا
ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم
والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم
لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدرة في المعرفة به لجميع
الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفائه
واطفائه فما جلوا في ذلك خبية من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة
من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد
وما ولد بل ابلسوا فما ابنسوا ومنعوا فما انقطعوا فهذان نوعان من اعجازه

فصل الوجه الثالث من الاعجاز

ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع
فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد
الحرام ان شا الله امنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون

فعد عجزوا

وكقوله

وقوله ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين امنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الاية وقوله اذا جا نصر
الله والفتح الى اخرها فكان جميع هذا كما قال تبارك وتعالى فغلبت
الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا
فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله
الاسلام واستخلف المومنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها
من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال صلى الله عليه وسلم زويت
لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي
لي منها وقوله عز وجل انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة
والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم
اليوم نيفا على خمسماية عام فما قدروا على اطفاء شي من نوره
ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه
والحمد لله ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون
الدبر وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله
هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية وقوله لن يضروكم الا
اذى وان يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك وما فيه من كشف
اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم
بذلك كقوله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما
نقول وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الاية وقوله
تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب الاية وقوله تعالى
من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين وقد
قال مبديا ما قدره الله تعالى واعتقده المومنون يوم بدر
واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم وتودون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم ومنه قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين

ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله
تعالى كفاه اياهم وكان المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون الناس عنه
ويوذونه صلى الله عليه وسلم فهلكوا وقوله تعالى والله يعصمك
من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار
بذلك بذلك معروفة صحيحة والحمد لله رب العالمين

فصل الوجه الرابع ما انبا

به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرايع الداثرة
مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب
الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه
وياتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان
مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امي
لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم
ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسالونه
صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القران ما يتلو عليهم
منه ذكرا كقصص الانبيا مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف
واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك
من الانبا والقصص وبدو الخلق وما في التورية والانجيل والزبور
وصحف ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلما بها ولم يقدروا
على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق له
من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد
من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه
وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم
وكثرة سوالهم له عليه الصلاة والسلام وتعنيتهم اياه عن اخبار
انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم
بمكتوم شرايعهم ومضمنات كتبهم مثل سوالهم عن الروح وذي

القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرايل
على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات احلت لهم فحرمت
عليهم ببغيهم وقوله تعالى ذلك مثلهم في التورية ومثلهم
في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القران فاجابهم
وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم
صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده وحسده
اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت
في ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه
مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فاتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا
الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي
على فضيحته من كتابه يده ولم يوثر ان واحدا منهم اظهر خلاف
قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى
يا اهل الكتاب قد جاكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب ويعفو عن كثير الاية فصل

هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها

ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه اي وردت
بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا
ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة
عند الله خالصة الاية قال ابو اسحق الزجاج في هذه الاية اعظم
حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت
واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه
يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر
صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه واحد منهم وكانوا

القرنين

على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله ليفعل ما يريد فظهرت
بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب
امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله تعالى نبيه
بذلك عليه الصلاة والسلام يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود
مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم **وكذلك اية المباهلة** من
هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله
تعالى عليه اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا
منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد
علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم
ومثله قوله ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم
تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه
الاية ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي

فصل ومنها الروعة التي تلحق

قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم
عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم
حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون
انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان القران صعب
مستصعب على من كرهه وهو الحكم **واما** المؤمن فلا تزال روعته
به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه
هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
وقال لو انزلنا هذا القران على جبل الاية ويدل على ان هذا
شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي
عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا
والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده

فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وامن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح
عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب
بالطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى
قوله المصيطرون كاد قلبي ان يطير **وفي رواية** وذلك اول ما
وقر الاسلام في قلبي **وعن عتبة بن ربيعة** انه كلم النبي صلى الله عليه
وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلى عليه حم فصلت الى قوله
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على فم النبي صلى
الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف **وفي رواية** فجعل النبي صلى
الله عليه وسلم يقرا وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمدا عليهما
حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري
بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم
وقال والله لقد كلمني بكلام ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول
له **وقد حكي** عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة
وهيبة كفته عن ذلك **فحكي** ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع
فيه فمر بصبي يقرا وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي فرجع
فمحى ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر
وكان افصح اهل وقته **وكان** يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس في
زمنه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على
مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني
على التوبة والانابة **فصل ومن وجوه**
اعجازه المعدودة كونه اية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا
مع تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وقال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات
الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها **والقران**
العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم

مدة خمس مائة عام وخمس وثلاثين سنة لاول نزوله الى وقتنا
هذا **حجته** ظاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة
باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام
وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعاند للشرع عتيد فما منهم
من اتى بشي يوثر في معارضته ولا الف كلمتين في معارضته ولا اقدر
فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند
شحيح بل الماثور عن كل من رام ذلك القاه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه

فصل وقد عد جماعة

من ائمة اهل السنة في اعجازه وجوها كثيرة **منها**
ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده
حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام
ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى
اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويونس بتلاوته
في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث لها اصحابها
لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراتها **وهذا**
وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم القران بانه لا يخلق على كثرة الرد
ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجايبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه
العلما ولا تزيغ به الاهوا ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم
تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد
فامنا به **ومنها** جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب
عامة ولا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة قبل نبوته بمعرفتها
ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علما الامم ولا يشتمل عليها
كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرايع والتنبيه على طرق الحجج العقليات
والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ
موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم

يقدروا

يقدروا عليها كقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر
على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذي انشاها اول مرة ولو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانبا الامم والمواعظ
والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب والشيم **قال الله عز وجل**
اسمه ما فرطنا في الكتاب من شي ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي
ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل الاية **وقال صلى الله عليه وسلم**
ان الله انزل هذا القران امرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه
نبأكم وخبر من كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا تخلقه كثرة الرد
ولا تنقضي عجايبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن خاصم به
فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى صراط
مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه
الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفا
النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ
فيستعتب ولا تنقضي عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود صوابه يتشابه
وقال فيه ولا يختلف ولا يتشانا فيه نبا الاولين والاخرين **وفي**
الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اني منزل عليك توراة
حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع عجيب
العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب **وعن كعب** عليكم بالقران فانه
فهم العقول ونور الحكمة **وقال الله تعالى** ان هذا القران يقص على بني
اسرايل اكثر الذي هم فيه يختلفون **وقال تعالى** هذا بيان للناس
وهدى الاية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف
ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات **ومنها** جمعه فيه
بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القران وحسن وصفه وايجازه
وبلاغته وانها هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له
يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة

ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور
لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمع في الاذان واحلى في الافهام
فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه
لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القران
وسائر الامم لا يحفظ كتابها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور الزمان
الاعوام عليهم والقران ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة
بعض اجزائه بعضا وحسن ايتلاف انواعها والتيام اقسامها وحسن التخلص
من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام
السورة الواحدة الى امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة
وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده دون خلل
يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته
ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتامل اول ص
وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون
من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به
والخبر عن اجتماع ملايهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم
وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم
واهلاك الله تعالى لهم ووعيد هولاء بمثل مصابهم وتصبير النبي
صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ
في ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام
ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا
كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القران الى وجوه كثيرة
ذكرها الايمة لم نذكرها اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب
ان تعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة
وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضايله
لا اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعلم

عليها وما بعدها من خواص القران وعجائبه التي لا تنقضي والله
سبحانه وتعالى الموفق للصواب وهو المستعان

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس

قال الله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
اخبر تبارك وتعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن
اياته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد
الحافظ من كتابه ثنا القاضي سراج بن عبد الله ثنا الاصيلي
ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا مسدد
ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابرهيم
عن ابي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة
دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية
مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش ورواه بمنى
ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر ورواه
عنه ايضا مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي
كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر
الارض كلها فاسالوا من ياتي من بلد اخر هل راوا هذا فاتوا فسالوهم
فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال
ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى تنظروا ارأوا ذلك ام لا فاخبر
اهل الافاق انهم راوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه
ايضا عن ابن مسعود علقمة فهولاء اربعة عن عبد الله وقد رواه
غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر
وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية حذيفة الارحبي
انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس رضي الله تعالى
عنه سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق



القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية
معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت
اقتربت الساعة ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه
جبير بن محمد ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد
ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن
ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن
ابي عمران الازدي واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والاية مصرحة
ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض
اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك
الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم
على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل
الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون من قوم
بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض او يحول بينهم وبينه سحاب
او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي
بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون
لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا والعادة
من الناس بالليل الهدو والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد
يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك
ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به
حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار
ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند
احد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس
من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه في حجر
علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم

انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء
فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت ووقفت على الجبال والارض وذلك
بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات
وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله
العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة وروى
يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته عن ابن اسحاق لما اسري برسول
الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في
العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء قال فلما كان ذلك اليوم
اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس وهذان
الحديثان رواتهما ثقات

فصل في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

قال المؤلف رحمه الله تعالى اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روى
حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة
منهم انس وجابر وابن مسعود حدثنا ابو اسحاق ابرهيم بن جعفر الفقيه
رحمه الله بقراءتي عليه ثنا القاضي عيسى بن سهل ثنا ابو القاسم حاتم
بن محمد ثنا ابو عمر بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا
يحيى ثنا مالك عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء
فلم يجدوه فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده فامر الناس ان يتوضوا
منه قال فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من
عند اخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء
يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلثمائة وفي رواية
عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه ايضا حميد وثابت والحسن

عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت
عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود
ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليس معنا ما فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه
فضل ما فاتي بما فصبه في انا ثم وضع كفه فيه فجعل الما ينبع من
اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن
جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه
ركوة فتوضا منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ما الا ما في
ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الما يفور
من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة
الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي مثله عن انس عن جابر
وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت
عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه
لم يجد الا قطرة في عزلا شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم
بشي لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين
يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق
اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله كما امره قال فرايت الما
يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلات
وامر الناس بالاستقا فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد
له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي
ملاى وعن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي في بعض اسفاره
باداوة ما وقيل ما معنا يا رسول الله ما غير هذا فسكبها في ركوة
كانت معه قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا
في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث

به لانهم كانوا اسرع شي الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك
ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهولا قد رووا هذا واشاعوه
ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما
حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له

فصل ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الما ببركته

وانبعاثه بمسه ودعوته مما روى مالك في الموطا عن معاذ بن جبل
في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض بشي من ما
مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شي ثم غسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها
فجرت بما كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق من
الما ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك
حياة ان ترى ما ههنا قد ملي جنانا وفي حديث البرا وسلمة
ابن الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة
وبيرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة
فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البرا واتي
بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها
فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي غير هذين الروايتين في
هذه القصة من رواية ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما من كنانته
فوضع في قعر قليب ليس فيه ما فروي الناس حتى ضربوا بعطن
وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه
ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا
وملوا كل انا معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين
وسبعين رجلا وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره
اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لاهل موتة

عند ما بلغه قتل الامرا وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وايات
للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفتقدون الماء في غد وذكر
حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلاثمائة وفي كتاب مسلم
انه قال لابي قتادة احفظ علي ميضاتك فانه سيكون لها
نبا وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين
من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان
الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل
في انا من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في
المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملاوا اسقيتهم حتى لم يدعوا
شيا الا ملاوه قال عمران ويخيل الي انهما لم يزدادا الا
امتلاء ثم امر فجمع للمراة من الازواد حتى ملا ثوبها وقال اذهبي فانا
لم ناخذ من مائك شيا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة
بن الاكوع قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء
فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضانا كلنا
ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث عمر رضي الله عنه
في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر
بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم
في الدعا فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السما فانسكبت فملاوا
ما معهم من انية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب
ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز
عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب
بقدمه الارض فخرج الما فقال اشرب والحديث في هذا الباب
كثير ومنه الاجابة بدعا الاستسقا وما جانسه

فصل ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام

ببركته

ببركته ودعائه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي ثنا
العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا
مسلم بن الحجاج ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسن بن اعين
ثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه
وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال ياكل منه
وامراته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث
ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين
رجلا من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي ابطه فامر بها
ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر في اطعامه
صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق
وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا
لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء
وايمن وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار وامراته ولم يسمهما
قال وجيء بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الانا
ويقول ما شاء الله فاكل منه من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك
قد امتلا ممن قدم معه عليه الصلاة والسلام لذلك وبقي بعد
ما شبعوا مثل ما كان في الانا وحديث ابي ايوب انه صنع لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر رضي الله تعالى عنه من الطعام زهاء
ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف
الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان
مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم
احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة
وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب اتي النبي صلى الله عليه وسلم

بقصعة فيها لحم فتناوبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم
ويقعد آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر رضي
الله عنهما كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في
الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد
بطنها ثم قال وايم الله ما من الثلاثين والمائة الا وقد حز
له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون
وفضل في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث
عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع
وابي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبي
صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجا الرجل
بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر
فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس
باوعيتهم فما بقي في الجيش وعا الا ملاوه وبقي منه قدر ما جعل
اولا وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه امرني النبي صلى الله عليه
وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين
ايديهم صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان
فيها اثر الاصابع وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون
الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى
شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا منه حتى رووا وبقي كانه
لم يشرب وقال انس رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم حين ابتنى بزينب امرني ان ادعو له قوما سماهم وكل من
لقيت حتى امتلا البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد
من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل
القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم

احدا

احدا او اثنين وسبعين وفي رواية اخرى في هذه القصة
او مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال
لي ارفع فلا ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت وفي
حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي رضي الله عنهم ان فاطمة رضي الله
تعالى عنها طبخت قدرا لغدائهما ووجهت عليا الى النبي صلى الله
عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة
صحفة ثم صحفة له صلى الله عليه وسلم ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر
وانها لتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله وامر صلى الله عليه وسلم
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى ان يزود اربعمائة راكب من احمس فقال
يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان
قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الاحمسي
ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه
الا انه قال اربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر
في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه
ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد
ان امره بجدها وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه
جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية
مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهودا فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة
اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شي
قلت نعم شي من التمر في المزود قال فاتني به فادخل يده فاخرج قبضة
فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم
عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال خذ ما جئت
به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت
به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر
وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت

من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية
في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث
ابي هريرة حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد
لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت
ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم
وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب
حتى يروى ثم ياخذه الاخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى
الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت
ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك
بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة
وفي حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر للنبي صلى الله عليه وسلم
شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما
وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلها في دلو خالد
ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره
الدولابي ومن حديث الاجري في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم
لعلي فاطمة رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة
من اربع امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك
فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا
وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن
من غشيكن وفي حديث انس رضي الله عنه تزوج رسول الله صلى
الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت
به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا
ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم
كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملاوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى
الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على

الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم
فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت واكثر
احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى
حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم
من التابعين ثم من لا يعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة
ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر
لها على ما انكر

فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم

حدثنا احمد بن محمد بن غلبون
الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر ابن المهندس
عن ابي القاسم البغوي ثنا احمد بن عمران الاخنسي ثنا محمد بن
فضيل ثنا ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر رضي
الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي
فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال
تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ
الوادي فادعها فانها تجيبك قال فدعاها فاقبلت تخد الارض حتى قامت
بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها
وعن بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك
الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها
وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها
مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت السلام عليك يا رسول الله فقال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها
فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستوت فقال الاعرابي
ائذن لي ان اسجد لك فقال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت
المراة ان تسجد لزوجها قال فائذن لي ان اقبل يديك ورجليك فاذن

له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين
بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما
فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله تعالى فانقادت
معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى كذلك
حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتئمتا
وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله
الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت
بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت
كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد
نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل يعني
مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه
موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات
متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامركن ان تاتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل
ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رايت النخلات
يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن
فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرايتهن
والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة
كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين
وذكر فامر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاءتين وعن غيلان
بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله
عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة

وذكر اشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة
جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انها استاذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له
شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الحديث ان
الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر
عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه قال المؤلف
رضي الله تعالى عنه فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى
بن مرة واسامة وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس
رضي الله تعالى عنهم وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها
ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة
حيث هي وذكر ابو بكر بن فورك انه صلى الله عليه وسلم في غزوة
الطائف سار ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له
نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا هذا وهي هناك
معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس رضي الله تعالى عنه
ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم عليهما وراه حزينا اتحب ان اريك
آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي
فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها
فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيه جبريل
قال اللهم ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر
مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم
لا له وذكر ابن اسحاق ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ركانة
مثل هذه الآية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم
قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه عليه الصلاة والسلام
شكى الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة

عليه فاوحى الله تعالى اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت ان لا وحشة علي ونحوه عن عمر وقال فيه ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارايت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح

فصل في قصة حنين الجذع ويعضد هذه الاخبار

حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به وفي رواية المطلب وابي حتى تصدع وانشق حتى جاءه النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به النبي صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن انس وفي حديث ابي وكان اذا صلى النبي

صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارضة وعاد رفاتا وذكر الاسفرايني ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فيأكل اولياء الله تعالى من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه ورواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح ورواه عن انس ابن مالك الحسن وثابت واسحق بن ابي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الوداك عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه قال المؤلف رحمه الله تعالى فهذا حديث كما تراه خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله تعالى المثبت على الصواب

والطفيل عن ابي الحواسم

فصل ومثل هذا في سائر الجمادات

حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ثنا القاضي ابو عبد الله محمد ابن المرابط ثنا المهلب ابو القاسم ثنا ابو الحسن القابسي ثنا

المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا ابو احمد
الزبيري ثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله
قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وفي غير هذه الرواية
عن ابن مسعود كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن
نسمع تسبيحه وقال انس اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى
فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن
في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر وذكر
انهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي رضي الله عنه كنا بمكة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله
شجرة ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة
عنه صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل انه
الحجر الاسود وعن عايشة رضي الله عنها لما استقبلني جبريل بالرسالة
جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر
ابن عبد الله لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي
حديث العباس اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه
بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة
الباب وحوايط البيت امين امين وعن جعفر بن محمد عن ابيه
مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب
فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس صعد النبي صلى الله عليه
وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما
عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن ابي هريرة في حراء وزاد
معه وعلي وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبي او صديق او شهيد
والخبر في حرا ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد
الرحمن وسعدا قال وانسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد
ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي انه حين طلبته

قريش

قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على
ظهري فيعذبني الله فقال له حراء الي يا رسول الله وروى ابن عمر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر وما قدروا الله حق
قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير
المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس كان
حول البيت ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص
في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح
جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقا فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا
لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث
ابن مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدي الباطل
وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتدا امره
اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل
يتخللهم حتى اخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد
العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش
ما علمك فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا
لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة
تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما
جلس مال الفيء اليه صلى الله عليه وسلم

فصل في الايات في ضروب الحيوانات

حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ ثنا ابي ثنا
القاضي يونس ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم
بن ثابت عن ابيه وجده ثنا ابو العلا احمد بن عمران ثنا محمد
بن فضيل ثنا يونس بن عمرو ثنا مجاهد عن عايشة قالت
كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان الباطل

فمر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء وذهب وروي عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في
محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله
فقال واللات والعزى لا امنت بك او يؤمن هذا الضب وطرحه
بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك
يا زين من وافى القيمة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه
وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار
عقابه قال فمن انا قال رسول رب العلمين وخاتم النبيين وقد
افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك
قصة كلام الذيب المشهورة عن ابي سعيد الخدري بينا راع يرعى
له عرض الذيب لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى الذيب غنما
وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي
العجب من ذيب يتكلم بكلام الانس فقال الذيب الا اخبرك باعجب
من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس
بانباء ما قد سلف فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث
فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذيب عن ابي هريرة
وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذيب انت اعجب واقفا على
غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط نبيا اعظم منه عنده قدرا
قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم
وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي
من لي بغنمي قال الذيب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه
غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه
وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها

فوجدها كذلك وذبح للذيب شاة منها وعن اهبان بن
اوس وانه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذيب وعن
سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب هذه القصة ايضا
وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد وقد روى ابن وهب
مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع
ذيب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذيب
فعجبا من ذلك فقال الذيب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة
يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات
والعزى لين ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي
مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه وعن عباس
ابن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذي
ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طاير سقط فقال يا عباس
اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب
اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن جمل اتى النبي صلى الله عليه
وسلم وامن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم
يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف لي بالغنم قال احصب
وجوهها فان الله سيودي عنك امانتك ويردها الى اهلها
ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس رضي الله عنه
دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايط انصاري وابو بكر وعمر
ورجل من الانصار وفي الحايط غنم فسجدت له فقال ابو بكر
نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابي هريرة دخل النبي صلى
الله عليه وسلم حايطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في
الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد
الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد الحايط الا شد عليه الجمل

فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم رغا فوضع مشفره في
الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والارض شيء
لا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد الله
ابن ابي اوفى وعن جابر بحديث الجمل ان النبي صلى الله عليه
وسلم سالهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفي رواية
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف
وفي رواية انه شكى الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه
في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة
العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها
ومبادرة العشب اليها في المرعى وتجنب الوحوش عنها وندائهم
لها انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره
الاسفرايني وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله
عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن انس رضي الله عنه
وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الغار امر الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته
وامر حمامتين فوقفتا في نحر الغار وفي حديث اخر وان
العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون له وراوا ذلك
قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى
الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط
قرب للنبي صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست او سبع لينحرها
يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدا وعن ام سلمة
كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول
الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان
في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال
وتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه

الاعرابي وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية
فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير
الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه
الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر
في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت
به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق واخذه
عليه الصلاة والسلام باذن شاة لقوم من عبد القيس
بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر
فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابرهيم بن حماد بسنده
من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب
فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى دور
اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه ويستدعيهم وان النبي
صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بير جزعا وحزنا فمات
وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم
لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي العنز التي اتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على
غير ما وهم زهاء ثلثماية فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاروى الجند ثم قال لرافع املكها وما اراك فربطها فوجدها
قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جا بها هو الذي ذهب بها وقال
صلى الله عليه وسلم لفرسه وقد قام الى الصلاة في بعض اسفاره
لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته

فما زال عضوا عضوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالتحقيق هذا
ما رواه الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله للملوك
فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان
القوم الذي بعثه اليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا
بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الايمة رضي الله تعالى عنهم

فصل في احيا الموتى وكلامهم وكلام الصبيان

والمراضع وشهادتهم له بالنبوة صلى الله عليه وسلم وعظم وكرم
حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه
والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن
عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا ثنا ابو علي
الحافظ قال ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابو زيد عبد الرحمن
ابن يحيى ثنا احمد بن سعيد ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود
ثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي
سلمة عن ابي هريرة ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم
بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها
واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات
بشر بن البرا وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان
كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس
منك قال فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث انس
وفيه قالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على
ذلك فقالوا انقتلها قال لا وكذلك عن ابي هريرة من
رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه ايضا جابر بن عبد
الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي
رواية الحسن ان فخذها يكلمني انها مسمومة ورواه ابو
سلمة بن عبد الرحمن فقالت اني مسمومة وكذلك ذكر الخبر

ابن

ابن اسحق وقال فيه فتجاوز عنها ان في الحديث الاخر عن انس انه
قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في
وجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالان اوان
قطعت ابهري وحكى ابن اسحق كان المسلمون يرون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال
ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في
ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر وفي رواية ابن عباس رضي
الله عنهما انه دفعها لاولياء بشر بن البرا فقتلوها وكذلك
اختلفوا في قتله للذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه اثبت
عندنا وروي عنه انه قتله وروى الحديث البزار عن ابي
سعيد الا انه قال في اخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا
وذكرنا اسم الله فلم يضر منا احد قال الفقيه ابو الفضل وقد
خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الايمة
وهو حديث مشهور واختلف ايمة اهل النظر في هذا الباب
فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة او الحجر
او الشجر وحروف واصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها
دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ
ابي الحسن والقاضي ابي بكر رضي الله عنهما واخرون ذهبوا الى ايجاد
الحياة بها اولا ثم الكلام بعده وحكي ايضا هذا عن شيخنا ابي الحسن
وكل محتمل والله تعالى اعلم اذ لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف
والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها فاما
اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا
يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق

في الحالة وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات التي هي
مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم
ذلك في الحصا والجذع والذراع وقال ان الله تعالى خلق فيها
حياة وخلق لها فما ولسانا والة امكنها بها من الكلام **وهذا**
لو كان لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم بنقل تسبيحه
او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية شيا من ذلك فدل
على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر والله تعالى الموفق
وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه
وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من انا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم **وروي** عن معرض بن معيقيب رايت
من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جي بصبي يوم ولد فذكر مثله
وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه
وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك
ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك
اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع **وعن الحسن
اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم** فذكر له انه طرح بنية
له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة
اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان
ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت لا حاجة
لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما **وعن انس ان شابا من الانصا**
توفي وله ام عجوز عميا فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني
قلنا نعم قالت **اللهم** ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك
رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحمل علي هذه المصيبة فما برحنا
ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا **وروى عن عبد
الله بن عبيد الله** الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس

وكان

١٤٢

وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول
الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمن البر الرحيم فنظرنا فاذا هو
ميت **وذكر عن النعمان بن بشير** ان زيد بن خارجة خر
ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشائين
والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي الامي وخاتم النبيين كان ذلك
في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمن
ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان

فسبحان القدير لا اله الا هو رب العرش العظيم

فصل في ابرا المرضى وذوي العاهات

اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقراته على غيره
قال **ثنا** ابو اسحاق الحبال قال **ثنا** ابو محمد النحاس **ثنا** ابن
الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق
ثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية
احد بطولها قال وقالوا فقال سعد بن ابي وقاص ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد
رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت
واصيبت يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته
فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه **وروى
قصة قتادة** عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر
ابن قتادة ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة **وبصق** على
اثر سهم في وجه ابي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح
وروى النسائي عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله
ادع الله ان يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضا ثم صل ركعتين
ثم قل **اللهم اني اسالك واتوجه** اليك بنبيي محمد نبي الرحمة

نبيك

يا محمد اني اتوجه بك الى ربي ان يكشف لي عن بصري اللهم شفعه
فيّ قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي ان ابن ملاعب
الاسنة اصابه استسقا فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ
بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها
متعجبا يرى ان قد هزي به فاتاه بها وهو على شفا فشربها
فشفاه الله تعالى وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك
ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيا فنفث
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرايته يدخل الخيط
في الابرة وهو ابن ثمانين سنة ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد
في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرا وتفل
على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي يوم
خيبر فبرا وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف
الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرات وعلى ساق علي بن الحكم
يوم الخندق اذ انكسرت فبرا مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى
علي بن ابي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اشفه وعافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع
بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفرا فجاء
يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها
فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته ايضا ان خبيب
ابن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونفث عليه فصح واتته امراة من خثعم معها صبي به
بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها
اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرا الغلام وعقل عقلا
يفضل عقول الناس وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاءت

امراة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه
مثل الجرو الاسود فسعى وانكفات القدر على ذراع محمد بن
حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرا لحينه
وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف
وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها
بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسالته جارية طعاما
وهو ياكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحيا فقالت
انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسال شيا
فيمنعه فلما استقر في جوفها القي عليها من الحيا ما لم تكن
امراة بالمدينة اشد حيا منها والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل في اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا باب واسع
جدا واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم
وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جا في حديث
حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة
ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي بقراتي عليه
ثنا ابو القسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو
زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد
الله بن ابي الاسود ثنا حرمي ثنا شعبة عن قتادة عن انس
قال قالت امي يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم
اكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته ومن رواية
عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي
ليتعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية وما اعلم
احدا اصاب من رخا العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدي هاتين
مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه
لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا

دعائه

لرجوت ان اصيب تحته ذهبًا وفتح الله عليه ومات فخير الذهب
من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة
ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت (الف دينار)
احداهن لانه طلقها في مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى
بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه
العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدًا وتصدق مرة بعير فيها
سبع مائة بعير وردت عليه تحمل من كل شي فتصدق بها وبما
عليها وباقتابها واحلاسها **ودعى عليه الصلاة والسلام**
لمعوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن ابي وقاص
ان يجيب الله دعوته فما دعا لاحد الا استجيب له **ودعا بعز**
الاسلام بعمر او بابي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود ما
زلنا اعزة منذ اسلم عمر بن الخطاب **واصاب الناس** في
بعض مغازيه عطش فسالوه الدعاء فدعا فجاءت سحابة
فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت **ودعا في الاستسقا** فسقوا
ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا **وقال لابي قتادة** افلح
وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين
سنة وكانه ابن خمس عشرة سنة وقال للنابغة لا يفضض الله
فاك فما سقطت له سن **وفي رواية** فكان احسن الناس ثغرا
اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة
وقيل اكثر من هذا **ودعا لابن عباس** رضي الله عنهما اللهم
فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد الحبر وترجمان
القرآن **ودعا لعبد الله** بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه
فما اشترى شيئا الا ربح فيه **ودعا للمقداد** بالبركة فكانت
عنده غرائر من المال **ودعا** بمثله لعروة بن ابي الجعد
فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا

وقال

١٧٤

وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب لربح فيه
وروي مثل هذا لغرقدة ايضا وندت له ناقة فدعا فجاءه
بها اعصار ريح حتى ردها عليه **ودعا لام** ابي هريرة فاسلمت
ودعا لعلي رضي الله عنه ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتا
ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتا ولا يصيبه حر ولا برد
ودعا لفاطمة ابنته ان لا يجيعها قالت فما جعت بعد
وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له
فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة
فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور
ودعا على مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم
فسقوا **ودعا** على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم
تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا
ودعا على صبي قطع عليه الصلاة والسلام ان يقطع الله
اثره فاقعد **وقال** لرجل رآه ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا
استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة
ابن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد
وقال لامراة اكلك الاسد فاكلها **وحديثه** المشهور من
رواية عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا
السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال
فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر **ودعا على الحكم** بن ابي العاص
وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ راه فقال
كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات **ودعا** على محلم بن جثامة
فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته مرات فالقوه
بين صدين ورضموا عليه الحجارة والصد جانب الوادي **وحديثه**
باجل تبع فرسه وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم

القر البرد

فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم
ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية برجلها
اي رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به والله اعلم

فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان

له فيما لمسه او باشره صلى الله عليه وسلم اخبرنا احمد بن محمد
ثنا ابو ذر الهروي اجازة وحدثنا القاضي ابو علي سماعا
والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا ثنا ابو
الوليد القاضي ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحاق وابو
الهيثم ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد الاعلى بن
حماد ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد عن قتادة عن انس
بن مالك ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او به قطاف وقال غيره
بطيئا فلما رجع قال وجدنا فرسكم بحرا فكان بعد لا يجارى
ونخس جمل جابر وكان قد اعيى فنشط حتى كان ما يملك
زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها
بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك راسها نشاطا وباع من
بطنها باثني عشر الفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة
فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره في قلنسوة
خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي
الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما انها اخرجت جبة
طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها
فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وحدثنا القاضي ابو علي
عن شيخه ابي القاسم بن المامون قال كانت عندنا قصعة
من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى
فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من

يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته الاكلة
فيها فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه
في بير قباء فما نزفت بعد وبزق في بير كانت في دار انس
فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسال عنه
فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه
طيب فطاب واتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب
من المسك واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان
عطشا فسكتا وكان لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى
الله عليه وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها
ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها بنوها يسالونها
الادم وليس عندهم شي فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت
تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل في افواه الصبيان المراضع
فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده صلى الله
عليه وسلم فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على
ثلاث مائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى
اربعين اوقية من ذهب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك
الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت وفي
كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه
مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه
فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم
وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت اخرها فما
برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا ظميت واعطى

قتادة بن النعمان وصلى معه العشا في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا
وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك
عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج
فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته
ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة
جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد
في يده سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل
به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال
اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد
الله بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل
فرجع في يده سيفا ومنه بركته في درور الشياه الحوايل
باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشياه
انس وغنم حليمة مرضعته وشويهاتها وشاة عبد الله بن مسعود
وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده
اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم
الصلاة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية
حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات
وهو ابن ثمانين فما شاب ويروى مثل هذه القصص عن غير
واحد منهم السايب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة
ابن فرقد طيب يغلب طيب نسايه لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم عن
وجه عايذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له
غرة كغرة الفرس ومسح على راس قيس بن زيد الجذامي ودعا
له فهلك ابن مايه سنة وراسه ابيض وموضع كف النبي صلى
الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان

يدعى

يدعى الاغر ويروى مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة
الجهني ومسح وجه اخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه
قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه
كما ينظر في المراة ووضع يده المباركة على راس حنظلة بن حذيم
وبرك عليه فكان حنظلة يوتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة
قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم
فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من
ماء فما يعرف كان في وجه امراة من الجمال ما بها ومسح على راس
صبي به عاهة فبرا واستوى شعره وعلى غير واحد من الصبيان
المرضى والمجانين فبراوا واتاه رجل به ادرة فامره ان ينضحها
بماء من عين مج فيها ففعل فبرا وعن طاوس لم يوت النبي
صلى الله عليه وسلم باحد به مس فصك في صدره الا ذهب المس
والمس الجنون ومج في دلو من بير ثم صب فيها ففاح منها ريح
المسك واخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في
وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذا
عن اعينهم وشكى اليه ابو هريرة النسيان فامره ببسط ثوبه
وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيا بعد
وما يروى عنه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب فكثير
وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له انه لا
يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح راس عبد
الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا
له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما والله سبحانه اعلم
فصل ومن ذلك ما اطلع عليه صلى الله عليه وسلم
من الغيوب وما يكون والاحاديث في هذا الباب بحر
لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة

معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراته على غيره قال ابو بكر ثنا ابو علي التستري ثنا ابو عمر الهاشمي ثنا اللولوي ثنا ابو داود ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا جرير عن الاعمش عن ابي وايل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هولاء وانه ليكون منه الشي فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر رضي الله تعالى عنه لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طاير جناحيه في السما الا ذكر لنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والايمة ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدايه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله تعالى وان المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يدي علي رضي الله عنه في غد يومه وما يفتح الله تعالى على امته من الدنيا ويوتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهوا وسلوك سبيل من قبلهم

وافترقتم

وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانهم ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال اخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يوميذ وانهم اذا مشوا المطيطا وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله تعالى باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى اخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فاري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فكذلك كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراه وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث اخر عن ابي امامة لا تزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى ياتي امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما

علیه السلام

يناله اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل عمار رضي الله تعالى
عنه وان اشقاها هو الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من
راسه وانه قسيم النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار
فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطايفة ممن ينتسب
اليه من الروافض كفروه وقال بقتل عثمان وهو يقرا في
المصحف وان الله عسى ان يكسيه قميصا وانهم يريدون
خلعه وانه سيقطر دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله
وهو السميع العليم وان الفتن لا تظهر ما دام عمر رضي الله عنه
حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوأب على
بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت
فنبحت على عايشة عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله
الفية الباغية فقتله اصحاب معوية وقال لعبد الله بن
الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في
قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه
وقال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة
اخركم موتا في النار فكان بعضهم يسال عن بعض فكان سمرة
اخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها
وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه فاني رايت
الملايكة تغسله فسالوها فقالت انه خرج جنبا واعجله
الحال عن الغسل قال ابو سعيد ووجدنا راسه يقطر ما
وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا
الدين وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فراوهما الحجاج
والمختار وان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة رضي الله تعالى
عنها اول اهله لحوقا به وانذر بالردة وبان الخلافة
بعده ثلاثون ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن

علي رضي الله تعالى عنهما وقال ان هذا الامر بدا نبوة ورحمة ثم
يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا
وجبروة وفسادا في الامة واخبر بشان اويس القرني وبامرا
يوخرون الصلاة عن وقتها وسيكون في امته ثلاثون كذابا
فيهم اربع نسوة وفي حديث اخر ثلاثون دجالا كذابا
اخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال
يوشك ان يكثر فيكم العجم ياكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا
تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال
خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم ياتي بعد ذلك قوم يشهدون
ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا
يوفون وقال لا ياتي زمان الا والذي بعده شر منه
وقال صلى الله عليه وسلم هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش
قال ابو هريرة راويه لو شيت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان
واخبر بظهور القدرية والرافضة وسب اخر هذه الامة اولها
وقلة الانصار حتى تكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم
يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر
بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان سيماهم
التحليق ويرى رعاء الغنم رؤس الناس والعراة الحفاة يتبارون
في البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه
ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان الذي يكون بعد
فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر
كالملوك على الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله
رجال من ابناء فارس وهاجت ريح في غزاته فقال هاجت لموت
منافق فلما رجعوا الى المدينة وجد واذلك وقال لقوم من
جلسايه ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريرة

فذهب القوم يعني بما نوا ونحيث انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة
واعلم بالذي غل خرازا من خرز يهود فوجدت في رحله
وبالذي غل الشملة وحيث هي ناقته حين ضلت وكيف تعلقت
بالشجرة بخطامها وبشأن كتاب حاطب الى اهل مكة وبقضية
عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه
وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله
واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر والتراسل واخبر
بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه
فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل
ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب انه يأكله كلب الله وعن
اهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح
الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام
ويستضر بك اخرون واخبر بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم
مسيرة شهر وازيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر
فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم
فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر اباذر بتطريده كما كان
ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه قال
اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه
وحده وموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه به لحوقا اطولهن
يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر بقتل
الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه
وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت
يده في الجهاد وقال في الذين كانوا معه على حراء اثبت فانما
عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة
والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري

كسرى

كسرى فلما اتي بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي
سلبهما كسرى والبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة
ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها خزائن الارض يخسف بها
الصراة
يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد
وهو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة
حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو عسى
ان يقوم مقاما تسر به يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر
يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم
وقوى بصائرهم وقال لخالد حين وجهه لاكيدر انك
تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها في حياته وبعد
موته كما قال صلى الله عليه وسلم الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم
وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم
فيه وفي المؤمنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت
فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه
بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاقة
في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في بئر ذروان فكان كما قال
صلى الله عليه وسلم ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا
باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم
وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها
كما قال صلى الله عليه وسلم ووصفه لكفار قريش بيت المقدس
حين كذبوه في خبر الاسرا ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم
بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصولها
فكان ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم الى ما اخبر به من الحوادث
التي تكون ولم تأت بعد ومنها ما ظهرت مقدماتها كقوله
عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة

وخروج المهدي وفتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة وايات
خلوها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار والفجار والجنة
والنار وعرصات القيمة ويجب هذا الفصل ان يكون
ديوانا مفردا يشتمل على اجزا وحده وفيما اشرنا اليه من
نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح ومسند
الايمة فصل في عصمة الله سبحانه وتعالى له من
الناس وكفايته من اذاه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك
باعيننا وقال تعالى اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا اعدا
المشركين وقيل غير هذا وقال تعالى انا كفيناك المستهزئين
الذين يجعلون مع الله الها اخر وقال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا
الاية اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي قراة عليه
والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا ثنا
ابو الحسين الصيرفي قال ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو
علي السنجي ثنا ابو العباس المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ
ثنا عبد بن حميد ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا الحارث بن عبيد
عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عايشة رضي الله تعالى
عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت
هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس
انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها
فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله
فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى
سال دماغه فنزلت الاية وقد رويت هذه القصة في الصحيح

فان

الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصايرهم
لمعرفة الحق والايمان بالله تعالى او الناصر للحق والمبتدي بهداية الامة
او المبتدا المقدم في الانبيا والخاتم لهم كما قال صلى الله عليه وسلم
كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث صلى الله عليه وسلم تسليما
ومن اسمايه تعالى في الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل
القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا صلى الله
عليه وسلم فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم
نفسه بذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا
بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله عز وجل
لين شكرتم لازيدنكم فاراد الزيادة ومن اسمايه تعالى العليم
العالم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم
بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل
الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون ومن اسمايه تعالى الاول والاخر ومعناهما
السابق للاشيا قبل وجودها والباقي بعد فنايها وتحقيقه انه
ليس له اول ولا اخر وقال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبيا في الخلق
واخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدمه صلى الله عليه وسلم وقد اشار
الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
نحن الاخرون السابقون وقوله انا اول من تنشق الارض عنه واول
من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين واخر الرسل
صلى الله عليه وسلم ومن اسمايه تعالى القوي وذو القوة
المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة
عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل صلى الله عليهما وسلم تسليما
ومن اسمايه تعالى الصادق في الحديث الماثور وورد في

اسمه العليم

الحديث ايضا احمده صلى الله عليه وسلم بالعصا والمعضد وزق صلى الله
عليه وسلم تسليما كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون
ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد
قال تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم انا ولي كل مومن
وقال تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم وقال صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه
فعلي مولاه **ومن اسمائه** تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف
الله تعالى بهذا نبيه صلى الله عليه وسلم في القران والتورية وامره بالعفو
وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد سأله عن قوله تعالى
خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التورية والانجيل في الحديث
المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه
تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله تعالى لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة
والدعا قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشا الى صراط مستقيم
واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر
يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم
وقال فيه وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال الله تعالى
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا وبمعنى الدلالة يطلق
على غيره تعالى فهو بحقه بمعنى الدلالة عليه الصلاة والسلام
ومن اسمائه تعالى المومن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المومن في حقه
تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده
المومنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المومن عباده في الدنيا
من ظلمه والمومنين في الاخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر
منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعا امين انه اسم من اسمائه
تعالى ومعناه معنى المومن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ
والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومومن وقد سماه الله تعالى امينا
فقال مطاع ثم امين وكان صلى الله عليه وسلم يعرف بالامين وشهر به

استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره
وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانما اثر في بصره وحبسه
عن وطي نسائه وطعامه واضعف جسمه وامرضه ويكون معنى قوله
يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن ولا يظهر له من نشاطه ومتقدم
عادته القدرة على نسائه فاذا دنا منهن اصابته اخذة السحر فلم
يقدر على اتيانهن كما يعتري من اخذ ولعله لمثل هذا اشار بقوله وهذا
اشد ما يكون من السحر ويكون قول عايشة رضي الله عنها في الرواية
الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشي وما فعله من باب ما اختل من بصره
كما ذكر في الحديث فيظن انه راي شخصا من بعض ازواجه او شاهد
فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره وضعف
نظره لا لشي طرا عليه في ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة
السحر له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا
فصل هذه حاله في جسمه فاما احواله في امور الدنيا
فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل
اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشي على وجه ويظهر
خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع كما **حدثنا** ابو بحر
سفيان بن العاصي وغير واحد سماعا وقراة قالوا **ثنا** ابو العباس
احمد بن عمر وبه **ثنا** ابن سفيان **ثنا** مسلم **ثنا** عبد الله بن الرومي وعباس
العنبري واحمد المعقري قالوا **ثنا** النضر بن محمد قال حدثني عكرمة
ثنا ابو النجاشي قال **ثنا** رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة وهم يابرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال
لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما
انا بشر اذا امرتكم بشي من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشي من رايي
فانما انا بشر وفي رواية انس انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث اخر
انما ظننت ظنا فلا تواخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس في قصة

الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن
الله تعالى فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطي واصيب
وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها
لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق
انه عليه الصلاة والسلام لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر
اهذا منزل انزلكه الله تعالى ليس لنا ان نتقدمه ام هو الراي والحرب
والمكيدة قال لا بل هو الراي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض
حتى ناتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب
ولا يشربون فقال اشرت بالراي وفعل ما قاله وقد قال الله تعالى
وشاورهم في الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر
المدينة فاستشار الانصار فلما اخبروه برايهم رجع عنه فمثل هذا
واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها
ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة
وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه
بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن
الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية
ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله
التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة
وقد تواتر بالنقل عنه عليه الصلاة والسلام من المعرفة بامور الدنيا
ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما
قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب

فصل

واما ما يعتقد في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياه
ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه
الصلاة والسلام انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن
بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه

بشي فلا ياخذ منه شيا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه ابو
الوليد رحمه الله تعالى ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابو محمد
ثنا ابو بكر ثنا ابو داود ثنا محمد بن كثير انا سفيان عن هشام بن عروة
عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون
ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه صلى
الله عليه وسلم على الظاهر وموجب غلبة الظن بشهادة الشاهد ويمين
الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة
الله تعالى في ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت
ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف
او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله تعالى امته باتباعه والاقتدا
به في افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان
مما يختص بعلمه ويؤثره الله تعالى به لم يكن الى الاقتدا به سبيل الى الاقتدا
به في شي من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد
في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو اذا
في ذلك بالمكنون من اعلام الله تعالى له بما اطلعه عليه من سرائرهم
وهذا مما لا تعلمه الامة فاجرى الله تعالى احكامه على ظواهرهم
التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به في
تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على
علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع
لاحتمال اللفظ وتاويل المتاول وكان حكمه على الظاهر اجلى في
البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر
والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته صلى الله عليه وسلم
ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك
عنه من علم الغيب الذي استاثر به عالم الغيب فلا يظهر على

غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شا ويستاثر بما يشا
ولا يقدح هذا في نبوته صلى الله عليه وسلم ولا يفصم عروة من عصمته
فصل وأما ما تعلق منها بالدنيوية من اخباره عن احواله
واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف
فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او
مرض او رضى او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم
هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب **فاما**
المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه
في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه
مغازيه ليلا ياخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته
لبسط امته وتطييب قلوب المومنين من صحابته وتاكيدا في تحببهم
ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمراة
التي سالته عن زوجها اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق
لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض **وقد قال** صلى الله
عليه وسلم اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر
فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في
الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يامر احدا
بشي او ينهى احدا عن شي وهو يبطن خلافه وقد قال عليه
الصلاة والسلام ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف
ان تكون له خيانة قلب **فان قلت** فما معنى اذا قوله
تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه
امسك عليك زوجك الاية **فاعلم** اكرمك الله تعالى ولا
تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان
يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة
من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين

ان

ان الله تعالى كان اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان زينب
ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك
زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله تعالى به من
انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق
زيد لها **وروى** نحوه عمرو بن فايد عن الزهري قال نزل جبريل
عليه الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله تعالى
يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا
قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك
ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله تعالى لم يبد من امره معها غير
زواجه لها فدل انه الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم مما كان
اعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج
فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل انه لم يكن عليه حرج في
الامر **قال الطبري** ما كان الله تعالى ليؤثم نبيه صلى الله عليه
وسلم فيما احل مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة
الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روي
في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند
ما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا
يليق به من مده عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا
ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به
الاتقيا فكيف سيد الانبياء صلى الله عليهم وسلم **قال القشيري**
وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم
وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها
منذ ولدت ولا كان النسا يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم
وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي
صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال

تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين
حرج في أزواج أدعيائهم ونحوه لابن فورك وقال أبو الليث
السمرقندي فإن قيل فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد
بإمساكها فهو أن الله تعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أنها زوجته فنهاه
النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها إذ لم تكن بينهما ألفة وأخفى في نفسه
ما أعلمه الله تعالى به فلما طلقها زيد خشي قول الناس تزوج
امرأة ابنه فأمره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لأمته كما قال
تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم وقد قيل
كان أمره لزيد بإمساكها قمعا للشهوة وردعا للنفس عن هواها
وهذا إذا جوزنا عليه أنه رآها فجأة واستحسنها ومثل هذا لا
نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة
معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وأمر زيدا بإمساكها وإنما تنكر
تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والأولى ما ذكرناه عن
علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه
القاضي القشيري وعليه عول أبو بكر بن فورك وقال إنه معنى
ذلك عند المحققين من أهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم
منزه عن استعمال النفاق في ذلك وإظهار خلاف ما في نفسه وقد
نزهه الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما
فرض الله له قال ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد أخطأ
قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وإنما معناه الاستحياء أي يستحيي
منهم أن يقولوا تزوج زوجة ابنه وأن خشيته عليه الصلاة والسلام
من الناس كانت من إرجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين
بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الأبناء كما كان
فعاتبه الله تعالى على هذا ونزهه عن الالتفات إليهم فيما أحله له
كما عتبه على مراعاة رضا أزواجه في سورة التحريم بقوله يا أيها النبي لم

تحرم

تحرم ما أحل الله لك الآية كذلك قوله هنا وتخشى الناس والله أحق
أن تخشاه وقد روي عن الحسن وعائشة رضي الله تعالى عنهما لو كتم
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه
وإبداء ما أخفاه **فصل فإن قلت** قد تقررت
عصمته عليه الصلاة والسلام في أقواله في جميع أحواله وأنه لا يصح منه
فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد
ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته صلى
الله عليه وسلم الذي حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله تعالى
قال ثنا القاضي أبو الوليد قال ثنا أبو ذر ثنا أبو محمد وأبو الهيثم
وأبو إسحق قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل قال ثنا علي
بن عبد الله ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد
الله بن عباس رضي الله عنهم قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتابا
لن تضلوا بعده أبدا فقال بعضهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
غلبه الوجع الحديث وفي رواية ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا
بعدي أبدا فتنازعوا فقالوا ما له أهجر استفهموه فقال دعوني
فإن الذي أنا فيه خير وفي بعض طرقه أن النبي صلى الله عليه وسلم يهجر وفي
رواية هجر ويروى أهجر ويروى أهجرا وفيه فقال عمر إن النبي صلى الله
عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط
فقال قوموا عني وفي رواية واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم
من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول
ما قال عمر قال أئمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير
معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي
ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم أن يكون منه من القول أثناء
ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان

او اختلال في كلامه وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث
هجر اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر
تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال لا يكتب
وروايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث
الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سالم عن ابن عيينة وكذا ضبطه
الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه
عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد يحمل عليه رواية من رواه
هجر على حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل قول القائل
هجر او اهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول
صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه
والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى
الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم
الاشفاق على حراسته والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس ونحو
هذا واما على رواية اهجر وهي رواية ابي اسحق المستملي في
الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية
قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم
ومخاطبة لهم من بعضهم اي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء
الفحش في المنطق وقد اختلف العلما في معنى هذا الحديث
وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه الصلاة والسلام ان يأتوه
بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها
من ندبها من اباحتها بقراين فلعل قد ظهر من قراين قوله عليه
الصلاة والسلام لبعضهم ما فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر
رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه
فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن عزمة ولما راوه من صواب راي

عمر

عمر ثم هؤلا قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه
وسلم من تكليفه في تلك الحال املا الكتاب وان تدخل عليه مشقة
من ذلك كما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل
خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة
وراي ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم
النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطي ماجورا وقد علم
تقرر الشريعة وتاسيس الملة وان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم
دينكم وقوله عليه الصلاة والسلام اوصيكم بكتاب الله وعترتي
وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه
وسلم وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض
لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعا
الرافضة الوصية وغير ذلك وقيل انه كان من النبي صلى الله عليه
وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك ام
يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه
ابتدا بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب
رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل
هذه القصة بقول العباس رضي الله تعالى عنه لعلي رضي الله تعالى
عنه انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا
علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل
بقوله دعوني فالذي انا فيه اي الذي انا فيه خير من ارسال الامر
وترككم وكتاب الله وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب
كتابة امر الخلافة بعده وتعيين ذلك فصل فان قيل فما وجه
حديثه ايضا الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني
بقراءتي عليه ثنا ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد

ابو

الجلودي قال ثنا ابرهيم بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة
ثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت
ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهدا
لن تخلفنيه فايما مؤمن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة
وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفي رواية فايما احد
دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما
رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له صلاة
وزكاة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق
اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل
مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح
الله تعالى صدرك ان قوله اولا ليس لها باهل اي عندك يا رب
في باطن امره فان حكمه عليه الصلاة والسلام على الظاهر كما قال
والحكمة التي ذكرناها لعلمه عليه الصلاة والسلام بجلده او اذيته
بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال الظاهر ثم دعا صلى الله عليه
وسلم لشفقته على امته ورافته ورحمته للمؤمنين التي وصفه
الله تعالى بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاه
ولعنه له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه صلى الله عليه وسلم
يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم
وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر
ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب
لله تعالى حمله على معاقبته بلعنه او سبه وانه كان مما يحتمل ويجوز
عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه والعفو عنه وقد
يحمل ذلك على الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي
حدود الله تعالى وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته

على

على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت
به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت يمينك ولا
اشبع الله بطنك وعقري وحلقي وغيرها من دعواته وقد ورد
في صفته في غير حديث انه عليه الصلاة والسلام لم يكن فحاشا
قال انس لم يكن سبابا ولا فحاشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند
المعتبة ما له ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم
اشفق عليه الصلاة والسلام من موافقة امثالها اجابة فعاهد
ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة
وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له لئلا
يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم
وتقبل دعائه ما يحمله على الياس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا
منه لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك
له كفارة لما اصاب وتمحية لما اجترم وان تكون عقوبته له في
الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الاخر ومن اصاب
من ذلك شيئا فعوقب به فهو له كفارة فان قلت فما معنى
حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصم مع
الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال
له الانصاري ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر
الحديث فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع
بنفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب
الزبير اولا الى الاقتصار الى بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم
يرض بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه
وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب
اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث

وقد حصل فاستوفيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للذي رحمته

المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته وفيه الاقتدا به صلى الله عليه

وسلم في كل ما نقله في حال غضبه ورضاه وانه قال انهى ان يقضي القاضي

وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضا سوا لكونه فيهما

معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان لله لا لنفسه

كما جا في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في قادته من عكاشة من نفسه

لم يكن لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة

قال له وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا اردت ضرب الناقة

فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك يا عكاشة ان يتعمدك رسول

الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه الاخر مع الاعرابي حين

طلب عليه الصلاة والسلام لا انتقام منه فقال الاعرابي قد عفوت

عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام

ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك

حاجتك وهو يابى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه صلى الله عليه

وسلم لمن لم ينتفع بنهيه صواب وموضع ادب لكنه صلى الله عليه

وسلم اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه واما حديث

سواد بن عمرو اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس

ورس فحط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فاوجعني قلت

القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه انما ضربه النبي صلى

الله عليه وسلم لمنكر راه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه

فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه

فضبط لوقت اقواله عليه الصلاة والسلام الدنيوية

حكمه بها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه وتجويز السهو

والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان

هذا فيها على الندرة اذ عامة اقواله على السداد والصواب

بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه

اذ كان عليه الصلاة والسلام لا ياخذ منها لنفسه الا ضرورته وما يقيم

رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته

ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف

يصنعه او بر يبسطه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تالف شارد

او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم

في زاكي وظائف عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب

اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب

الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا

على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك

في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك

يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية

لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا

وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما

له الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه

التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤالفة

لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا

يقتل اصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم

مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم

لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال لعائشة رضي

الله تعالى عنها في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت

البيت على قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا

منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله

لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه

للكافر والعدو رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس

من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب اليه شريعته
ودينه به ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتبسم
في ملائه حتى لا يبدو منه شي من اطرافه وحتى كان على روس جلسايه
الطير ويتحدث مع جلسايه بحديث اولهم فيتعجب مما يتعجبون
منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه
الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسايه ويقول ما كان لنبي
ان تكون له خاينة الاعين **فان قلت** فما معنى قوله عليه
الصلاة والسلام لعايشة رضي الله عنها في الذي استاذن عليه بيس ابن العشيرة
فلما دخل عليه الان له القول وضحك معه فلما سالته عن ذلك
قال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره فكيف جاز له ان يظهر له
خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال **فالجواب** ان فعله
عليه الصلاة والسلام كان استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه
ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فيجذب
بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد
مداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يتالفهم باموال
الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة **قال صفوان** لقد اعطاني
وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي
وقوله فيه بيس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف
ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه
كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا **ومثل** هذا اذا كان لغرض
ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جايزا بل واجبا في بعض الاحيان
كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود **فان قيل**
فما معنى [illegible] في حديث بريرة من قوله صلى الله عليه
وسلم لعايشة رضي الله عنها وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا
بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها عليه الصلاة والسلام اشتري

واشترطي

واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام
يشترطون شروطا ليست في كتاب الله تعالى كل شرط ليس في كتاب
الله تعالى فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها بالشرط
لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عايشة كما لم يبيعوها
قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله صلى الله عليه وسلم وهو قد حرم
الغش والخديعة **فاعلم اكرمك الله تعالى** ان النبي صلى
الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه
النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله
اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا
اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم **قال الله تعالى** اوليك لهم
اللعنة وقال تعالى وان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم
الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم
من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك **ووجه** ثان ان قوله صلى
الله عليه وسلم اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية
والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه
وسلم لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطي او لا تشترطي
فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ
النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به
قبل هذا **الوجه الثالث** ان معنى قوله اشترطي لهم
الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني لهم سنته ان الولاء انما هو لمن
اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا
على مخالفة ما تقدم منه **فان قيل** فما معنى فعل يوسف
عليه الصلاة والسلام باخيه اذ جعل السقاية في رحله واخذه
باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك انكم لسارقون ولم يسرقوا
فاعلم اكرمك الله تعالى ان الاية تدل على ان فعل يوسف عليه الصلاة

والسلام كان عن امر الله تعالى لقوله كذلك كدنا ليوسف ما كان
ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشا الله الاية فاذا كان كذلك فلا اعتراض
به كان نبيه ما فيه ورابطا فان يوسف كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا
تبتئس فكان ما جري عليه بعد هذا امن وفقد ورغبته وعلى
يقين من عقبى الخير له به وان ازاحة السوء والمضرة عنه بذلك
وامّا قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف
فيلزم عليه جواب لحل شبهة ولعل قايله ان حسن له التاويل
كاين من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم
قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان يقول الانبيا
ما لم يات انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار
عن زلات غيرهم **فصل فان قيل فما الحكمة في اجراء**
الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وما الوجه فيما ابتلاهم الله تعالى به من البلا وامتحانهم بما امتحنوا
به كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابرهيم
ويوسف وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم وهم خيرته من خلقه
واحباؤه واصفياوه **فاعلم وفقنا الله تعالى واياك** ان
افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل
لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم
ايكم احسن عملا وليعلم الذين امنوا منكم ويعلم الصابرين ولما
يعلم الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولنعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلوا اخباركم فامتحانه اياهم بضروب المحن
زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج
حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض
والدعا والتضرع منهم وتاكيد لبصايرهم في رحمة الممتحنين
والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم

ليتأسوا

ليتأسوا في بلايهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا
بهم في الصبر ومحوا لهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم
ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر
حدثنا القاضي ابو علي الحافظ **ثنا** ابو الحسين الصيرفي وابو
الفضل بن خيرون قالا **انا** ابو يعلى البغدادي **ثنا** ابو علي السنجي
ثنا محمد بن محبوب **ثنا** ابو عيسى الترمذي **ثنا** قتيبة **ثنا** حماد بن زيد
عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي
الناس اشد بلا قال الانبيا ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب
دينه فما يبرح البلا بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه خطيئة
وكما قال الله تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير الايات الثلاث
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما يزال البلا بالمومن في نفسه وولده
وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة **وعن انس** رضي الله تعالى عنه
عنه عليه الصلاة والسلام اذا اراد الله بعبده الخير عجل
له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه
بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة **وفي حديث** اخر اذا احب الله
عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه **وحكى** السمرقندي ان كل من كان اكرم على
الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب
كما روي عن لقمان انه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار
والمومن يختبر بالبلا **وقد حكي** ان ابتلا يعقوب بيوسف كان سببه
التفاته في صلاته اليه ويوسف نايم محبة له **وقيل** بل اجتمع يوما
هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم
فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكايه وبينهما جدار ولا
علم عند يعقوب فعوقب يعقوب بالبكا اسفا على يوسف
الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كانت
بقية حياته يامر مناديا على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد عند ال

يعقوب ويعقوب يوسف بالمحنة التي نص الله تعالى عليها وروى
عن الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم
فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به مخافة على
زرعه فعاقبه الله تعالى ببلائه ومحنة سليمان لما ذكرنا
من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره او للعمل بالمعصية في داره ولا
علم عنده وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله
عليه وسلم قالت عايشة رضي الله تعالى عنها ما رايت الوجع
على احد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله
رايت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت
انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان
منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي
حديث ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبيا يضاعف لنا البلا
ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى بالفقر
وان كانوا ليفرحون بالبلا كما تفرحون بالرخا وعن انس رضي الله
عنه صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزا مع عظم البلا وان الله
تعالى اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله
السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز
به ان المسلم يجزى مصايب الدنيا فتكون له كفارة وروى هذا
عن عايشة وابي ومجاهد رضي الله تعالى عنهم وقال ابو هريرة
رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا
يصب منه وقال في رواية عن عايشة رضي الله تعالى عنها
ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله تعالى بها عنه حتى الشوكة
يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب المومن من نصب

ولا

ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها
الا كفر الله تعالى بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود
ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله تعالى عنه خطاياه كما
تحات ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله تعالى في
الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند
مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم
وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف
الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاة واخذه كما يشاهد
من اختلاف احوال الموت في الشدة واللين والصعوبة والسهولة
وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المومن مثل خامة الزرع تفيئها
الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
من حيث اتتها الريح تكفؤها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك
المومن يكفأ بالبلا ومثل الكافر كمثل الارزة صما معتدلة
حتى يقصمه الله تعالى معناه ان المومن مرزأ مصاب
بالبلايا والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله تعالى منطاع
لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخطه كطاعة خامة
الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من
حيث ما اتتها فاذا ازاح الله تعالى عن المومن رياح البلايا
دفاه واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون
رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه
منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه
مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه
لعادته بما تقدم من الالام ومعرفته ما له فيها من الاجر وتوطينه
نفسه على المصايب ورقتها وضعفها بتوالي المرض وشدته والكافر
بخلاف هذا معافا في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة

الصماخ فواراد الله تعالى هلاكه لنقمته حينئذ على غرة واخذه
بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة
ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما
وعذابا ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف الارزة كما قال
تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة
الله تعالى في اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم
من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة الاية ففجأ
جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير
استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجاة ومنه
في حديث ابرهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف
اي الغضب يريد موت الفجاة وحكمة ثان الثاني ان
الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول
الموت فيستعد من اصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه
ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون قلبه معلقا
بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله تعالى وقبل
العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه
من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم
المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قد طلب التنصل
في مرضه ممن كان له مالا او حق في بدن واقاد من نفسه وماله
وامكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث
الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله تعالى وعترته وبالانصار
عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده اما في
النص على الخلافة او الله اعلم بمراده ثم راى الامساك عنه افضل
وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه المتقين وهذا
كله يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله تعالى لهم ليزدادوا اثما

وليستدرجهم

وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما
ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا
يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولذلك
قال عليه الصلاة والسلام في رجل مات فجاة سبحان الله
كانه كان على غضب المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجاة
راحة للمؤمن واخذة اسف للكافر والفاجر وذلك لان الموت
ياتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان
امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها
كما قال صلى الله عليه وسلم مستريح ومستراح منه وياتي
الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات
منذرة مزعجة بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها
ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه وفراق الدنيا افظع
امر صدمه واكره شيء له والى هذا المعنى اشار عليه الصلاة والسلام
بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه الصلاة والسلام

قال القاضي ابو الفضل
رضي الله تعالى عنه قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع
الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين
له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى
اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه
قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في
الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال تعالى والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى وما كان لكم ان
تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان
عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا



لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الاية وذلك ان اليهود
كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون
بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله تعالى المؤمنين عن التشبه
بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر
والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة
اللفظ لانها عند اليهود اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة
الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في
لغة الانصار ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه
الا برعايته لهم وهو عليه الصلاة والسلام قد نهى عن التكني بكنيته
فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ
كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فالتفت فقال
لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتاذى باجابة
دعوة غيره لمن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزءون
ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا
لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه
الصلاة والسلام حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا
على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس
في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها والذي ذكرناه مذهب
الجمهور والصواب ان شاء الله تعالى وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره
وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه
لانه قد كان الله تعالى منع من ندائه به بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه
برسول الله ويا نبي الله وقد يدعونه بكنيته يا ابا القاسم بعضهم
في بعض الاحوال وقد روى انس رضي الله تعالى عنه عنه الصلاة
والسلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم

وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل حال ونداه

يوقر

يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي ان عمر رضي الله عنه
كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه
ابو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه
ويقول فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب
الا ارى محمدا صلى الله عليه وسلم يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا
وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد باسم الانبياء اكراما
لهم بذلك وغير اسماءهم وقال لا تسموا باسماء الانبياء ثم امسك
والصواب جواز هذا كله بعده عليه الصلاة والسلام
بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه
بابي القاسم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي
الله تعالى عنه وقد اخبر عليه الصلاة والسلام ان ذلك اسم المهدي
وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن
عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر احدكم
ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد فصلت الكلام في هذا
القسم على بابين كما قدمناه

الباب الاول في بيان ما هو في حقه عليه الصلاة والسلام

سب او نقص من تعريض او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من
سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه
او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب
له او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب
له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من
فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او
تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه
ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من
الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء

والحقه علينا او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة
لديه وهذا كله اجماع من العلماء وايمة الفتوى من لدن الصحابة
رضوان الله عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم
على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن
انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنهم
قال القاضي ابو الفضل وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله تعالى
عنه ولا تقبل توبته عند هولا وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه
والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى
مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة
واصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال
سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في
استتابته وتكفيره وهل قتله حدا او كفر كما سنبينه ان شا الله
تعالى في الباب الثاني ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علما
الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله
وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي
الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد
ابن سحنون اجمع العلما ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له
كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله تعالى له وحكمه عند الامة
القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابرهيم بن حسين
ابن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة
لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابي
لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما
وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب سحنون والمبسوط والعتبية
وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى
الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم

العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند
الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله تعالى توقيره وبره
وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله
ومن رواية ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب
رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما
كان او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه
قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم
او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او
اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد
الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم
يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب
عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى
الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلما
على ان من دعا على نبي من الانبيا بالويل او بشي من المكروه انه يقتل بلا
استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم
الجمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل رجل
سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح
الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة
هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه
الله تعالى وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان
صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل
وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله
كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال
اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب

فقال ابن ابي سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاه التاويل في لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل اد واشك الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سالت او جهلت فقد جهل وسال النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه هذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابرهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب في الاستهزا بالله تعالى وانبيائه ونبينا صلى الله عليه وسلم فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المورخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان اية للجميع وكبر الناس وجا كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه عليه الصلاة والسلام ما فيه نقص

قتل

١٩٥

قتله دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو والنسيان او السحر وما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمانه او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك وياتي ما يدل عليه ان شاء الله تعالى

فصل

في الحجة في ايجاب قتل من سبه او عابه صلى الله عليه وسلم فمن القران لعنه تعالى لموذيه في الدنيا والاخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف في قتل من سب الله تعالى وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله الاية وقال في قاتل المومن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال تعالى في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى المومنين وفي اذى المومنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم موذي الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم

ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاوك
حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير
وقال تعالى ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن
خير لكم ثم قال والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى
ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم
بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله
عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا
الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة
قال ثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيوية ثنا محمد بن نوح
ثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر
عن علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه
عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي
الحديث الصحيح امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف
وقوله من لكعب بن الاشرف فانه يوذي الله ورسوله ووجه
اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه
له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل
ابا رافع قال البراء وكان يوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغي
عليه وكذلك امره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين
كانتا تغنيان بسبه صلى الله عليه وسلم وفي حديث اخر ان رجلا
كان يسبه عليه الصلاة والسلام فقال من يكفيني عدوي فقال
خالد انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقتل
جماعة ممن كان يوذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة
ابن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا
الا من كان بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار

عن

عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر
قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد
الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي
فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير وروي ايضا ان امراة
كانت تسبه عليه الصلاة والسلام فقال من يكفيني عدوتي
فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروي ان رجلا كذب
على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه
وروى ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على
النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن لابي بكر
رضي الله عنه ان امراة هنالك في الردة غنت بسب النبي صلى
الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر رضي الله
عنه ذلك فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد
الانبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هجت امراة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال
رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها
فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه
وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر
دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر
الصديق رضي الله عنه فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي
اسماعيل وغير واحد من الايمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه
النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة

رسول الله دعني اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد
الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر
ولم يخالف عليه احد واستدل الائمة بهذا الحديث على قتل
من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او
سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عامله
بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر فكتب اليه عمر رضي
الله عنه انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجلا
سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه
وسال الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك وقال
يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد شتم نبيها من شتم الانبياء قتل
ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال
القاضي ابو الفضل كذا وقع في هذه الحكاية ورواها
غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم
ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما
ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر
بعلم او ممن لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله
يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون
رجع وتاب عن سبه فلم يقتله مالك على اصله والا فالاجماع
على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة
النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه صلى الله عليه
وسلم فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته
وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية
الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة
والكوفيين والقول الاخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا

وان

وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له
ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب
ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك
توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر
بلا خلاف وقال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير
هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل
قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن كلبك
ياكلك لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد
قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم
الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال صلى الله عليه
وسلم من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى
الله عليه وسلم في الحرمة مزية على امته وساب الحر من
امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه صلى الله عليه وسلم القتل
لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره صلى الله عليه وسلم
فصل فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم
اليهودي الذي قال له السام عليك وهذا دعاء عليه
ولا قتل الاخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها
وجه الله تعالى وقد تاذى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
وقال قد اوذي موسى عليه الصلاة والسلام باكثر من
هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه
في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله تعالى واياك
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يتالف
عليه الناس ويميل قلوبهم ويحبب اليهم الايمان ويزينه
في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين

فلم يتعبثوا منفرين وقيل ايسروا ولا تعسروا وسكنوا
ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل
صحبتهم ويغضي عليهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفاهم
ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان
وبذلك امره الله تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على
خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب
المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتالف اول
الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله
تعالى على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله
بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة
من يهود وغيرهم او غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته
والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان يوذيه كابن
الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك هدر
صلى الله عليه وسلم دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن
الزبعرى وغيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه
مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه الصلاة
والسلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها
القايل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت
وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام
وتوبتهم فيصبر عليه الصلاة والسلام على هناتهم وجفوتهم
كما صبر اولو العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم
باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اخلص جهرا ونفع

الله

الله تعالى بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان
وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ايمتنا
رحمهم الله تعالى عن هذا السوال وقال لعله لم يثبت عنده
عليه الصلاة والسلام من اقوالهم وانما نقله الواحد ومن
لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او امراة
والدما لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود
في السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف
نبهت عليه عايشة رضي الله تعالى عنها ولو كان صرح بذلك
لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على
فعالهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا
بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما
يقول السلام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض اصحابنا
البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه
فيهم ولم يات انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم
وايضا فان الامر كان سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام
والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس
قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد
شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المومنين
وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم
النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في
انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف
المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في
الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان
القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رايت
معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس ولهذا قال عليه الصلاة

والسلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال الداودي لعل الذي
نهاه الله تعالى عن قتلهم وهذا بخلاف اجرا الاحكام الظاهرة
عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستوا الناس
في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم
لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار
وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين
في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
سنة الله الاية قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن
مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم نسخت ما كان قبلها وقال
بعض شايخنا لعل القايل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى
وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه
والتهمة له وانما راها من وجه الغلط في الراي وامور الدنيا
والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا وراى انه من الاذى
الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك
يقال في اليهود اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب
ولا دعا الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع
البشر وقيل بل المراد تسامون دينكم والسام والسامة الملال
وهذا دعا على سامة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم
البخاري على هذا الحديث باب اذا عرض الذمي وغيره
بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا
بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى قال القاضي ابو
الفضل رحمه الله تعالى قد قدمنا ان الاذى والسب
في حقه صلى الله عليه وسلم سوا وقال القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا

عن

عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في
الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب
ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله
والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة
على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث
القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج
للتالف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقرر
قبل وقد صبر لهم عليه الصلاة والسلام على سحره وسمه وهو
اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من حينه
منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على
من شا منهم الجلا واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي
المومنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم
فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم
واموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى
فان قلت قد جا في الحديث الصحيح عن عايشة
رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه
في شي يوتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله تعالى
فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او
كذبه فان هذه من حرمات الله تعالى التي انتقم لها وانما
يكون ما لا ينتقم له منه فيما يتعلق بسو ادب او معاملة
من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن
مما جبلت عليه الاعراب من الجفا والجهل او جبل عليه
البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي بازاره حتى اثر في عنقه وكرفع صوت
الاخر عنده وكجحد الاعرابي شراه منه فرسه التي شهد فيها
خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح

عنه وقد قال بعض علمائنا ان اذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا
يجوز بفعل مباح ولا غيره واما غيره من الناس فيجوز بفعل مباح
ما يجوز للانسان فعله وان تأذى به غيره واحتج بعموم
قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله و بقوله
عليه الصلاة والسلام انها بضعة مني يؤذيني ما آذاها الا واني
لا احرم ما احل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وبنت عدو الله
عند رجل ابدا او يكون هذا مما اذاه به كافر ورجا بعد ذلك اسلامه
كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن
اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه اهل
من اذى الكتاب في المنافقين فصفح عنهم رجا استئلافهم واستئلاف
غيرهم بعد كما قررناه قبل وبالله تعالى التوفيق

فصل تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والازرا
به وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه
الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون القايل لما قال
في جهته عليه الصلاة والسلام غير قاصد للسب والازرا ولا معتقد
له ولكنه تكلم في جهته صلى الله عليه وسلم بكلمة الكفر من لعنه او سبه
او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه
صلى الله عليه وسلم نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة
في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه
او وفور علمه او زهده او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها صلى الله عليه
وسلم وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او ياتي بسفه من القول
وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وان ظهر بدليل حاله
انه لم يعتمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله
او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه
وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل

دون

دون تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان
ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون في علي
ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
قدمناه قال محمد بن سحنون في الماسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم
في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن ابي محمد
ابن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا
وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره
يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه
حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وساير الحدود لانه ادخله
على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر
منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق
والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى
الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه
وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر حينئذ كانت غير محرمة فلم يكن في
جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم
وشرب الدوا المامون **فصل الوجه الثالث**
ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله او اتى به او ينفي نبوته او رسالته
او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا
فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك
كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول
الاخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان
ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان متسترا بذلك
فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال
ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه واصحابه رضي الله عنهم

من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال
ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل
عليه قران وانما هو شي تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى
الله وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه
انه كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبا وزعم انه يوحى اليه
وقاله سحنون وقال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ
وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله تعالى مع الفرية على الله تعالى
وقال اشهب في يهودي تنبا وزعم انه ارسل الى الناس وقال بعد
نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل
وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر
على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون
من شك في حرف مما جا به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى فهو كافر
جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عنده
الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم اسود وقال
نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان
بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل
صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر
له زنديق يقتل دون استتابة فصل الوجه الرابع
ان ياتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي
صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره
فههنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة
استقصا المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر
على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرا الحد بالشبهة لاحتمال

القول

القول وقد اختلف ايمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبي محمد
فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن
شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملايكة الذين يصلون عليه قال لا
اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم وقال
ابو اسحق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا
نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه
وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم يكن معه قرينة تدل
على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملايكة صلوات الله وسلامه
عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده
الناس غير هولا لاجل قول الاخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه
لمن يصلي عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه هذا معنى
قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين
القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسي في
قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر
بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة الفاظه
وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه
ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم
لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من
الانبيا والرسل صلى الله عليهم وسلم من اكتسب المال قال ودم المسلم
لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه التاويلات فلا بد له من
من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد
فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرايل ولعن الله بني ادم وذكر
انه لم يرد الانبيا عليهم الصلاة والسلام وانما اردت الظالمين منهم
ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال لعن
الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبيع

حاضر لسبابه ولعن من جابه انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة
السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر
حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله صلى الله عليه وسلم وانما لعن
من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة
ومثل هذا ما يجري من كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض
يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك
انه يدخل في مثل هذا العدد من ابائه واجداده جماعة من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام ولعل بعض هذا العدد منقطع الى ادم عليه الصلاة
والسلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قايله منه وشدة
الادب فيه ولو علم انه قصد سب من في ابايه من الانبياء صلى الله عليهم
وسلم على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي
لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية
النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في ابائه او من نسله او ولده على
علم منه انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسئلتين
تقتضي تخصيص بعض ابائه واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن
سبه منهم وقد رايت لابي موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك
الله الى ادم انه ان ثبت ذلك عليه قتل قال القاضي رضي الله عنه
وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشي ثم
قال له تتهمني فقال له الاخر الانبيا يتهمون فكيف انت فكان شيخنا
ابو اسحق ابرهيم بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان
القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده
ان يكون خبرا عمن اتهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة
ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده
واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل
في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا

القاضي

القاضي ابا عبد الله محمد بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا
اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر
الرجل ان يكون قال ذلك فشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى
السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم
يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه فصل
الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا
سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض
احواله عليه الصلاة والسلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب
المثل والحجة لنفسه او لغيره او على سبيل التشبه به او عند هضيمة
نالته او غضاضة لحقته ليس على طريق التاسي وطريق التحقيق
بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل وعدم
التوقير لنبيه عليه الصلاة والسلام او قصد الهزل والتندير بقوله
كقول القايل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي وان كذبت فقد
كذب الانبيا او ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس
ولم يسلم منهم انبيا الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولوا العزم او كصبر
ايوب او قد صبر نبي الله عن عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول
المتنبي • انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود •
ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول
المعري •

• كنت موسى وافته بنت شعيب • غير ان ليس فيكما من فقير •

على ان اخر البيت شديد وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي صلى
الله عليه وسلم وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله •

• لولا انقطاع الوحي بعد محمد • قلنا محمد من ابيه بديل •
• هو مثله في الفضل الا انه • لم ياته برسالة جبريل •

فصدر البيت الثاني من هذا الفصل تشبيه غير النبي في فضله

بالنبي صلى الله عليه وسلم والعجز يحتمل الوجهين احدهما ان هذه الفضيلة
نقصت الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه
قول الاخر
واذا ما رفعت راياته ... صفقت بين جناحي جبرين
وقول الاخر من اهل العصر
فر من الخلد واستجار بنا ... فصبر الله قلب رضوان
وكقول حسان المصيصي من شعرا الاندلس في محمد بن عباد المعروف
بالمعتمد ووزيره ابي بكر بن زيدون
كان ابا بكر ابو بكر الرضى ... وحسان حسان وانت محمد
الى امثال هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف
امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم
فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه
بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما
الشعرا واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هاني الاندلسي
وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما عن هذا الى حد
الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الان الكلام
في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا
ولا اضافت الى الملايكة والانبيا عليهم الصلاة والسلام نقصا
ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قايلها ازرا وغضا فما
وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفا ولا عزر
حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد
الانتفا منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلا في وصف لتحسين
كلامه بمن عظم الله تعالى خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره
ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه
القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى

قبح

٢٠٣

قبح ما نطق به ومالوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه او
ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جا
به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله
فان يك باقي سحر فرعون فيكم ... فان عصى موسى بكف خصيب
وقال له يا ابن اللخنا انت المستهزئ بعصى موسى وامر باخراجه
عن عسكره من ليلته وذكر القتيبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او
قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه
وسلم حيث قال
تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها ... خلقا وخلقا كما قد الشراكان
وقد انكروا ايضا عليه قوله
كيف لا يدنيك من امل ... من رسول الله من نفره
لان حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه
ولا يضاف فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا
المنهج جات فتيا امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله تعالى واصحابه
ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر
فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه
ارى ان يودب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان
يقولوا قد اخطات الانبيا قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز
لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو
النبي صلى الله عليه وسلم كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله
وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي
صلى الله عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب
توقيرا له وتعظيما كما امر الله تعالى وسيل القابسي عن رجل
قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك

المغضبان فقال اي شي اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما
ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه حين راه من وجهه
ام عاف النظر اليه لدمامة خلقته فان كان هذا فهو شديد
لانه جري مجري التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه
تصريح بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب
بالسوط والسجن نكال للسفها قال واما ذاكر مالك خازن
النار فقد جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس الاخر الا ان
يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القايل على
طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه
صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كانه لله يغضب
غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو
كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد
ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو
قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف
بالخير قال لرجل شيا فقال له الرجل اسكت فانك امي فقال
الشاب اليس كان النبي اميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس
واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن اما
اطلاق الكفر عليه فخطا لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى
الله عليه وسلم وكون النبي اميا اية له وكون هذا اميا نقيصة
فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجا الى الله تعالى فيترك لان قوله لا ينتهي
الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب
الكف عنه ونزلت ايضا مسئلة استفتى فيها بعض قضاة
الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه اخر بشي فقال
له انما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم
يقصد السب وكان بعض فقها الاندلس افتى بقتله **فصل**
الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن
غيره واثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة
مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب
والندب والكراهة والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة
والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه
والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك
ان حكاه في كتاب او مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله
والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب
حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى
لان يوخذ عنه العلم او رواية الحديث او يقطع بحكمه او شهادته
او فتياه في الحقوق وجب على سامعه الاشادة بما سمع منه
والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على
من بلغه ذلك من ايمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله
لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين **وكذلك**
ان كان ممن يعظ العامة او يودب الصبيان فان من هذه
سريرته لا يومن على القاء ذلك في قلوبهم فيتاكد في هولا الايجاب
لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القائل
بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية
عرضه متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق
على كل مومن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية
وبان به الامر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة
وعضد التحذير منه **وقد اجمع السلف** على بيان حال المتهم
في الحديث فكيف بمثل هذا **وقد سيل ابو محمد بن ابي زيد**

عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى أيسعه أن لا يؤدي
شهادته قال إلا أن رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك
إن علم أن الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة
والأدب فليشهد ويلزمه ذلك وأما الإباحة لحكاية
قوله لغير هذين المقصدين فلا أرى لها مدخلا في الباب فليس
التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لأحد لا ذاكرا
ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح وأما للأغراض المتقدمة فمتردد
بين الإيجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات
المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الإنكار لقولهم والتحذير
من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله تعالى علينا
في محكم كتابه وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث النبي صلى
الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة وأجمع السلف
والخلف من أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين
في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم
وإن كان ورد لأحمد بن حنبل إنكار لبعض هذا على الحارث بن أسد
فقد صنع أحمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق
هذه الوجوه السائغة الحكاية عنها فأما ذكرها على غير
هذا من حكاية سبه والإزراء بمنصبه على وجه الحكايات والأسمار
والطرف وأحاديث الناس ومقالتهم في الغث والسمين ومضاحك
المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا
ممنوع وبعضه أشد في المنع من بعض فما كان من قائله الحاكي له على
غير قصد أو معرفة بمقدار ما حكاه أو لم تكن عادته أو لم يكن
الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه
واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة إليه وإن قوم
ببعض الأدب فهو مستوجب له وإن كان لفظه من البشاعة حيث

هو

هو كان الأدب أشد وقد حكي أن رجلا سأل مالكا عمن يقول
القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال إنما حكيته عن غيري
فقال إنما سمعناه منك وهذا من مالك على طريق الزجر والتغليظ
بدليل أنه لم ينفذ قتله وإن اتهم هذا الحاكي فيما حكاه أنه اختلقها
ونسبها إلى غيره أو كانت تلك عادة له أو ظهر استحسانه لذلك أو
كان مولعا بمثله والاستخفاف له أو التحفظ لمثله وطلبه ورواية
أشعار هجوه عليه الصلاة والسلام وسبه فحكم هذا حكم الساب
نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته إلى غيره فيبادر بقتله
ويعجل إلى الهاوية أمه وقد قال أبو عبيد القاسم
بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم
فهو كفر وقد ذكر بعض من ألف في الإجماع إجماع المسلمين
على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابته وقراءته
وتركه متى وجد دون محو ورحم الله تعالى أسلافنا المتقين
المتحرزين لدينهم فقد أسقطوا من أحاديث المغازي والسير
ما كان هذا سبيله وتركوا روايته إلا أشياء ذكروها يسيرة
وغير مستبشعة على نحو الوجوه الأول ليروا نقمة الله تعالى من
قائلها وأخذه المفتري عليه بذنبه وهذا أبو عبيد
القاسم بن سلام قد تحرى فيما اضطر إلى الاستشهاد به من أهاجي
أشعار العرب فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه
وتحفظا من المشاركة في ذم أحد بروايته أو نشره فكيف
بما يتطرق إلى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم

فصل الوجه السابع أن يذكر ما يجوز على النبي
صلى الله عليه وسلم أو يختلف في جوازه عليه وما يطرأ
من الأمور البشرية ويمكن إضافتها إليه أو يذكر ما امتحن به
وصبر في ذات الله تعالى على شدته من مقاساة أعدائه وأذاهم

له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه وما مر عليه
من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم
ومعرفة ما صحت منه العصمة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام
وما يجوز عليهم **فهذا فن خارج** عن هذه الفنون الستة
إذ ليس فيها غمص ولا نقص ولا إزراء ولا استخفاف لا في ظاهر
اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب أن يكون الكلام فيه مع أهل
العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحقق فوائده
ويجنب ذلك من عساه لا يفقه أو تخشى به فتنته فقد كره
بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه
من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وإدراكهن
فقد قال عليه الصلاة والسلام مخبرا عن نفسه
باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال وما من نبي إلا وقد
رعى الغنم وأخبرنا الله تعالى بذلك عن موسى عليه الصلاة
والسلام وهذا لا غضاضة فيه لمن ذكره جملة واحدة على
وجهه بخلاف من قصد الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع
العرب **نعم** في ذلك للأنبياء عليهم الصلاة والسلام
حكمة بالغة وتدريج الله سبحانه وتعالى لهم إلى كرامته وتدريب
برعايتها لسياسة أممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الأزل
ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله تعالى يتمه وعيلته على طريق
المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه
تعريف حاله والخبر عن مبتدئه والتعجب من منح الله تعالى
قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة
على نبوته وصحة دعوته إذ أظهره الله تعالى بعد هذا
على صناديد العرب ومن ناوأه من أشرافهم شيئا فشيئا ونمى
أمره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك

كثير

كثير من الأمم غيرهم بإظهار الله تعالى له وتأييده إياه بنصره
وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم وإمداده بالملائكة المسومين
ولو كان ابن ملك أو ذا أشياع متقدمين لحسب كثير من
الجهال أن ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه **ولهذا قال هرقل**
حين سأل أبا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال
ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه وإذ اليتم
من صفته وإحدى علاماته في الكتب المتقدمة وأخبار
الأمم السالفة **وكذا وقع ذكره** في كتاب أرمياء وبهذا
وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لأبي طالب وكذلك
إذا وصف بأنه أمي كما وصفه الله تعالى به فهي مدحة له وفضيلة
ثابتة فيه وقاعدة معجزته إذ معجزته العظمى القرآن
العظيم إنما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى
الله عليه وسلم به وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم
الأول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس
ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك
نقيصة إذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وإنما هي آلة لها
وواسطة موصلة إليها غير مرادة في نفسها فإذا حصلت
الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والأمية في غيره
نقيصة لأنها سبب الجهالة وعنوان الغباوة **فسبحان**
من باين أمره من أمر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته
فيما فيه هلاك من عاداه هذا شق قلبه وإخراج حشوته
كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن
سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفناه وهلم جرا إلى سائر
ما روي من أخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس
والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في أموره وخدمة

بيته زهداً او رغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها
لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره
وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها على وجهه وقصد بها مقصده
كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء
قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره
واخبار سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الاحاديث مما
في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال وتحتاج الى تاويل وتردد
احتمال فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم
الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من
الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو
الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها
فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث
بها وساعدوه على طيها فاكثرها ليس تحته عمل
وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون
الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على
قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته
ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة
ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية فلا يكاد يفهم
من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض
الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تاويلها شذر
مذر فمنهم من آمن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه
الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا
في حق انبيائه صلى الله عليهم وسلم ولا يتحدث بها ولا يتكلف
الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها
الا ان يذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المعنى واهية الاسناد

وقد انكر الاشياخ على ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكل الكلام
على احاديث ضعيفة لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب
الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام
عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما
فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف
للبس واشفى للنفس

فصل

ومما يجب على المتكلم
فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من
حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة
والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه الصلاة والسلام
وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب
حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره
فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض
والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر
عليه والنصرة له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم
على مجاري اعماله واقواله صلى الله عليه وسلم تحرى احسن اللفظ
وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة
ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال
قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع
سهوا او غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب واذا
تكلم في العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن ان لا
يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل
لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه
المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة الصغائر فهو
اولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا من
انواع المعاصي فهذا من حق توقيره صلى الله عليه وسلم

وما يجب من تعزيره وإعظامه وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من
هذا بعض التحفظ فلم أستصوب عبارته ووجدت بعض الجائرين
قد ذمّ له لأجل تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنّع عليه بما
يأباه ويكفّر قائله وإذا كان مثل هذا بين الناس في آدابهم وحسن
معاشرتهم وخطابهم مستعملا فاستعماله في حقه صلى الله عليه
وسلم أوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبّح الشيء أو تحسّنه
وتحريرها وتهذيبها تعظّم الأمر أو تهوّنه ولهذا قال صلى
الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا فأما ما أورده على جهة النفي عنه
والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز
عليه الكذب جملة ولا إتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم
على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند
ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف
تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في
القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من
القرآن حكى الله تعالى فيها مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى
عليه الكذب فكان يخفض بها صوته إعظاما لربه وإجلالا له
وإشفاقا من التشبه بمن كفر به

الباب الثاني في حكم سابه وشانئه ومنتقصه ومؤذيه وعقوبته
وذكر استتابته ووراثته قد قدمنا ما هو سب وأذى في
حقه عليه الصلاة والسلام وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك
وقائله وتخيير الإمام في قتله أو صلبه على ما ذكرناه وقررنا
الحجج عليه وبعد فاعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه
وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا إن أظهر التوبة
منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيأته
كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر

في هذا

في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه
والشهادة على قوله أو جاء تائبا من قبل نفسه لأنه حد وجب
لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ أبو الحسن القابسي إذا
أقر بالسب وتاب منه وأظهر التوبة قتل بالسب لأنه هو حده
وقال أبو محمد بن أبي زيد مثله وأما ما بينه وبين الله تعالى
فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه
وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل
وكذلك قد اختلف في الزنديق إذا جاء تائبا فحكى القاضي
أبو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال
أقتله بإقراره لأنه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا
أنه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال أقبل توبته
لأني أستدل على صحتها بمجيئه تائبا فكأنا وقفنا
على باطنه بخلاف من أسرته البينة قال القاضي أبو الفضل
وهذا قول أصبغ ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم
أقوى لا يتصور فيها الخلاف على الأصل المتقدم لأنه حق متعلق
للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته بسببه لا تسقطه التوبة
كسائر حقوق الآدميين والزنديق إذا تاب بعد القدرة
عليه فعند مالك والليث وإسحاق وأحمد لا تقبل توبته وعند
الشافعي تقبل واختلف فيه عن أبي حنيفة وأبي يوسف وحكى
ابن المنذر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يستتاب قال محمد بن
سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه صلى الله عليه
وسلم لأنه لم ينتقل من دين إلى غيره وإنما فعل شيئا حده عندنا
القتل لا عفو فيه لأحد كالزنديق لأنه لم ينتقل من ظاهر
إلى ظاهر وقال القاضي أبو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار
توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول

باستتابته لان النبي صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة
الا من اكرمه الله تعالى بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب
قطعا وليس من جنس تلحقه المعرة بجنسه وليس سبه عليه الصلاة
والسلام كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد
به المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته ومن سب
النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لادمي فكان كالمرتد يقتل حين
ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف
وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة
وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع
الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة
قال القاضي ابو الفضل يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي
الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته
ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله تعالى اعلم بسريرته وبقي حكم
السب عليه وقال ابو عمران القابسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حقوق الادميين
التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هو لا ينبني على القول بقتله
حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم
عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم
فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى
قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر
لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب
القتل فيه حدا وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما
شهد عليه به او اظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات
كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم
الله تعالى من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق
اذا

اذا ظهر عليه وانكر وتاب فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر
ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوا
بعها
قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه
بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه
ان ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم
عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم
تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلاة واما من علم انه سبه
معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه
في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه
ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا
لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله تعالى المطلع على صحة
اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف
بما شهد به وصمم عليه فهو كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة
الله تعالى وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم يقتل كافرا بلا خلاف
فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم
في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على
ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى فصل
اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على
الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق بينهما وقد اختلف السلف
في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل
العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة
على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو
قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطا بن ابي رباح والنخعي
والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق
واصحاب الراي وذهب طاووس والحسن وعبيد بن عمير

وقال ابو عمران القابسي من سب النبي عليه السلام ثم ارتد
عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حقوق
الادميين التي لا تسقط عن المرتد ح

والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز
ابن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي
عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند
الله تعالى لكن لا يدرا القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه
وحكي ايضا عن عطا ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب
الاسلامي وجمهور العلما على ان المرتد والمرتدة في ذلك سوا وروي
عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطا وقتادة
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما لا تقتل النساء في الردة وبه
قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك
سوا واما مدتها فمذهب الجمهور ويروى عن عمر رضي الله عنه
انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر رضي الله عنه
وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحق واستحسنه مالك وقال لا ياتي
الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي
زيد يريد في الاستيناء ثلاثا وقال مالك ايضا الذي اخذ به في
المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا
قتل وقال ابو الحسن بن القصار في تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك
هل ذلك واجب ومستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء
ثلاثا اصحاب الراي وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب
امراة فلم تتب فقتلها وقاله الشافعي مرة فقال ان لم يتب
مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث
مرات فان ابى قتل وروي عن علي رضي الله عنه يستتاب شهرين
وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته
وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة
ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم
يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف

٢١٤

في هذا اهل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا
فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى
من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل
ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك
الايام ويذكر بالجنة ويخوف من النار قال اصبغ واي
المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه
سوا ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه عن المسلمين ويطعم منه
ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب
النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن
وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي
واحمد وقاله ابن القاسم وقال اسحق يقتل في الرابعة وقال
اصحاب الراي ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب
ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع
التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد
في المرة الاولى ادبا ان رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي

فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يوجب

توبته من اقرار وعدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة
عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله
لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول
توبته فهذا يدرا عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام
بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع
عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن
قوي امره اذاقه من شدة النكال من التضييق في السجن والشد
في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته
ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن

نقل ولي الملك في الغنية وكتب حجي زاده الشهاب

ونفي عن قتله لمعنى وجبه وتربص به لاشكال وعايق اقتضاه امره
وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد
روى الوليد عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا تاب المرتد
فلا عقوبة عليه وقاله سحنون ووافق ابو عبد الله بن عتاب
فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما
بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال
القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل في
القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو اقام فيه
من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال
في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن
حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق
الدما الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء
ويعاقب عقوبة شديدة فاما من لم يشهد عليه سوى شاهدين
فاثبت من عداوتهما او جرحهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك
من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان
يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما
بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن
صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله تعالى ولي الارشاد

فصل هذا حكم المسلم الساب فاما الذمي اذا صرح

بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به
فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد
على هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما
من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل لان ما هو عليه من الشرك
اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله
بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم

الاية

الاية ويستدل له ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف
واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا
يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا
الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا يقتلون بكفرهم
اهل حرب
وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع
في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم
فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به وورد لاصحابنا
ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به
ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى
ابو مصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا
سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب
ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر
في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم
يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن
دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل
للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه
اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه
الان فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا الى باطنه اذ قد
بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها
شي وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه
حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته
وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام
بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل
اسلامه من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا
نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط

وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم
نبينا صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة او واحدا من الانبيا
عليهم الصلاة والسلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم
في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا
يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفي
كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك عنه انه قال من سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل
ولم يستتب وروي لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد
روى ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه
وسلم فقال ابن عمر رضي الله عنهما هلا قتلتموه وروى عيسى عن
ابن القاسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا وانما ارسل اليكم
وانما نبينا عيسى او موسى ونحو هذا لا شي عليهم لان الله تعالى
اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس بنبي ولم يرسل او لم
ينزل عليه قرآن وانما هو شي تقوله او نحو هذا فيقتل
قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما
دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد
ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب
الموجع والسجن الطويل قال واما ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم
شتما يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم
يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي ان اسلم
طائعا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي
يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة
مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون عنه
من شتم الانبيا عليهم الصلاة والسلام من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي كفروا به ضربت عنقه الا ان يسلم قال محمد

ابن

ابن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه
وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم
العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل
واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله فكذلك اظهاره
لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل لنا اهل
الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل
كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن
الاسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى ما ذكره ابن سحنون
عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم
فيه مما به كفروا فتامله ويدل على انه خلاف ما روي عن
المدنيين في ذلك حكى ابو المصعب الزهري قال اتيت بنصراني
قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته
حتى قتلته او عاش يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح
على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو المصعب عن نصراني قال
عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم سالنا مالكا عن
نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة
ما له لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه
استراح منه الناس قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت
ان لا اتكلم فيها ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة
في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى
فارى للامام ان يحرقه بالنار وان شا قتله ثم حرق جثته وان
شا احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا في سبه ولقد كتب الى مالك من
مصر وذكر مسالة ابن القاسم المتقدمة قال فامرني مالك فكتبت
بان يقتل وان تضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب

ثم يحرق بالنار فقال انه زنديق بذلك وما اولا به تكذيبه بدي
بين يديه فالنكره ولا عابه وتعذر الصحيفة بذلك فقتل وحرق
وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة فقهاء عصره سلفنا اصحاب
الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى
لله وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة وبقبول الاسلام ودرء
القتل عنها به وبهذا قال غير واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن الكاتب
وقال ابو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم
او كافر قتل ولا يستتاب **وحكى** القاضي ابو محمد في الذمي يسب ثم يسلم
روايتين في درء القتل عنه باسلامه **وقال ابن سحنون** وحد
القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه
وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف فحق للعباد
كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه
وسلم ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف
في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى
الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين

فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم

وغسله والصلاة عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي
صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم
النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق **وقال اصبغ** ميراثه
لورثته من المسلمين ان كان مستترا بذلك وان كان مظهرا له مستهلا
به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب **قال ابو الحسن**
ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني
لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك لو اقر
بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر
احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه

فقتل

فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى
عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار **وقول
الشيخ ابي الحسن** في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه
لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك
في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن
القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب
فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه
ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه
ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات عليه **وقال ابو محمد**
ابن ابي زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة
فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو
محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تشهد عليه بينة او لم تقبل انه
يصلى عليه **وروى اصبغ عن ابن القاسم** في كتاب ابن حبيب
فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلن دينا مما يفارق
به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد
للمسلمين لا لورثته ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى
واختلف فيه عن احمد وقال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن
المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي
والليث واسحاق وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل
ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد فللمسلمين
وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على رأي اصبغ
نظر فيه قول سحنون واختلافهما على قول مالك في ميراث الزنديق
فورثه مرة ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فانكرها
او اعترف بها واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير
واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره وتوبته وحكمه

حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم **وروى**
ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد أن ميراثه لجماعة المسلمين لأن
ماله تبع لدمه وقال به أيضا جماعة من أصحابه وقال أشهب
والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون **وذهب** ابن القاسم في
العتبية إلى أنه إن اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث
وإن لم يقر حتى قتل أو مات ورث **قال** وكذلك كل من أسر كفرا
فإنهم يتوارثون بوراثة الإسلام **وسئل أبو القاسم**
الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه أهل
دينه أم المسلمون **فأجاب** أنه للمسلمين ليس على جهة الميراث
لأنه لا توارث بين أهل ملتين ولكن لأنه من فيئهم لنقضه العهد
هذا معنى قوله واختصاره والله سبحانه وتعالى أعلم

الباب الثالث في حكم من سب الله تعالى وملائكته وأنبياءه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وصحبه

لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته
فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه
ابن القاسم عن مالك في كتاب إسحاق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين
قتل ولم يستتب إلا أن يكون افترى على الله تعالى بارتداده إلى
دين آخر دان به وأظهره فيستتاب وإن لم يظهره لم يستتب
وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد
ابن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك
اليهودي والنصراني فإن تابوا قبل منهم وإن لم يتوبوا قتلوا ولا بد
من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه ابن نصر القاضي
عن المذهب وأفتى أبو محمد بن أبي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا
ولعن الله تعالى فقال إنما أردت أن ألعن الشيطان فزل لساني
فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره وأما فيما بينه وبين الله تعالى

معذور

معذور واختلف فقهاء قرطبة في مسألة هارون بن حبيب
أخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد
عليه بشهادات منها أنه قال عند استقلاله من مرض لقيت في
مرضي هذا ما لو قتلت أبا بكر وعمر لم أستوجب هذا كله فأفتى إبراهيم
ابن حسين بن خالد بقتله وأن مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم
منه والتعريض فيه كالتصريح وأفتى أخوه عبد الملك بن حبيب وإبراهيم
ابن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه
إلا أن القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الأدب
لاحتمال كلامه وصرفه إلى التشكي فوجه من قال في ساب الله تعالى
بالاستتابة أنه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى
فأشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى فأشبه قصد الكفر وإظهار
الانتقال إلى دين آخر من الأديان المخالفة للإسلام ووجه ترك
استتابته أنه لما ظهر منه ذلك بعد إظهار الإسلام قبل اتهمناه وظننا
أن لسانه لم ينطق به إلا وهو معتقد له إذ لا يتساهل في هذا
أحد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته وإذا انتقل من دين إلى دين
آخر وأظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد أعلم أنه قد خلع ربقة
الإسلام من عنقه بخلاف الأول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد
يستتاب على مشهور مذاهب أكثر العلماء وهو مذهب مالك وأصحابه
على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله **فصل**
وأما من أضاف إلى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة
وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي إلى الهوى
والبدعة من تشبيه أو نعت بجارحة أو نفي صفة كمال فهذا مما قد
اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول
مالك وأصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم إذا تحيزوا فئة وأنهم
يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا وإنما اختلفوا في المنفرد منهم فأكثر قول

مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا اغتنوا فيه وانفردوا
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول
مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم
واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر رضي الله
عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك ابن الماجشون
وقول سحنون في جميع اهل الاهوا وبه فسر قول مالك في الموطا وما رواه
عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه رضي الله عنهم من قولهم في القدرية
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل
الاهوا من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل
البدع والتحريف لتاويل كتاب الله تعالى يستتابون اظهروا ذلك اواسروه
فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم
في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا
ما انتم عليه ومثله له في المبسوط في الاباضية والقدرية وساير
اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرايهم السو وبهذا عمل عمر بن عبد
العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى عليه الصلاة
والسلام تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا
يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة
وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله تعالى كلام انه
كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين
ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج
القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مومن خير من مشرك
وروي عنه ايضا اهل الاهوا كلهم كفار وقال من وصف شيا من ذات
الله تعالى واشار اليه شيء من جسده يد او سمع او بصر قطع ذلك منه
لانه شبه الله تعالى بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه
وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب

ومنهم بحكاية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي
ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري من ايمة العراقيين
جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف في اعادة
الصلاة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي رضي الله عنه لا
يستتاب القدري واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث
وابن عيينة وابن لهيعة وروي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القران وقاله
ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحاق الفزاري
وهشيم وعلي بن عاصم في اخرين وهو قول اكثر المحدثين والفقها
والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهوا المضلة واصحاب
البدع المتاولين وهو قول احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه وكذلك
قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول وممن روي عنهم معنى القول
الاخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب وابن عمر والحسن البصري وهو
راي جماعة من الفقها النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة
والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم
ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل
القاضي وانما قال مالك في القدرية وساير اهل البدع يستتابون
فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب
ان راي الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو في الاموال
ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضا في امور الدين من سبيل
الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في امر
الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة فصل في تحقيق القول
في اكفار المتاولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اهل البدع
والاهوا المتاولين ممن قال قولا يودي مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه
لا يقول بما يوديه قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقها والمتكلمون
في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من

اباه ولم يروا اخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا
هم فساق عصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم
ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع
اصحاب مالك وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام
واضطرب اخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير او ضده واختلاف
قولي مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلاة خلفهم منه والى نحو هذا
ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات
اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب
قوله في المسألة على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال في بعض
كلامه انهم على رأي من كفرهم بالتأويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم
ولا الصلاة على ميتهم ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد
وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين
واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذا اضطرب فيه قول شيخه
ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة
وهو الجهل بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله تعالى
جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل
هذا ذهب ابو المعالي في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسألة
فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج
مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب
الاحتراز من التكفير في اهل التأويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين
خطر والخطأ في ترك الف كافر اهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم
واحد وقد قال عليه الصلاة والسلام فاذا قالوها يعني الشهادة
عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى فالعصمة
مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع
من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة

للتأويل

للتأويل فاما منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام
وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة وكذلك في الخوارج وغيرهم
من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر عنها
بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ
وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في الزنا وعقوق
الوالدين والزوج وغير معصية واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع
على احدهما الا بدليل قاطع لانه قال في الخوارج هم من شر البرية وهذه
صفة الكفار وقال هم شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال
فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما
مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الاخر
انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من
الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ههنا حد لا كفر
وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله
يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه
يا رسول الله فقال لعله يصلي فان احتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام
يقرؤون القران لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم
وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون
اليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل على
انه لم يتعلق من الاسلام بشيء اجابه الاخر ان معنى لا يجاوز
حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم
ولا تعمل به جوارحهم وعارضهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا
يقتضي التشكك في حاله وان احتج بقول ابي سعيد الخدري في هذا
الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه
الامة ولم يقل من هذه الامة وتحرير ابي سعيد الرواية واتقانه
اللفظ اجابهم الاخر بان العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من

من غير الامة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع
انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم هذا الحديث
يخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل
على اخراجهم من الامة بفي ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد
رضي الله تعالى عنه اجاد ما شاء في التنبيه الذي عليه وهذا مما يدل
على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ
وتحريرهم وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل
السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها
قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله تعالى الجهل به لا يكفر احد بغير
ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متاول كان تاويله تشبيها لله بخلقه
وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا
قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن
عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله تعالى فهو كافر
وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل
فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري الى تصويب
اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل وفارق
في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين
في واحد والمخطئ فيه اثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره وقد
حكى ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهاني قال
وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع
في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ
وثمامة في ان كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة اليهود
والنصارى وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم تكن لهم طباع يمكن
معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب
التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا

من

من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين او وقف في
تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر لان التوقيف والاجماع
على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف او شك
فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا من كافر فصل
في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس
بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع
ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي
الربوبية او الوحدانية او عبادة احد غير الله تعالى فهو كفر
كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية
والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين
اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس
او النجوم او النار او احد غير الله تعالى من مشركي العرب واهل
الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب
وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية
والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالهية الله تعالى
ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه
محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد
من شيء او كائن عنه او ان معه في الازل شيئا قديما غيره او ان ثم
صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر
باجماع المسلمين كقول الالاهيين من الفلاسفة والمنجمين
والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله تعالى والعروج
اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة
والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على
كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب
بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها

ابد الآبدين في الاشخاص وتعذيبها وتنعمها بحسب زكائها وخبثها
وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة
من اصلها عموما او نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا
او احدا من الانبيا صلى الله عليهم وسلم الذين نص الله تعالى
عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية
من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا كان
المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية
والعبيدية من الشيعة والعنبرية من الرافضة وان كان بعض
هؤلاء قد اشركوا في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من دان
بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن
جوز على الانبيا صلى الله عليهم وسلم الكذب فيما اتوا به ادعى في
ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين
وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب
الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل
من الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة والحشر والقيامة والجنة
والنار ليس منها شي على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما
خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور
افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرائع وتعطيل الاوامر والنواهي
وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك
من اضاف الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به
او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد
من الانبياء او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر
باجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء
في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير
والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها

نذير

نسخة الآباد

بلا ريب م

نذير اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس
بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف
ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك
نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا
صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي
وليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه
بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك
من ادعى نبوة احد مع نبينا صلى الله عليه وسلم بعده كالعيسوية
من اليهود القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية
القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة
علي رضي الله تعالى عنه في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده
وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة
وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان واشباه
هؤلاء ومن ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ
بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة
وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة
او انه يصعد الى السما ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق
الحور العين فيها فهؤلاء كفار كلهم مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه اخبر عليه الصلاة والسلام انه خاتم النبيين ولا نبي بعده
واخبر عن الله تعالى انه خاتم النبيين وانه ارسل الى كافة الناس
واجمعت الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد
به دون تاويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها
قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير
كل من دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا
به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا

نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح
مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال
كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك
وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قولا يتوصل به الى
تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة
بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا
وكفرت عليا رضي الله تعالى عنه اذ لم يتقدم ويطلب حقه
في التقدم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة
باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على
زعمهم والى هذا والله تعالى اعلم اشار مالك رضي الله تعالى عنه
في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم كفروا
بوجوه اخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم
انه عهد الى علي رضي الله تعالى عنه وهو يعلم انه يكفر بعده على
قولهم لعنة الله تعالى عليهم وصلى الله وسلم على رسوله واله
وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر
الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله
ذلك الفعل كالسجود للصنم وللشمس والقمر والصليب والنار
والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها والتزيي بزيهم من شد
الزنار وفحص الرؤوس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا
كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها
بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل
القتل او شرب الخمر والزنا مما حرم الله تعالى بعد علمه بتحريمه
كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة الصوفية وكذلك
نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف
يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ووقع الاجماع

نعلمه

من

المتصل

المتصل عليه كمن انكر وجوب الصلوات الخمس وعدد ركعاتها
وسجداتها ويقول انما اوجب الله تعالى علينا في كتابه الصلاة
على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلم
اذ لم يرد فيه في القران نص جلي والخبر به عن الرسول عليه الصلاة
والسلام خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير من قال
من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في
قولهم ان الفرائض اسما رجال امروا بولايتهم والخبائث
والمحارم اسما رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة
ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت
بهم الى اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع
عنهم وكذلك اذا انكر منكر مكة او البيت او المسجد
الحرام او صفة الحج وقال الحج واجب في القران واستقبال
القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان
تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل
هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم
فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله لا مرية في
تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين
وامتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال
له سبيلك ان تسال عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين
فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصري الرسول صلى
الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة
هي مكة والبيت الذي فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى
اليها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا
بها وان تلك الافعال هي صفة عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها
النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات المذكورة

هي التي نقل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله تعالى بذلك
وابان حدودها فيتضح له العلم بذلك كما وقع لهم ولا ارتاب
بذلك بعد والمرتاب في ذلك او المنكر بعد البحث وصحبة المسلمين
كافر باتفاق لا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل يظاهر
المستتر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز
على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه
قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله تعالى ادخل
الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقران وانحلت
عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر **وكذلك** من انكر القران
او حرفا منه او غير شيا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية
او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة
كقول هشام الفوطي ومعمر الضمري انه لا يدل على الله تعالى ولا
حجة فيه لرسوله صلى الله عليه وسلم ولا يدل على ثواب ولا عقاب
ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول **وكذلك**
تكفيرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله تعالى لمخالفتهم
الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه
بهذا كله وتصريح القران **وكذلك** من انكر شيئا مما نص فيه
القران بعد علمه من القران الذي في ايدي الناس ومصاحف
المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره
اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه
فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقران مكذب
للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه **وكذلك** من انكر
الجنة او النار او البعث والحساب او القيامة فهو كافر باجماع للنص
عليه واجماع على صحة نقله متواترا **وكذلك** من اعترف

بذلك

بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب
والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة
كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة
وزعم ان معنى القيامة الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك
وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة **وكذلك** نقطع بتكفير
غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء فاما من انكر
ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال
شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او
مؤتة او وجود ابي بكر وعمر وقتل عثمان وخلافة علي رضي الله عنهم
مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل
الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر
من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي
من خالفه فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم
المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما
من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع
فاكثر المتكلمين من الفقها والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من
خالف الاجماع الصحيح الجامع شروط الاجماع المتفق عليه عموما
وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى الاية وقوله صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة على
قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع
على تكفير من خالف الاجماع **وذهب** اخرون الى الوقوف
عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلما
وذهب اخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكاين
عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا
مخالف اجماع السلف فاحتجاجهم به خارق للاجماع

قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله تعالى هو الجهل بوجوده
والايمان بالله تعالى هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا
راي الا ان يكون هو الجهل بالله تعالى فان عصى بقول او فعل قد
نص الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم او اجمع المسلمون انه لا يوجد
الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله
لكن لما قارنه من الكفر فالكفر بالله تعالى لا يكون الا باحد ثلثة
امور احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر
الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم
والمشي الى الكنايس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك
القول والفعل لا يمكن معه العلم بالله تعالى قال فهذان الضربان وان لم
يكونا جهلا بالله تعالى فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما
من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا
في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك
من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ايمتنا على الاجماع على كفر
من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من
قال ليس لله تعالى كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتاولين كما قدمناه
فاما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلما ههنا
فكفره بعضهم وحكى ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو
الحسن الاشعري مرة وذهبت طايفة الى ان هذا لا يخرجه
عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك
اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما الكفر من اعتقد
ان مقاله حق واحتج هولا بحديث السودا وان النبي صلى الله
عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لان قدر الله
تعالى علي وفي رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله تعالى له
قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلم

الا الاقل

الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث بوجوه منها ان قدر
بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل في نفس البعث
الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه
فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات
العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازرا عليها
وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه
ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي اذهلت
لبه فلم يواخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع
مجرد التوحيد وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته
الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم
في قوله تعالى لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او
في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم
ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في ساير الصفات على
مذهب المعتزلة فمن قال بالمال لما يوديه اليه قوله ويسوقه اليه
مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا
من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند هذا
ساير فرق اهل التاويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم
بمال قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا
على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمال الذي الزمتموه
لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يوول اليه على ما
اصلناه فعلى هذين الماخذين اختلف الناس في اكفار اهل التاويل واذا
فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك
اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجرا حكم الاسلام عليهم في قصاصهم
ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين
وساير معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر

والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم
فقد كان نشا على زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبعدهم في التابعين
من قال بهذه الاقوال من القدر وراي الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم
قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب
والنفي والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب
كبائر عند المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن راى
غير ذلك والله تعالى الموفق للصواب **قال القاضي ابو بكر** واما
مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض
والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع من اكفار المتاولين فيها اوضح اذ ليس
في الجهل بشي منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من
جهل شيا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف
في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله تعالى وقوته والله تعالى الموفق

فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى فاما الذمي فروي
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه
من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عليه بالسيف
وطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم
في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفر قتل ولم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم
قال في المبسوطة طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو
دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد واما
غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد **قال ابن**
القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان الله تعالى بغير
الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي في المبسوطة
ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا
فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك

وقال

وقال ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر
قتل الا ان يسلم **وقد ذكرنا** قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول
عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم
بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به لله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم
واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الاخر فيمن سب النبي صلى الله عليه
وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله تعالى
وسب نبيه صلى الله عليه وسلم لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا
لنا شيا من كفرهم وان لا يسمعونا شيا من ذلك فمتى فعلوا شيا منه
فهو نقض لعهدهم **واختلف العلماء في الذمي** اذا تزندق فقال
مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر
وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد
ولا يوخذ عليه جزية **وقال ابن حبيب** ولا اعلم من قاله غيره

فصل هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق بجلاله
والاهيته فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعا الالهية
او الرسالة او النافي ان يكون الله تعالى خالقه او ربه او قال ليس لي
رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف
في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه
تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل
فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب
ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره
او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى به فهو
دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي
لا يومن باطنه ولا يقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم
الصاحي واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك في حال
غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك

في حال تمييزه فإن لم يكن معه عقله سقط تكليفه أدب على ذلك
لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الأفعال ويوالى أدبه على ذلك حتى
ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد
حرق علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه من ادعى له الإلهية وقد قتل
عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد
من الخلفاء والملوك بأشباههم وأجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم
والمخالف في ذلك من كفرهم كافر وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر
من المالكية وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه
لدعواه الإلهية والقول بالحلول وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر
بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن أبي الغراقيد وكان
على نحو مذهب الحلاج بعد هذا أيام الراضي وقاضي قضاة بغداد
يومئذ أبو الحسين بن أبي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط
من تنبأ قتل وقال أبو حنيفة وأصحابه من جحد أن الله تعالى خالقه
أو ربه أو قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب
ابن حبيب ومحمد والعتبية في من تنبأ يستتاب أسر ذلك أو أعلنه
وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله أشهب في يهودي تنبأ
وادعى أنه رسول إلينا إن كان معلنا بذلك استتيب فإن تاب
وإلا قتل وقال أبو محمد بن أبي زيد في من لعن بارئه وادعى أن لسانه
زل وإنما أراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا
على القول الآخر من أنه لا تقبل توبته وقال أبو الحسن القابسي
في سكران قال أنا الله إن تاب أدب فإن عاد إلى مثل قوله
طولب مطالبة الزنديق لأن هذا كفر المتلاعبين

فصل

وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط
كلامه وأهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة
مولاه أو تمثل في بعض الأشياء ببعض ما عظم الله عز وجل من ملكوته

٢٢٣

أو نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا في حق خالقه غير قاصد
للكفر والاستخفاف ولا عامد للإلحاد فإن تكرر هذا منه وعرف
به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم
عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك إن كان ما أورده
يوجب الاستخفاف والتنقص لربه وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ
ابن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي عجب وكان خرج
يوما فأخذه المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده وكان بعض
الفقهاء بها أبو زيد صاحب الثمانية وعبد الأعلى بن وهب وأبان
ابن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه وأشاروا إلى أنه عبث
من القول يكفي فيه الأدب وأفتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد
فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له إنا
إذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس إلى الأمير بها
عبد الرحمن بن الحكم الأموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب
من حظاياه وأعلم باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده بالأخذ
بقول ابن حبيب وصاحبه وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين
وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية
الفقهاء وسبهم وأما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة
والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وإزراء فيعاقب عليها ويؤدب
بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها
ومقارنها وقد سئل ابن القاسم عن رجل نادى رجلا باسمه
فأجابه لبيك اللهم لبيك قال إن كان جاهلا أو قاله على وجه سفه
فلا شيء عليه قال القاضي أبو الفضل وشرح قوله إنه لا قتل عليه
والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد إنزاله
منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد أسرف كثير من سخفاء
الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة

فانون من ذلك بما نعرفه كتابنا ولساننا وقلامنا عن ذكره ولولا
انا قصدنا نص مسايل حكيناها لما ذكرنا شيا مما يثقل ذكره علينا
مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة
واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب
رب العباد ما لنا وما لكا ● قد كنت تسقينا فما بدا لكا
انزل علينا الغيث لا ابا لكا ● في اشباه لهذا من كلام الجهال ومن
لم يقومه ثقاف تاديب الشريعة والعلم فهذا الباب قل ما يصدر
الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة الى
مثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله
تعالى منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن
عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شي حتى
لا يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكذا وكان
بعض من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى الا فيما
يتصل بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول
جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربة
وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل
الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه
تعالى ويقول هولاء يتمندلون بالله عز وجل وينزل الكلام
في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه
التي فصلناها والموفق الله تعالى فصل وحكم
من سب ساير انبياء الله تعالى وملايكته واستخف
بهم او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه
الصلاة والسلام على مساق ما قدمناه قال الله تعالى
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله الاية وقال تعالى قولوا امنا بالله وما انزل

الينا

الينا وما انزل الى ابراهيم الاية الى قوله لا نفرق بين احد
منهم وقال تعالى كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين احد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب
ومحمد وقال ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ
وسحنون فيمن شتم الانبيا او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب
ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن
ابن القاسم من سب الانبيا من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي
به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا
الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض
اجوبته من سب الله تعالى وملايكته قتل وقال سحنون من شتم
ملكا من الملايكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك رضي الله عنه
فيمن قال ان جبريل اخطا بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب
رضي الله تعالى استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون
وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان
النبي صلى الله عليه وسلم اشبه بعلي رضي الله عنه من الغراب بالغراب
وقال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه واصحابه رضي الله عنهم
على اصلهم من كذب باحد من الانبيا او تنقص احدا منهم او بري منه
فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي في الذي قال لاخر كانه
وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك قتل قال
القاضي ابو الفضل رضي الله تعالى عنه وهذا كله فيمن تكلم فيهم
بما قلناه على جملة الملايكة والنبيين او على معين ممن حققنا
كونه من الملايكة والنبيين ممن نص الله تعالى عليهم في كتابه
او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشهور المتفق عليه بالاجماع القاطع
كجبريل وميكاييل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية
وحملة العرش المذكورين في القران من الملايكة ومن سمي فيه

من الانبياء وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر
ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت
الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبيا
كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين
ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس
وزرادشت الذي تدعي المجوس والمؤرخون نبوته فليس الحكم
في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة
ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيهم
لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت نبوته
واما انكار نبوتهما او كون الاخر من الملائكة فان كان المتكلم في
ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من
عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم
الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل
هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة **فصل**
واعلم ان من استخف بالقران او المصحف او بشيء منه او سبهما
او جحده او حرفا منه او اية او كذب به او بشيء منه او كذب
بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته
على علم منه بذلك او شك في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم
بالاجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه
ابو الوليد هشام بن احمد ثنا ابو علي ثنا ابن عبد البر ثنا ابن
عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا احمد بن حنبل ثنا
يزيد بن هارون ثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله تعالى
عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القران كفر تؤول
بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما

عن

عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد اية من كتاب الله تعالى من المسلمين
فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التورية والانجيل
وكتب الله تعالى المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف
بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القران المتلو في جميع
اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان
من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس انه
كلام الله تعالى ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا
لذلك او بدله بحرف اخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل
عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه
ليس من القران عامدا لكل هذا انه كافر وهذا راي
مالك رضي الله تعالى عنه قتل من سب عائشة رضي الله تعالى عنها
بالفرية لانه خالف القران ومن خالف القران قتل لانه كذب
بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم
موسى صلى الله عليه وسلم تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن
ابن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا
من كتاب الله تعالى تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك
كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على من
قال ان الله تعالى لم يكلم موسى صلى الله عليه وسلم تكليما وشهد
اخر عليه انه قال ان الله تعالى ما اتخذ ابرهيم صلى الله عليه
وسلم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه
٣ بنيحل ابن ابرهيم — وسلم وقال ابو عثمن الحداد جميع من ينتحل التوحيد
متفقون على ان الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان
ابو العالية اذا قرا عنده رجل لم يقل له ليس كما قرات ويقول
اما انا فاقرا كذا فبلغ ذلك ابرهيم فقال اراه سمع انه من كفر

حرف من القرآن فقد كفر به كله وقال عبد الرحمن بن مسعود
من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج
من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به فقد
كفر ومن كفر به فقد كفر بالله تعالى وقد سئل القابسي عمن
خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الآخر لعن الله التوراة
فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر انه سأله عن القضية
فقال انما لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد
لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التأويل
اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله تعالى
لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة
مجردا لضاق التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة
ابن شنبوذ المقرئ احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن
مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في
المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا
اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة
سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن افتى عليه بذلك
ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب
فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء
الادب ولم ارد القرآن قال ابو محمد واما من لعن المصحف
فانه يقتل **فصل** وسب آل بيته وازواجه
واصحابه صلى الله عليه وسلم وتنقصهم حرام ملعون
فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي ثنا ابو الحسين
الصيرفي وابو الفضل العدل ثنا ابو يعلى ثنا ابو علي
السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا محمد بن يحيى
ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا عبيدة بن ابي رائطة عن عبد الرحمن

ابن

ابن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي
لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن
ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن
آذاني فقد آذى الله تعالى ومن آذى الله تعالى يوشك
ان يأخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله تعالى والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله تعالى منه صرفا ولا عدلا
وقال عليه الصلاة والسلام لا تسبوا اصحابي فانه
يجيء قوم في آخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم
ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان
مرضوا فلا تعودوهم وعنه عليه الصلاة والسلام
من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه
وسلم ان سبهم واذاهم يؤذيه واذى النبي صلى الله عليه
وسلم حرام فقال لا تؤذوني في اصحابي ومن آذاهم فقد آذاني
وقال لا تؤذوني في عائشة رضي الله تعالى عنها وقال في
فاطمة هي بضعة مني يؤذيني ما آذاها وقد اختلف
العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والادب
الموجع قال مالك رضي الله تعالى عنه من شتم النبي صلى
الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا
من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر
او عثمان او عليا او معاوية او عمرو بن العاص رضي الله تعالى
عنهم فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة
الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة
الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد الى

في ذلك

بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال
سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى
الله عليه وسلم **وقال سحنون** من كفر احدا من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا
وقال ابو محمد بن ابي زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر
وعثمان وعلي انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم
من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد **وروى**
عن مالك رضي الله تعالى عنه من سب ابا بكر جلد ومن سب
عايشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القران
وقال ابن شعبان عنه لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان
تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين فمن عاد لمثله فقد
كفر **وحكى** ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر بن الطيب
قال ان الله تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه اليه المشركون
سبح نفسه لنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
سبحانه في اي كثيرة **وذكر** تعالى ما نسبه المنافقون
الى عايشة رضي الله تعالى عنها فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم
ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه في تبرئتها
من السوء كما سبح نفسه في تبرئته **وهذا** يشهد لقول
مالك في قتل من سب عايشة رضي الله تعالى عنها ومعنى هذا والله
تعالى اعلم ان الله تعالى لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها
سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه صلى الله عليه
وسلم واذاه باذاه تعالى وكان حكم موذيه تعالى القتل كان موذي
نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك كما قدمناه **وشتم رجل** عايشة
رضي الله تعالى عنها بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسي
فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين وحلق راسه

واسلمه

واسلمه الى الحجامين **وروي** عن عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد
ابن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا
يشتم احد بعد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم **وروى ابو ذر**
الهروي ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اتي باعرابي يهجو
الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك من
انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في
هذا الفيء حق قد قسم الله تعالى الفيء في ثلاثة اصناف
فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم قال والذين جاءوا من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
الاية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين **وفي كتاب**
ابن شعبان من قال في واحد منهم انه ابن زانية وامه مسلمة
حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه ولا
اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله
صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف
ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية لانه سب له فان كان
احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن قام
به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا
كحقوق غير الصحابة لحرمة هولاء بنبيهم صلى الله عليه
وسلم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولي القيام به **قال**
ومن سب غير عايشة رضي الله تعالى عنها من ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل لانه سب
النبي صلى الله عليه وسلم بسب حليلته والثاني انها كساير
الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول **وروى**
ابو مصعب عن مالك من انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم

ثم قال والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم الاية يريدون الانصار ثم

كاذبا يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى
تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه
وسلم وافتى ابو المطرف الشعبي فتنيه ما لفقه في رجل
انكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق
ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه
فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر في مثل هذا يوجب عليه
الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي صوب
قوله احق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه في ذلك
ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة
فيه ويبغض في الله تعالى وقال ابن عمران في رجل قال لو
شهد علي ابو بكر الصديق انه ان كان في مثل ما لا يجوز فيه
الشاهد الواحد فلا شيء عليه وان كان اراد غير هذا فيضرب
ضربا يبلغ به حد الموت وذكرها رواية من الامر غير الرواية
قال القاضي ابو الفضل هنا انتهى القول بنا فيما حررناه
وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفي الشرط الذي شرطناه
مما ارجو ان في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب
منه منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب
وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها
قبل في اكثر التصانيف مشرع واودعته غير ما فصل
وددت لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه او مقتدي
يفيدنيه عن كتابه او فيه لاكتفي بما ارويه عما
ارويه والى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول ما
منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره
وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعنا من شرف
مصطفاه وامين وحيه واسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله

واعلمنا

واعلمنا فيه خواطرنا من ابراز خصايصه ووسايله
ويحمي اعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه
ويجعلنا ممن لا يذاد اذا اذيد المبدل عن حوضه ويجعله
لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه
وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها
رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيص زمرة نبينا صلى الله عليه
وسلم وجماعته ويحشرنا في الرعيل الاول واهل الباب
الايمن من اهل شفاعته ونحمده على ما هدانا اليه من جمعه
والهم وفتح البصيرة لدرك حقايق ما اودعناه وفهم
ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع وعمل لا ينفع وعلم
لا يرفع فهو الجواد الذي لا يخيب من امله ولا ينتصر من
خذله ولا يرد دعوة القاصدين ولا يصلح عمل
المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا
محمد نبيه ورسوله واله وصحبه
وشرف وكرم ووافق الفراغ
من نسخه ضحى يوم الثلاثاء
ثاني رجب الفرد الحرام
الذي هو من شهور
سنة تسع ومائة
والف من الهجرة
النبوية على
صاحبها
افضل
والسلام

تم الكتاب بكماله بعون الملك الوهاب

على يد كاتبها العبد الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير الراجي عفو ربه القدير
الفقير منصور بن محمد بن بديرالشافعي الازهري الطنبولي غفر الله له ولوالديه
ومحبيه ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات

وعفى الله عن كاتبه ولمن نظر فيه ودعا له بالعفو



